سياحة
في الدِّين السماوي والأرضي

" تأمل في الحياة الروحية لمعتقدات جميع البشر"

د\ سالم عبدالعزيز سالم عوده

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[1]

[1] الحجرات:13

المحتويات:

مقدمة وتمهيد:

الحمد لله الهادي إليه بالرسل الكرام والكتب المنزلة والمناهج المعتدلة ، وصدق جل جلاله إذ قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[1]
وصلّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وجميع الرسل والأنبياء ،وسلم تسليما.

ـ عالج الإسلام قضايا الإنسان معالجة متوازنة (فكرية ونفسية واجتماعية ودينية) دونما طغيان لقيمة على قيمة، أو تراجع لقيمة أمام أخرى، ولقد جاء الإسلام كنصر ساحق للإنسان على آلامه، وكثورة نفسيه عظمى، حققت له توحده الذاتي، وشيدت أمامه أروع أمل في الخلود المطلق في النعيم.

---
[1] **الحجرات : 13**

وكان الإنسان هو الذي ترك هذا الأسلوب الرباني الذي جاءت به الأديان؛ وحاول أن يحل مشاكله بنفسه فاضطرب وعجز، وبدأ ذلك في معالجات الفلسفة اليونانية، والفلسفة الشرقية الغنوصية، والفلسفة المثالية، والفلسفة المادية الحديثة.

لأن الإنسان لا يعرف حقيقة جوهره، أما الإسلام فإنه يعرف أن عنصر التوازن أصيل في الإنسان، وأنه لا بد من التقاء الفكر والنفس، والروح والمادة، والدنيا والآخرة في أي فهم لدراسة الإنسان وفهم نفسيته وذاته.[1]

ولقد ظهرت مدرسة علم النفس الحديثة ممثلة في ثلاثة هم:
فرويد، وادلر، ويونج، الذين سرعان ما ظهرت عوامل الخلاف بينهم، ثم علا شأن المفهوم الأبعد عن الفطرة والذي رده العالمان الآخران؛ مفهوم فرويد في إعلاء الجنس.

جراء استسلام علم النفس الحديث إلى الجبرية أثر بالغ في انبعاث روح الشك في العقائد والأديان.
ولأنه علم تجريبي، فقد عني بالحالات الشاذة، وجعلها أساس البحث، من غير أن يقيم المعايير التي يستطيع المرء أن يتخذها لنفسه غاية، وعلماء النفس يصفون حالات الجماعة ونفسية الجماهير بما يحكمها من عقلية الرعاع، وبما يشينها من العقل الباطن غير المفكر؛ وكان حقيقًا بكل ذلك أن يدفع بالعالم إلى الشك، وأن يزعزع إيمان الناس في سمو المثل الأعلى، فقد أصبح الفرد يرى نفسه غير ملوم، لأنه يتخذ من وجوده في الجماعة ذريعة للتبرؤ.

يتصل علم النفس بالأخلاق اتصالا أساسيًا؛ فالأخلاق معرفة وسلوك، وعلم النفس هو ما كان يطلق عليه علم السلوك. وقد قطع الفكر الغربي الإسلامي شوطًا طويلا في مجال دراسة النفس مستمدًا مفاهيمه

---

[1] كتب ومقالات أنور الجندي - (60 / 17) بتصرف

الأساسية من القرآن الكريم؛ هذه المفاهيم التي تتمثل في حقائق مترابطة، ألقت الضوء الحقيقي على هذه اللطيفة الربانية. وقد عمد الفكر الإسلامي في معرفة النفس أن يكون سبيلا إلى إصلاحها وتهذيب الأخلاق الذي لا يتأتى إلا بمعرفة عيوب النفس حتى يمكن إصلاحها، فليست معرفة النفس هدفًا مجردًا .

تقوم نظرية فرويد في النفس على الأصول الآتية:
-أولا:

الحياة النفسية للإنسان المسيطر على كل أفعال الإنسان.
- ثانيًا:
إن غرائز الإنسان هي التي تحكمه وتسيطر على نشاطه، وإن الجانب المسمى بالروح لا وجود له على الإطلاق.
- ثالثًا:
الدين والأخلاق ليسا قيمًا أصيلة في الحياة البشرية، ولكنهما انبثاق جنسي.

- رابعًا:
القيم خرافة، وهي نفاق العقل للنفس والمجتمع.

- خامسًا:

تفسر النفس كلها من خلال الجنس.

- سادسًا:
رد كل الحوافز الإنسانية إلى الجنس.
ويرى فرويد أن الإنسان في جوهره حيوان كغيره من الحيوانات، وأن الإنسان يولد جنسيًا خالصًا، وأن كل أعمال الطفل تعبير عن طاقة الجنس، وأن الطفل يعشق أمه بدافع الجنس، ثم يجد الأب حائلا بينهما،

فيكبت هذا العشق، فتنشأ في نفسه "عقدة أوديب" والطفلة تعشق أباها بدافع جنسي، فتكبت هذا العشق، فتنشأ في نفسها "عقدة اليكترا".
وهكذا يدخل فرويد الإنسان حظيرة الحيوان، ويثبت أنه عبد لنزواته، وأن العقل الباطن هو المسيطر الفعال في توجيه الإنسان، وأن غرائزه وميوله الفطرية، هي الأساس لسلوكه في الحياة، وهي التي تحكمه، وتسيطر على نشاطه.
ومن نظرية فرويد ظهرت نظريات في الأدب والفن والأخلاق، وفي مقدمتها: السريالية ثم الوجودية.
ولكن هذه النظرية لم تكن مقبولة منذ اللحظة الأولى بين علماء النفس، وقد وجدت معارضة شديدة من حيث معارضتها للفطرة، ومن حيث تغليب عنصر الجنس ورد كل حوافز الإنسان إليه.[1]

و اعتمد فرويد على الأساطير القديمة، وعدها حقائق علمية، كذلك فقد اعتمد على حالات المرضى الفردية، واتخذ منها أسسًا عامة للأسوياء، وقد أشار العلماء إلى أن فرويد أقرب إلى المتنبئين منه إلى العلماء، وأنه مخترع للفرضيات أكثر منه مجربًا لها، وأنه يرمي بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العلمي والسند الواقعي، وأنه يفترض، ثم يصدق ما يفترض ويبني عليه،وكأنه حقيقة علمية لا يأتيها الباطل، وأن ملاحظاته تتعلق بالمرضى على الأخص؛ ومن ثم يجب ألا تعمم الاستنتاجات النابعة منها بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وبخاصة أولئك الذين وهبوا جهازًا عصبيًا قويًا وسيطرة على أنفسهم.
كذلك أشار العلماء إلى أن نقطة الضعف الأساسية في فرويد كعالم، هي أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول إلى قوانين عامة، وقد ترك فرويد من كتاباته عن نفسه وعن حياته ما يثبت أنه كان يتخذ من تحليل أحلامه وهواجسه ومشاكل صباه كيهودي في النمسا المتعصبة ضد اليهود قاعدة لكل تصميماته.

وقد خالف فرويد في نظريته كلٌ من:
-ادلر ويونج وستيكل.

[1] كتب ومقالات أنور الجندي - (61 / 3

وقال يونج: إن آراء فرويد ذات جانب واحد، وإنها غير ناضجة كل النضوج، وإن مصدر سرور الطفل في الحصول على الغذاء يجب ألا يوصف بأنه جنسي أبدًا، وذلك على اعتبار من أن الدافع الجنسي، لم يتميز في نفسه بعيدًا عن الميل الابتدائي للحياة، وينكر يونج أن اللبيد جنسي بكليته وهو يعد اللبيد أنه إرادة الحياة.
ويقول يونج: إن الجنس ليس أساس الدوافع الإنسانية، وإنما هو دافع واحد من عدة دوافع.

وهو يخالف فرويد في صميم النظرية، ويرى أن الدافع الإنساني الأول هو الرغبة الملحة في التفوق، وأن الغريزة السائدة في الإنسان هي الرغبة في التفوق والسيادة، وليس الحب، ويقرر أن إرادة القوة، هي الإرادة الصادقة الأصيلة في نفس كل إنسان، ويرى ادلر أن النقص يكاد يكون هو السبب الأساسي للنبوغ.

وقد دعا ادلر إلى نبذ أهمية الغريزة الجنسية النبذ كله، وأرجع تكوين الشخصية ونشأة الأمراض العصبية إلى مجرد الرغبة في القوة وحاجة الإنسان إلى التعويض عن أي نقص في كيانه.
ويقول ادلر: إن الدافع الجنسي ليست له هذه الأهمية الشاملة التي ينسبها فرويد إليه، وأن حافز توكيد الذات (Self asnertive empulse) وليس الدافع الجنسي هو القوة السائدة الإيجابية في الحياة.
وقال ادلر: إن الطفل قبل الخامسة لا يعرف القيم والمعايير الخلقية، بل يكتسب أسلوب الحياة بالقدوة والمثال من البيئة التي يعيش فيها.[1]

ومثلما تخبّط فرويد وأتباعه تخبّط أصحاب الفلسفات الدينية ببعدهم عن منهج السماء وببحثهم في خيالات الوهم والتوهم عن ما يسمى "دين الإنسانية".

---

[1] **ـ السابق بتصرف**

وإذ لم يجدوا ضالتهم قالوا: نوفّق بين الأديان السماوية ،والترهات الأرضية.

والتوفيق بين الاديان (Syncretism) هو محاولة للتوفيق بين المعتقدات الدينية المختلفة وأخذ مجموعة من المبادئ من مختلف الديانات والخلط بينها وبين مختلف المدارس الفكرية، ووفقًا للفلسفة الخالدة، فالتجارب الصوفية في جميع الأديان هي نفسها في الأساس. وهي تفترض بأن العديد من الأديان، أو جميع أديان العالم، نشأت من التعاليم الصوفية، بما في ذلك :

غوتاما بوذا ويسوع ولاوتزه وكريشنا.

وترى هذه الفلسفة أيضًا أن معظم التقاليد الدينية تصف التجربة الروحانية الأساسية، على الأقل من الناحية الباطنية.

ويعتبر ألدوس هكسلي من أكبر أنصار الفلسفة الخالدة في العصر الحديث.

ولا يعترف السلفيون ـ من كل الأديان ـ بالتجربة الدينية، ولكن يرون أنها تعتبر بدعة تسمى "التوفيق بين الأديان".

و قد ظهر هذا الاتجاه في بعض البلدان الإسلامية، وتأثر بعض المنتسبين إلى التصوف بجملة من الأديان، حيث يرى السلفي الباكستاني "إحسان إلهي ظهير" تأثر الكثير من المتصوفة بأديان الهند حيث يقول:«كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضاً فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا بذلك حيث لم يسعهم إلا

الاعتراف بهذه الحقيقة الظاهرة الجلية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها البتة»[1].

ويقول السلفي عبد الرحمن دمشقية:

«وعلى هذا نرى أن التصوف قد تأثر بالاتجاه الهندي عموماً والبرهمي خصوصاً".

إذن فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء ـ وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد ـ هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم ، وهذا ليس بسرّ، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويتمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر»، والمقصود هنا بالفناء ما يطلق عليه نيرفانا.

والرأي نفسه يصرح به أنور الجندي الذي يقول:«وقد تأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية والمسيحية عليه، وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الأصيلة».

ـ رأي الصوفية:

بينما يرى الصوفية أن هذا غير صحيح، وليس اقتباساً من الديانات الأخرى، لأنه لا دليل عليه، وإنما هو تشابه التجربة الإنسانية الروحية في مختلف الديانات، نتيجة وحدة النفس البشرية، ولو اختلفت اللغات والثقافات. والتصوف هو نتيجة جهود عقلية ومجاهدات روحية تخصص فيها الصوفية، فنتج عنها فهم مختلف عن فهم الفقهاء السطحي. قال العز بن عبد السلام: قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم[2] ورجل عالم فقيه أصولي متكلم متبحر في معرفة عقائد الفرق والمذاهب مثل الإمام الغزالي، يرى أن التصوف هو أرقى ما توصل إليه العقل البشري

---

[1] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 80

[2] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 96

من الرقي، فيقول: «إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»[1]. فهو يرى أن التصوف مبني على سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفهم روح منهاجه وطريقه.[2]

-المراحل الاجتماعية والسياسية للتوفيق:

قد يُظهر التوفيق الصريح بين الأديان في المعتقد الشعبي حالة من القبول الثقافي لتقليدٍ دخيل أو سابق، لكن قد تبقى العبادة «الأخرى» أو تتغلغل دون توفيق مشروع. مثلًا، استحدث بعض المتحولين (المسيحيين الجدد) نوعًا من العبادة على إثر شهدائهم من ضحايا محاكم التفتيش الإسبانية، وهكذا أدخلوا مقومات من الكاثوليكية رغم معارضتهم لها.

-ويُمثل ملوك كوش الذين حكموا مصر العليا لما يقارب القرن وكل مصر لما يقارب 57 سنة، من 721 إلى 664 قبل الميلاد، الأسرة النوبية (المصرية) الخامسة والعشرين في عمل مانيتون تاريخ مصر، أنشأوا عبادة توفيقية، مُماهين إلههم ديدان مع أوزيريس المصري. حافظوا على هذه العبادة حتى بعد اقتيادهم إلى خارج مصر. بُني معبد مكرس لهذا الإله التوفيقي، من قِبل حاكم كوش أتلانيرسا، واكتُشف في جبل البركل.

---

[1] المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالرحيم محمود ص (145).

[2] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - يوسف خطَّار ص 11

كانت التوفيقية بين الأديان شائعة خلال العصر الهلنستي، من خلال مُماهاة الحكام لمجموعة من الآلهة المحلية في أجزاء مختلفة من مناطق سيطرتهم مع الإله والإلهة المناسبة من مجموعة الآلهة الإغريقية (البانتيون)، كوسيلة لزيادة ترابط المملكة. كانت هذه الممارسة مقبولة في أغلب المناطق، ولكن مرفوضة بشدة من قِبل اليهود الذين اعتبروا مماهاة يهوه مع زيوس الإغريقي أسوا ما في التجديف.

استمرت الإمبراطورية الرومانية بهذه الممارسة، أولًا من خلال مماهاة الآلهة الرومانية التقليدية مع اليونانية، ما أنتج الوثنية اليونانية الرومانية، وبعدها مماهاة أعضاء من تلك الوثنية مع الآلهة المحلية للولايات الرومانية المختلفة. يُقال بأن هناك شكلًا غير معلن من التوفيقية وهو نقل عدة صفات من الإلهة إيزيس –التي كانت عبادتها منتشرة بشكل واسع في فترة نهايات الإمبراطورية الرومانية– إلى مريم العذراء المسيحية. عززت بعض الحركات الدينية التوفيق الصريح، مثل حالة الجمع بين معتقدات الشينتو مع البوذية أو الاندماج المزعوم لأفكار الوثنية مع المسيحية خلال انتشارها في بلاد الغال والجزر البريطانية وألمانيا واسكندنافيا. في أوقات لاحقة، ماهت البعثات التبشيرية المسيحية في أميركا الشمالية مانيتو –طاقة الحياة الروحية والجوهرية في المعتقدات التقليدية عند الجماعات الألغونكية– مع إله المسيحية الواحد. أُجريت حالات مشابهة من قِبل المبشرين في مناطق أخرى من الأمريكيتين وأفريقيا، متى ما صادفوا معتقدًا محليًا لإله أعلى أو روح أعلى من أي نوع.

ـ ويمكن رؤية التأثيرات الهندية في الممارسة المتبعة عند الإسلام الشيعة في ترينيداد. رفضها آخرون بشدة باعتبارها تقليلًا لقيمتهم ومساسًا بتفردهم الثمين والأصيل؛ من الأمثلة على ذلك، اليهودية في فترة الهيكل الثاني بعد السبي البابلي والإسلام ومعظم المسيحية البروتستانتية.

- يميل التوفيق بين الأديان إلى تيسير التعايش المشترك والوحدة بين الثقافات المختلفة والآراء العالمية (كفاءة التفاعل بين الثقافات)، وهو عامل أُوصي به للحكام في الإمبراطوريات ذات الاثنيات المتعددة. وفي المقابل، يمكن أن يساعد رفض التوافقية بين الأديان، غالبًا باسم «التقوى» أو «الأرثوذكسية (كمُصطلح)»، على خلق أو تعزيز أو توثيق روح ثقافية واحدة غير ممسوسة عند أقلية أو أكثرية واضحة المعالم.

- عرب الخليج والتعايش السلمي والتسامح:

يتعايش عرب الخليج "الإمارت العربية وقطر ومملكة البحرين وسلطنةعمان في سلام اجتماعي إسلامي يقبل بتعايش الجميع دينيا واجتماعيا استنادا على دستور واضح يسمح بذلك تحميه قوة وإرادة سياسية ناضجة واعية.

- مملكة البحرين مثال عالمي للتسامح والتعايش السلمي والمجتمعي:

اهتمت مملكة البحرين بالتسامح والتعايش السلمي منذ مئات السنين وزاد الاهتمام أكثر مع انطلاق المشروع الإصلاحي لحضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى، فتم النص على التسامح في ميثاق العمل الوطني وفي دستور مملكة البحرين المعدل لعام 2002 وتعديلاته، إضافة إلى الدخول في العديد من الاتفاقيات الدولية المعنية باحترام قيم ومبادئ التسامح والتعايش السلمي، بالإضافة إلى صياغة تشريعات داخلية متطورة تواكب التطور في المجتمعات الإنسانية، وتم غرس مفاهيم وقيم التسامح

والتعايش السلمي في العملية التعليمية والممارسات اليومية.

ولعل صدور إعلان مملكة البحرين حول التسامح والتعايش السلمي في عام 2017 ليؤكد أن المبدأين من المرتكزات الأساسية ليس على المستوى الداخلي فقط وإنما أيضا على المستوى الدولي، فاتجه الإعلان لتوحيد الرؤى وتعزيز التوافقات الدينية والمجتمعية والثقافية، واستهل الإعلان في افتتاحيته بالتأكيد على أن «الجهل عدو السلام»، وأن «من واجبنا أن نتعلم ونتشارك ونعيش معا، من خلال مبادئ الإيمان بروح الاحترام المتبادل والمحبة»، وقدم الإعلان خمسة مبادئ رئيسية تمثل الموروث الوطني والحياة البحرينية التقليدية وما تتمتع به من تسامح وتعايش سلمي وهي: مبدأ المعتقد والتعبير الديني ويقصد بها أن الحرية الدينية وحرية المعتقد من الأساسيات التي لا يجب المساس بها وأن على رجال الدين المتطرفين عدم زرع بذور الفتنة وتدنيس أسم الله، وأن الحوار بين الأديان يجب أن يكون على أسس من التفاهم والاحترام المتبادل، ومبدأ حرية الاختيار ويقصد بها رفض الاحترام القسري وأكد على حرية كل فرد في ممارسة دينه بشرط ألا يؤذي الآخرين وأن يحترم قوانين الأرض، ومبدأ تحديد الرب وقصد منها أن لكل فرد الحق في اختيار ربه، إلا أن الإعلان أكد في هذا الجانب أن جميع الأديان والمعتقدات ترفض الاستدلال باسم الله من أجل العنف ضد الأبرياء، ومبدأ الحقوق والواجبات الدينية حيث أكد هذا المبدأ على ضرورة ضمان حقوق الأقليات في التجمع والعبادة والتعليم والاحتفال وممارسة متطلبات دينهم، ومبدأ الأمل والإيمان وأشار إلى ضرورة تعليم الأطفال اللطف والرحمة والأعمال التي توحدنا لا تفرقنا، وأهمية أن يضطلع بهذه المسؤولية أشخاص من ذوي الإيمان الصادق.

ويعتبر هذا الإعلان مرجعاً عالمياً يهدف إلى تعزيز التسامح والتعايش السلمي من أجل تحقيق السلام ومكافحة الإرهاب والتطرف والعنف والتعصب والكراهية.

وقد أكد جلالة الملك في مقالة نشرت له في صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية في 10 أكتوبر 2017 أن «التنوع الديني في مملكة البحرين نعمة»، وأن «العالم سيكون أكثر أمناً وازدهاراً إذا تعلم كيف يستوعب التمايزات بين الأفراد باعتبارها عنصر دعم وقوة وتكامل بين الناس وبعضهم البعض» وأن «من المهم أن يتعرف العالم كما تعرفت البحرين على جمال هذه الاختلافات بين البشر»، وبالتالي فإن منظور مملكة البحرين للتسامح والتعايش السلمي جاء من «أن جوهر التعايش في مملكة البحرين هو احتفاظ كل منا بدينه وهويته وخصوصيته كاملاً من غير نقصان، على أساس من الثقة والاحترام المتبادل بين الجميع» وهو ذاته الأمر بالنسبة إلى نظرة مملكة البحرين للعلاقات الخارجية واحترام التمايز بين المجتمعات الدولية سواء على أسس دينية أو مذهبية أو عرقية أو اجتماعية وأهمية الحوار والتلاقي بين الحضارات المختلفة والثقافات المتنوعة لتعزيز المنجزات العالمية وتحقيق السلام العالمي.

وجاءت المنجزات المتتالية لتبرز الموروث الوطني والإنجازات الحضارية في مجال التسامح والتعايش السلمي منذ انطلاق المشروع الإصلاحي من تشريعات وطنية انطلاقاً من ميثاق العمل الوطني ودستور مملكة البحرين المعدل لعام 2002 وتعديلاته، والانضمام إلى العديد من الاتفاقيات الدولية وتشريع القوانين المحلية التي تسهم في ممارسة وتعزيز التسامح والتعايش السلمي، إضافة إلى إصدار وثيقة مؤسسات المجتمع المدني للتسامح الديني والمذهبي والإعلان العالمي لمملكة لبحرين، وإنشاء مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي والترخيص لمؤسسات المجتمع المدني للعمل في هذا المجال وتدشين كرسي جلالة الملك للحوار بين الأديان ودراسات التعايش السلمي في جامعة سابينزا العريقة الأمر الذي أسهم في خلق نموذج تسامحي وتعايشي وتنموي ناجح ورائد في المنطقة يحتذى به ويعتبر نموذجاً استرشادياً يمكن أن يطبق على الكثير من دول العالم التي تشهد تراجعاً في مستوى احترام قيم التسامح والتعايش السلمي.

وأختم هنا بمقولة جلالة الملك أن «مملكة البحرين أقوى بسبب تنوعنا» وأن « عالمنا سيكون أكثر أماناً وازدهاراً عندما نتعلم التعرف على جمال هذه الاختلافات» وأن الحرية الدينية ليست «مشكلة بل هي حل حقيقي للعديد من التحديات الكبرى في عالمنا وخاصة الإرهاب الذي لا يعرف أي دين ويهدد جميع المحبين للسلام.[1]

ينص دستور البحرين على أن الإسلام هو الدين الرسمي وأن الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع.[2] المادة 22 من الدستور تنص على حرية الضمير وحرمة العبادة وحرية القيام بشعائر الأديان والمواكب والاجتماعات الدينية وفقا للعادات المرعية في البلد ومع ذلك فقد وضعت الحكومة بعض القيود على ممارسة هذا الحق.

الديموغرافيا الدينية :

سكان البحرين ، الدين:

تبلغ نسبة المسلمين من سكان البحرين 99.8% في عام 2010 على الرغم من أن نسبة المسلمين المغتربين تبلغ 70.2٪. لا يظهر التعداد نسبة وأعداد أصحاب الديانات الأخرى في البحرين ولكن هناك حوالي ألف مواطن مسيحي وأقل من 40 مواطن يهودي.

المسلمون ينتمون إلى المذهبين الشيعي والسني. لا توجد إحصاءات رسمية، لكن الشيعة يشكِّلون 67%-70% من سكان البحرين المسلمين [3] المغتربون أغلبهم من جنوب آسيا ودول عربية أخرى ويشكلون 54٪ من السكان في عام 2010 ومن بين هؤلاء 45٪ مسلمون و55٪ من غير المسلمين بما في ذلك المسيحيين (في المقام الأول: الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية السورية ومار توما من جنوب الهند) والهندوس والبهائيين والبوذيين والسيخ.

وضع الحرية الدينية :

---

[1] حسام الدين جابر سالم:جريدة الجزيرة

[2] دستور مملكة البحرين

[3] مصادر متنوعة

الإطار القانوني والسياسي :

ينص الدستور على أن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد وينص أيضا على حرية الدين. ومع ذلك كانت هناك قيود على هذا الحق. تسمح الحكومة للمنظمات غير الحكومية السياسية القائمة على الدين لتسجيلها باسم الجمعيات السياسية التي تعمل نوعا ما مثل الأحزاب مع السلطة القانونية للقيام بأنشطة سياسية. أجريت الانتخابات النيابية والبلدية في عام 2006 وشاركت جميع الجمعيات السياسية في الانتخابات النيابية في عامي 2006 و2010 بما في ذلك أكبر جمعية سياسية شيعية جمعية الوفاق الوطني الإسلامية التي قاطعت الانتخابات في
عامي 2002 و2014. شارك 53% من مجموع الناخبين المؤهلين في الانتخابات. يجب على كل جماعة دينية الحصول على ترخيص من وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف للعمل. تبعا للظروف فإنه على سبيل المثال من أجل فتح مدرسة دينية لجماعة دينية فإنهم يحتاجون إلى موافقة من وزارة التنمية الاجتماعية وزارة الإعلام و/أو وزارة التربية والتعليم. التجمعات المسيحية المسجلة لدى وزارة التنمية الاجتماعية تعمل بحرية وتسمح لهم بتقديم التسهيلات للتجمعات المسيحية الأخرى التي ليس لديها أماكن للعبادة. تحظر الحكومة الكتابات المعادية للإسلام. سمحت الحكومة بأربعة معابد للسيخ وعدة معابد هندوسية على العمل بحرية. لم يعد المعبد اليهودي الوحيد في البلاد المبنى قبل 60 عاما يعمل.

عقد اجتماع ديني دون ترخيص غير قانوني ومع ذلك لا توجد تقارير عن منع مثل هذه التجمعات. التجمعات المسيحية غير المسجلة موجودة وهناك تقارير من أن الحكومة تحاول فرض التسجيل على التجمعات غير المسجلة. مهمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الاستعراض والموافقة على كل التعيينات الكتابية ضمن كلتا الطائفتين السنية والشيعية وتحافظ على برنامج الرقابة على جميع المواطنين الذين يدرسون الدين في الخارج. تاريخيا كان هناك دليل على التمييز ضد المسلمين الشيعة في التوظيف للخدمات الأمنية العسكرية والداخلية في البلاد. خلال الفترة المشمولة بالتقرير فإن وزارة الدفاع لا تجند الشيعة

للخدمة العسكرية. وزارة الداخلية زادت جهودها لتجنيد الشيعة في الأجهزة الأمنية غير العسكرية خلال الفترة المشمولة بالتقرير. في 19 أبريل 2007 أعلن مسؤولون في وزارة التربية والتعليم أن الوزارة وبالتعاون مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أنه تم تطوير منهج جديد للتدريس الديني في جميع المدارس الحكومية ابتداء من العام الدراسي المقبل. وفقا لوكيل وزارة الشؤون الإسلامية سيركز المنهج الجديد على الممارسات في الإسلام والفقه وسوف تتضمن محتوى ضد التطرف وأكد على أن المنهج الجديد يجب أن يكون شاملا قناعات جميع مذاهب الإسلام. الدراسات الإسلامية هي جزء من المنهج الدراسي في المدارس الحكومية وإلزامي لجميع طلاب المدارس الحكومية. تستند المناهج الدراسية منذ عقود على المذهب المالكي السني. تم رفض مقترحات أن يشمل تدريس المذهب الجعفري في المناهج الدراسية. تتكون الأنظمة القانونية المدنية والجنائية من مزيج معقد من المحاكم استنادا إلى مصادر قانونية متنوعة بما في ذلك الشريعة السنية والشيعية والقانون القبلي والقوانين المدنية واللوائح الأخرى. عدد القضاة الشرعيين الشيعة أعلى قليلا من عدد نظرائهم السنة.

على الرغم من أن الدستور ينص على الحقوق السياسية للمرأة فإن الشريعة تحكم الأحوال الشخصية. تتفاوت الحقوق المحددة وفقا للمذهبين الشيعي والسني في الشريعة الإسلامية على النحو الذي يحدده إيمان الفرد أو من قبل المحاكم في مختلف العقود التي تنشأ بما في ذلك الزواج. في حين أن كلا من النساء الشيعيات والسنيات لها الحق في الشروع في الطلاق فإن المحاكم الدينية قد ترفض الطلب. يحق للنساء امتلاك ووراثة الممتلكات وجواز تمثيلهن في جميع الأمور العامة والقانونية. في حالة عدم وجود وريث ذكر مباشر يجوز للمرأة الشيعية أن ترث جميع الممتلكات. في المقابل في حالة عدم وجود وريث ذكر مباشر فإن المرأة السنية ترث جزء فقط حسب الشريعة الإسلامية والباقي يوزع على الإخوة والأعمام وأبناء العم المتوفى. يجوز للمرأة المسلمة الزواج من الناحية القانونية من رجل غير مسلم إلا إذا اعتنق الإسلام. في مثل هذه الزيجات فإن الأطفال يصبحون تلقائيا مسلمين. في حالات الطلاق تمنح المحاكم بشكل روتيني حضانة الأطفال للنساء

الشيعيات والسنيات حتى سن معين حيث تتحول الحضانة إلى الأب حسب المذهبين الجعفري والمالكي على التوالي. في كل الظروف ماعدا الجنون فإن الأب بغض النظر عن قرارات الحضانة يحتفظ بالحق في إجراء بعض القرارات القانونية لأطفاله مثل الوصاية على ممتلكات الطفل حتى يبلغ الطفل السن القانونية. النساء غير المواطنات يفقدن تلقائيا الوصاية على أطفالهن إذا طلقهن والدهم المواطن. لا توجد أية قيود على عدد المواطنين الذين يسمح لهم بزيارة الأضرحة الشيعية والأماكن المقدسة في إيران والعراق وسوريا. تراقب الحكومة المسافرين إلى إيران وتدقق بعناية على أولئك الذين يختارون دراسة العلوم الدينية هناك.

الحكومة لا تذكر الدين أو الطائفة في وثائق الهوية الوطنية. عند ولادة الطفل يطلب من الوالدين التقدم بطلب للحصول على شهادة ميلاد لتحديد دين الطفل وليس الطائفة ولكن لا تتضمن شهادة الميلاد التي تصدرها الحكومة هذه المعلومات. القانون لا يحظر التحول من دين واحد إلى آخر. تعتبر الأعياد التالية أعيادا وطنية: عيد الأضحى وعيد الفطر ومولد النبي محمد ويومي تاسوعاء وعاشوراء ورأس السنة الهجرية. زار قادة يمثلون العديد من المجموعات الدينية البلاد واجتمعوا مع الحكومة وقادة المجتمع المدني وشملت مطران كنيسة مار توما في الهند وهو أعلى مسؤول في الكنيسة.

القيود على الحرية الدينية[عدل]

سياسة الحكومة تسهم في الممارسة الحرة للدين عموما. أعضاء الجماعات الدينية الأخرى الذين يمارسون عبادتهم يعملون ذلك بشكل خاص بدون تدخل من الحكومة ويسمح لهم بالاحتفاظ بأماكنهم الخاصة للعبادة وعرض رموز دينهم مثل الصلبان والتماثيل للآلهة والقديسين. تمول الحكومة جميع المؤسسات الدينية الرسمية بما في ذلك مساجد الشيعة والسنة ومآتم الشيعة والأوقاف الشيعة والسنية والمحاكم الدينية التي تمثل كل من المذهبين الجعفري الشيعي والمالكي السني. تسمح الحكومة بالمناسبات الدينية العامة وأبرزها مسيرات تذكارية سنوية

كبيرة للمسلمين الشيعة خلال العام الهجري وبالذات شهري رمضان ومحرم.

التحول إلى الإسلام من الجماعات الدينية الأخرى أمر مألوف كما حالات الزواج بين الرجال المسلمين والنساء غير المسلمات. يتم الترحيب بهؤلاء الذين تحولوا عادة في المجتمع الإسلامي. من ناحية أخرى لا يتم تقبل المتحولين من الإسلام إلى المجموعات الدينية من قبل المجتمع. عادة ما يتم مقاطعته من قبل عائلته والمجتمعات المحلية في كثير من الأحيان ويعانون أيضا من الاعتداء الجسدي. بعض هؤلاء الذين تحولوا يعتقد أنهم اضطروا إلى مغادرة البلاد بشكل دائم.

خلال احتجاجات عام 2011 وجهت الحكومة بهدم العشرات من المساجد الشيعية بسبب عدم الحصول على رخصة للبناء. وفقا للزعماء الشيعة فإنه يتم الهدم في جوف الليل برفقة الشرطة والحراسات العسكرية وفي كثير من الحالات تنقل الأنقاض قبل ان يستيقظ السكان بحيث لا يتركون أي أثر. دافع خالد بن علي آل خليفة وزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف عن عمليات الهدم قائلا: «هذه ليست مساجد بل هذه مباني غير قانونية». أظهرت الصور التي التقطت لعدة مساجد قبل تدميرها من قبل الحكومة أنها مبنية منذ عقود.

نفى مرارا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منح رخصة لبناء معبد لجماعة البهائية بالرغم من أن الجماعة لم يطلب منها الاعتراف الرسمي في سنوات عديدة وأنها ترفض الاعتراف بهذه الطائفة. لكن المجتمع البهائي استمر في جمع المال والعبادة بحرية دون تدخل من الحكومة. يعتبر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن الدين البهائي امتداد زائف للإسلام ومعتنقوه كفار. في بعض الوزارات الحكومية الأخرى يظهر الدين البهائي كخيار ديني في القوائم المنسدلة في الحاسوب للمواطنين عند التقدم بطلب للحصول على وثائق حكومية معينة.

تعرض وتباع الأناجيل والمطبوعات المسيحية الأخرى علنا في المكتبات المحلية التي تبيع أيضا الأدب الديني الإسلامي وغيرها. تبيع الكنائس أيضا المواد المسيحية بما في ذلك الكتب والموسيقى ورسائل من القادة

المسيحيين صراحة ومن دون قيود. كتب دينية من جميع فروع الإسلام وكاسيتات خطب ألقاها دعاة مسلمين من بلدان أخرى ومنشورات متاح بسهولة. في السنوات الأخيرة بذلت وزارة الداخلية جهود كبيرة لزيادة توظيف المواطنين الشيعة. في عام 2005 قدمت كنيسة مسيحية تضم أكثر من ألف عضو طلبا لوزارة التنمية الاجتماعية لتشكيل رعية ثانية. تم تعيين كاهن مؤقت للأبرشية لخدمة أعضاء الرعية الثانية ولكنه بقي فقط 4 أشهر بسبب القيود على التأشيرات. الرعية طلب الحصول على تأشيرة إقامة لمدة ثلاث سنوات لكاهن دائم. بحلول نهاية الفترة المشمولة بالتقرير لم يكن تم يخطر المسؤولين الحكوميين قادة الكنيسة بشأن اتخاذ قرار نهائي بشأن السماح لرعية ثانية أو منح تأشيرة دخول لكاهن مقيم دائم. طلب مسؤولي الكنيسة الحصول على معلومات ولكن لم يتم الرد عليهم. لم ترد تقارير عن سجناء أو معتقلين دينيين في البلاد.

في فبراير عام 2011 امتد التوتر بين الأقلية الحاكمة السنية والأغلبية الشيعية أكثر في احتجاجات الشوارع التي تم قمعها بعنف من قبل قوات الشرطة مما أسفر عن وفاة عدة مدنيين. عقدت السلطات محاكمات سرية حيث قد الحكم على المتظاهرين بالإعدام وتم القبض على السياسيين المعارضين البارزين وسجن الممرضات والأطباء الذين عالجوا المحتجين الجرحى واستولت على نظام الرعاية الصحية التي يتم تشغيلها في المقام الأول من قبل الشيعة، تم تسريح ألف مهني شيعي من وظائهم وألغت معاشاتهم التقاعدية واعتقلت الطلاب والمعلمين الذين شاركوا في الاحتجاجات وضربهم واعتقلت الصحفيين وأغلقت الصحيفة المعارضة الوحيدة.

أعرب مسؤولون أمريكيون عن قلقهم إزاء حقد القيادة السنية في البحرين وذكروا أن إدارة أوباما كانت قلقة للغاية بشأن الدوامة السريعة في البحرين.

ـ التحول الديني القسري:

لا يوجد تاريخ في البحرين يدل على التحويل الديني القسري. الرعايا الأجانب وكذلك الأقليات المحلية قادرون على ممارسة شعائرهم الدينية من دون تدخل من الحكومة أو المجموعات الدينية الأخرى.

وضع الجالية اليهودية:

الجالية اليهودية الصغيرة في مأمن من الهجمات أو التخريب. يوجد بعض التعليقات ورسوم الكاريكاتير السياسية المعادية للصهيونية ورسوم الكاريكاتير التي عادة ترتبط بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني ولكن خارج السياق السياسي فيتم احترام الأقلية اليهودية بشكل كامل والسماح لهم بالعمل بحرية. الشعب اليهودي في البحرين يمارس بانتظام عبادتهم دون تدخل من الحكومة. في عام 2008 عينت البحرين هدى عزرا نونو إبراهيم سفيرة في الولايات المتحدة.

التحسينات والتطورات الإيجابية في احترام الحرية الدينية:

أجريت الانتخابات البرلمانية والبلدية في نوفمبر وديسمبر 2006. المرشحون المرتبطون بالجمعيات السياسية القائمة على الدين فازوا ب32 من 40 مقعدا في مجلس النواب. خلال الانتخابات أجرى المرشحين من الجمعيات السياسية الدينية حملاتهم دون أي تدخل من الحكومة. كان هناك عضو يهودي واحد وعضو مسيحي واحد في مجلس الشورى المؤلف من 40 عضوا الذين تم تعيينهم في ديسمبر 2006 من قبل الملك في أعقاب انتخابات مجلس النواب. تم اختيار العضوة المسيحية من قبل زملائها لتكون النائب الثاني لرئيس مجلس الشورى وهي أيضا أحد ممثلي البلاد الأربعة في البرلمان العربي. كان هناك مرشح مسيحي في انتخابات المجلس البلدي لكنه هزم. في أبريل 2007 بدأت جمعية سيدات الأعمال البحرينية حملة توعية حول قانون الأسرة من خلال رعاية حلقة نقاش. لم تثر هذه القضية بأي شكل من الأشكال خلال الانتخابات التي جرت في نوفمبر وديسمبر 2006 على الرغم من حملة التوعية من قبل المجلس الأعلى للمرأة في خريف عام 2005 والندوات من قبل مجموعات المجتمع المدني الذين سلطوا الضوء على الحاجة إلى قانون الأسرة. أعقب ذلك نقاش عام ومسيرات في كل من صالح وضد مثل هذا القانون. خلال الفترة المشمولة بالتقرير

زار أعضاء من جماعة كنيسة عوالي نزلاء السجون المسيحيين مرة واحدة شهريا لتوفير الملابس وكتب الأدب المسيحية. قدم أعضاء من الكنائس الأخرى أيضا زيارات دورية لنزلاء السجون المسيحيين.

ومما تقدم نقول:

إن العالم يسير في طريق ديني مصدره السماء:

- اليهودية

- المسيحية

- الإسلام

- وطريق الأديان الأرضية:

- هندوسية

- بوذية

- أرواحية "قوى الطبيعة"

- لا دينين

- هيلينا بلافاتسكي و العقيدة السرية

-ثيو سوفيا"دين العقيدة السرية"

ويجمع كل هؤلاء أنهم أخوة وبشر يطمحون إلى السلام خارجيا وداخليا.

والله الواحد الفرد الصمد يهدي الجميع.

د\ سالم عبدالعزيز سالم عوده,

يطمح البشر جميعهم إلى بناء السلام:

- **خارجيا عالميا: بين الدول،والشعوب.**
- **وداخليا على مستوى الفرد ذاته**

وبناء السلام نشاط يهدف إلى حل مشكلة الظلم (أو عدم الإنصاف) بطرق لاعنفية، وتبديل الظروف الثقافية والهيكلية التي تولد صراعًا مميتًا أو مدمرًا. يتمحور حول تطوير العلاقات الشخصية والجماعية والسياسية البنّاءة، عبر الحدود العرقية والدينية والطبقية والقومية والعنصرية. وتشمل هذه العملية منع العنف، وإدارة الصراع، بإيجاد الحل أو التغيير، والمصالحة بعد الصراع أو علاج الصدمات، قبل أي حالة عنف وخلالها وبعدها. يُعتبر بناء السلام أسلوب أو تقنية متعددة التخصصات ومتعددة القطاعات، تصبح إستراتيجية عندما تعمل على المدى الطويل وعلى جميع مستويات المجتمع، لتأسيس وإدامة العلاقات بين الناس محليًا وعالميًا، وبالتالي إحداث سلام مستدام. تعالج الأنشطة الاستراتيجية لبناء السلام، الأسباب الجذرية للعنف أو الأسباب المحتملة له، وتخلق توقعات مجتمعية للحل السلمي للنزاعات، وإحلال

الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع. يتفاوت المشمولون في عملية بناء السلام تبعًا لحالة وعامل بناء السلام. تخلق أنشطة بناء السلام الناجحة، بيئة داعمة للسلام المتين والمستدام، والوفاق بين الخصوم، ومنع نشوء الصراع مجددًا، وإشراك المجتمع المدني، وإنشاء آليات لسيادة القانون، ومعالجة القضايا العمرانية والاجتماعية الأساسية. يزداد اعتقاد الباحثين والعاملين بكون بناء السلام أكثر فعالية وديمومة، عندما يعتمد على المفاهيم المحلية للسلام، والديناميات الأساسية التي تعزز الصراع أو تمكّنه. [1]

ـ تعريف بناء السلام:

يختلف التعريف الدقيق لبناء السلام تبعا للجهة الفاعلة، حيث تحدد بعض التعاريف ماهيّة الأنشطة التي تدخل في نطاق بناء السلام، أو تقيّد بناء السلام بالنسبة لتدخلات ما بعد الصراع. يُتّفق في جميع التعاريف على أن تحسين الأمن الإنساني هو المهمة الأساسية لبناء السلام، حتى ولو بقي مفهوم بناء السلام غير متبلور، ودون مبادئ توجيهية أو أهداف واضحة. [2]

يتضمن بناء السلام في هذا السياق، مجموعة واسعة من الجهود التي تبذلها مختلف الجهات الفاعلة في الحكومة والمجتمع المدني على المستويات المجتمعية والوطنية والدولية، لمعالجة الأسباب الجذرية للعنف، وضمان تحرر المدنيين من الخوف (سلم سلبي)، والتحرر من الفاقة (سلم إيجابي)، والتحرر من الإذلال قبل الصراع العنيف وخلاله وبعده.

[1] "ما هو بناء السلام الاستراتيجي؟". معهد كروك لدراسات السلام الدولي، جامعة نوتر دام.. 2018
"فهم بناء السلام باعتباره محليًا بشكل أساسي". الاستقرار: المجلة الدولية للأمن والتنمية،
[2] جينيفر م. (2007). "هل يمكن لحفظة السلام أن يكونوا بناة سلام؟". حفظ السلام الدولي. 14

تبقى فكرة بناء السلام مميزة، على الرغم من تداخل العديد من أهدافها مع أهداف صنع السلام وحفظ السلام وحل النزاعات. ينطوي صنع السلام على وقف نزاع مستمر، بينما تكون عملية بناء السلام قبل بدء النزاع أو بمجرد انتهائه. يمنع حفظ السلام استئناف القتال بعد الصراع، فهو لا يعالج الأسباب الكامنة وراء العنف ولا يعمل على إحداث تغيير مجتمعي، كما هو الحال في عملية بناء السلام. يختلف حفظ السلام أيضا عن بناء السلام، لأنه لا يحدث إلا بعد انتهاء الصراع، وليس قبل أن يبدأ. لا يشمل حل النزاعات بعض مكونات بناء السلام، مثل بناء الدولة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية. يُستخدم المصطلح أحيانًا للإشارة إلى سياقات ما بعد الصراع أو ما بعد الحرب، وبشكل أوسع للإشارة إلى أي مرحلة من مراحل الصراع. تتعامل جهود بناء السلام الوقائية -قبل أن يتحول الصراع إلى عنف- مع المصادر المحتملة لعدم الاستقرار والعنف، عن طريق برامج إصلاح القطاعات الأمنية والقانونية والصحية والتعليمية والاجتماعية والدبلوماسية والتنمية الاقتصادية. ويُصطلح ذلك أيضا بمنع الصراع. تسعى جهود بناء السلام لإدارة الجوانب الرئيسية للصراع، وتخفيفها وحلها وتبديلها، من خلال الدبلوماسية الرسمية، وكذلك من خلال عمليات السلام في المجتمع المدني، والحوار غير الرسمي والتفاوض والوساطة.

يعالج بناء السلام الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجذرية للعنف، ويعزز المصالحة لمنع عودة العنف المنظم والمباشر. تسعى جهود بناء السلام لتغيير المعتقدات والمواقف والسلوكيات، لتحويل الديناميات قصيرة وطويلة الأمد بين الأفراد والجماعات إلى تعايش أكثر استقرارًا وسلميًة. بناء السلام هو نهج لمجموعة كاملة من الجهود المتشابكة التي تدعم السلام.

عرّفت لجنة السياسات التابعة للأمين العام للأمم المتحدة بناء السلام في عام 2007 على النحو التالي: «ينطوي بناء السلام على مجموعة من التدابير الهادفة إلى تقليل خطر الانقضاء أو الارتداد إلى الصراع، من خلال تعزيز القدرات الوطنية على جميع المستويات لإدارة الصراع، ووضع الأسس اللازمة للسلام المستدام والتنمية المستدامة. يجب أن

تكون استراتيجيات بناء السلام متماسكة ومُكيّفة مع الاحتياجات المحددة للبلد المعني، بناءً على الملكية الوطنية، وينبغي أن تشتمل على مجموعة ضيقة نسبيا من الأنشطة المتعاقبة والتي حُددت أولوياتها بدقة، والهادفة إلى بلوغ المقاصد المذكورة آنفاَ.

والسلام على المستوى الشخصي الفردي هو ما يسمى:

- سلام داخلي:

السلام الداخلي (أو راحة البال) يشير إلى حالة السلام في تكوينه العقلي والروحي مع ما يكفي من المعرفة والفهم للحفاظ على قوة النفس في مواجهة الخلاف والتوتر.

أن تكون (في سلام) يعني للكثيرين أن تكون صحي (متوازن) وهو عكس أن تكون مرهقاً وقلقاً. وترتبط راحة البال عموماً بالنعيم والسعادة والرضا.

يعد كلاً من راحة البال والسكون والهدوء أوصاف لحالات تخلو من آثار التوتر. تعتبر بعض الثقافات السلام الداخلي حالة من الوعي أو التنوير التي قد يمكن الوصول إليها عبر أشكال مختلفة من التدريب، مثل: الصلاة، و التأمل ورياضة التشي تاي تشون (T'ai chi ch'uan) أو اليوغا. حيث تشير العديد من الممارسات الروحية إلى هذا السلام كتجربة لمعرفة الذات. وكثيراً ما يرتبط إيجاد السلام الداخلي مع التقاليد مثل: الهندوسية والبوذية.

يؤكد تنزين غياتسو، الدالي لاما الرابع عشر على أهمية السلام الداخلي في العالم:

المسألة الحقيقية للسلام الدائم للعالم يتعلق بالبشر، لذلك نجد أن المشاعر الإنسانية أساسية أيضاً. يمكن تحقيق السلام للعالم من خلال السلام الداخلي، حيث تتضح أهمية المسؤولية الفردية؛ يجب أولاً أن

نتوصل للسلام داخل أنفسنا، ثم يتوسع تدريجياً ليشمل عائلاتنا، مجتمعاتنا، وفي نهاية المطاف الكوكب بأكمله.[1]

-البحث في المجهول:

- ثيوصوفيا :

كلمة "ثيوصوفيا" مشتقة من الكلمتين اليونانيتين ثيوس theos التي تعني "إله" وصوفيا sophia التي تعني "حكمة"؛ فالكلمة بمجملها تعني "حكمة الاله" أو "الحكمة الإلهية".

ويعتبر اهم رواد الثيوصوفيا هيلينا بلافاتسكى التى ولدت في روسيا عام 1831 وكان لها اهتمام بالغ فى العلوم الغنوصية والباطنية . و قضت 7 سنوات في التبت حيث تتلمذت على يد كبار معلمى اليوجا والبوذية . وفي عام 1875 أسست الجمعية الثيوصوفية بمدينة نيويورك .

---

[1] كرافت ، كينيث (1992). السلام الداخلي ، السلام العالمي: مقالات عن البوذية واللاعنف. 1992. ص.2

والثيوصوفيا (العقيدة السرية) كانت العقيدة العالمية الأكثر انتشارا في العالم القديم وتعاليمها مازالت بين الجماعات الباطنية والروحانية حتى الآن ،فبدايتها كانت مع معلم البشرية الأعظم تحوت المسمى بهرمس الهرامسة
وهو ابوالكهنة المصريين ومؤسس علم الهرميات والهندسة المقدسة التى بنى على اساسها اهرامات المصريين وعقيدتهم الروحية
والمعروف ان علومه ورثها الصابئة والفلاسفه اليونان امثال افلاطون وارسطو وفيثاغورس وسقراط،،
و جميع مؤسِّسي الأديان العالمية علَّموا طرفًا من عقائد الثيوصوفيا. وما تزال ملامح من هذه الفلسفه باقيةً في أديان العالم الحية جميعًا، على كونها مدفونة، في أغلب الأحيان، تحت ركام من الشرائع والشروح الحرفية.

ويُعتبَر تدمير مكتبة الإسكندرية أحد العوامل الرئيسية التي تقف مباشرة من وراء ضياع هذه التعاليم أو كتمها. فقد كان ذلك الصرح الفكري والروحي العظيم يضم، فيما وصلنا، حوالى 700000 مجلد تحوي خلاصة الحكمة القديمة والتعاليم الفلسفية والسرَّانية التي ازدهرت في روما واليونان والشام ومصر وبذلك غاب عن العالم الغربي "مستودع الحكمة" (كما كانت مكتبة الإسكندرية تُسمَّى آنذاك)، وغاب بغيابه مصدر من أهم مصادر إلهام العالم .
ولقد تشربت ثقافة اليونان القديمة مبادئ الحكمة الالهية ، حيث علَّمتْ عدةُ مدارس أسرار الروح للصفوة من تلامذتها. ففي بلاد الإغريق، وارثة حكمة مصر، كانت الفلسفة والعلم والدين تُعلَّم ككلٍّ واحد لا يتجزأ، وكان مريدو الأسرار الصغرى في هياكل ذلفس وإلفسِس وساموثراكي وفي أكاديمية أفلاطون، وقبلئذٍ في مدرسة فيثاغوراس في كروتونا، يدرسون الرياضيات والفيزياء وعلم النجوم، إلى جانب التعاليم الخاصة بطبيعة الألوهة

والفيض والكوسمولوجيا ونواميس الطبيعة والبنية الباطنية للإنسان. أما "صفوة الصفوة" منهم، المؤهَّلة لولوج الأسرار الكبرى فكانت تركز جهودها على تفتيح ملكاتها وقواها الباطنة في سبيل التحقُّق بالمعرفة والحكمة عبر التأمل الباطني

وفي بلاد فارس كان زردشت، مؤسِّس ما يُعرف اليوم بالديانة الزردشتية أو الفارسية، من كبار المعلِّمين الباطنيين الذين أنجبتهم الانسانية
ويمكننا أن نجد ملامح من التعليم في الكابالا (التصوف اليهودى)، ولاسيما في سفر الزَّاهر الذي ينطوي على سرَّانية الربانيين الحكماء. ولقد ظلت حضارة الصين، حتى يومنا هذا، موئلاً للعقائد الباطنية كما أعلنها معلِّموها الطاويون العظام، أمثال لاوتسِه وخوانغ تسِه وغيرهما.

أما الهند، فقد بقيت المبادئ الغيبية آلاف السنين مزدهرة فيها ازدهارًا متواصلاً، يحمل ألويتها عمالقتها الروحيون، أمثال شنكراتشاريا وبَتَنْجلي والبوذا غَوْتاما،

ومن فلاسفه المسلمين من ترقى لمرتبة العقيدة الانسانيةالثيوصوفيا مثل:
- جعفرالصادق
- والوفى احمد مؤسس جماعه إخوان الصفا .
- وابن عربي
- والسهروردى
- وابن سينا

فهؤلاء وصلوا لمرتبه الثيوصوفيا ،حينما خرجوا من دائرة الشريعه الدينية والعبادات النمطية وترقوا لمرتبة وحدة الوجود والتوحيد الخالص.
ولوتحدثنا عن العقيدة الباطنية فى المسيحية فاننا نجد انها احتوت

كثيرا على المعانى الباطنية
فمخطوطات البحر الميت المكتشَفة في العام 1947 " التي تذكر بعض المصادر أنها دخلت في تماس مع البوذية عن طريق الرهبان الذين أرسلهم الملك البوذي آشوكا مبشِّرين بالبوذية، وتؤكد المصادر التي بين أيدينا أن يسوع أمضى فترة من حياته بين ظهراني الأسِّينيين – وإن يكن افترق عنهم فيما بعد دون أن يتنكَّر لصحة تعاليمهم. وسواء ومن المؤكد أن يسوع، بشهادة الإنجيليين، علَّم تلاميذه حقائق أعمق بكثير مما جهر به أمام عامة الناس الذين لم يكلِّمهم إلا بالأمثال.
وتُعتبَر الأناجيل (ولاسيما إنجيل يوحنا اللاهوتي) ورسائل القديسين بولس ويوحنا ورؤيا القديس يوحنا (نص مشبع بروح الكابالا ، لا يحتمل إلا تأويلاً رمزيًّا صرفًا) – ناهيكم عن بعض الأناجيل "المنحولة"، وبخاصة إنجيل توماالغنوصى احتوى نصوصًا سرَّانية حافلة بالتعاليم الباطنية.

- المبادئ العامة للثيوصوفيا، كما بسطتْها هيلينا بلافاتسكي في موسوعتها العقيدة السرية:-

1. الثيوصوفيا هي الحكمة المتراكمة عبر العصور، بدون أن يختص بها عصر دون عصر أو أمة دون أخرى.

2. هنالك مبدأ أصلي إلهي متجانس في ذاته، يصدر عنه العالم المنظور في فيض أبدي. هذا المبدأ تطلق عليه الثيوصوفيا اسم الكينونة Be-ness.

3. الكون المادي الذي نحيا فيه هو التجلِّي الدوري لحقيقة غير مادية، وهو حلقة ضمن سلسلة لامتناهية من الأكوان التي تظهر وتختفي في حركة مدٍّ وجزر من الدفق والانحسار أو الانطواء والانبساط.

4. الكون، بكلِّ ما فيه، عابر وزائل بالقياس إلى ديمومة المبدأ

الأصلي.

5. كلُّ ما في الكون، عبر مكوناته، واعٍ؛ أي أن وعيًا يسري في كلِّ مكوَّن من مكوَّناته يتناسب ومستواه من التفتح أو درجة إفصاحه عن المبدأ الأصلي.

6. يتشكَّل الكون ويوجَّه من الباطن إلى الظاهر، أو من الأعلى إلى الأدنى؛ وهو ليس حصيلة الصدفة العمياء، بل نتاج مبادئ داخلية قائدة تبطِّن تجلِّيه (بالمصطلح الحديث "ذاتي الانتظام" auto-organized).

7. نظام الطبيعة ككل يقيم الدليل على السببية والغائية معًا في التطور الطبيعي.

8. بين صور الحياة السارية في الكون علاقاتٌ متداخلة تداخلاً ديناميًّا حيًّا.

9. يتماثل كلُّ فرد، من حيث الماهية والجوهر، مع الكينونة أو المبدأ الأصلي المطلق، وإن كان يمرُّ عبر دورات متوالية من التجسُّد امتثالاً لناموس كرما karma، أو قانون السببية الكوني، باتجاه بلوغ المزيد من تفتُّح الوعي.

ان الثيوصوفيا هى العقيدة الانسانية الاسمى ،، بلاتقيد بتعاليم وشرائع دينية او تابوهات ومحرمات ،
هى من جمعت الاديان جميعا فى دين واحد هو الانسانية
انها تحمل المعانى الالهية السارية فى الكون وسائر الموجودات

مفتاح الثيوصوفيا -هيلينا بلافاتسكي،

الحكمة الإلهية ـ ديمتري أفييرينوس
العقيدة السرية- هيلينا بلافاتسكى

وفيما يسمى بالتوفيق الديني ظهر حركات وكتب في هذا المنحى ،مثل :

- "الموسوعة الثيوصوفية[1] والديانات السريّة "

هوَ كتابٌ ل\ جون فيرغسون صدرَ عام 2014 وتكلّف محمد الجورا بترجمتهِ ليصدر في وقتٍ لاحقٍ بنسختهِ العربيّة عن دار الفرقد للنشر. يتحدث الكِتاب عن بعضِ ما يُسمّيها «بالمفاهيم الجديدة» في عالَم الصوفية وعلاقاتها بباقي الديانات.[2]

عرض مبسط:

ينقسمُ الكتاب لجزأين؛يتحدث الجزء الأول عن المفاهيم الدينية في عالَم الصوفية والغنوصية مُحاولًا شرحها فيما يستعرضُ الجزء الثاني أعلام التصوف من كل مكان ومن جميع الفرق والمذاهب والتيارات.

من بينِ ما غاصَ فيه المؤلِّف في كتابه هذا كانَ كلمة سبينتا مانيو (Spenta Mainyue) في الزرادشتية والتي تعني الروح الخيّرة، التي تصبح شبيهة بأهورا مزدا كما يُسمّي الخصوم في المعركة بين النور والظلام بأورموزد وأهريمن Ahriman[3] كما يتحدثُ في موضعٍ آخر مثلًا عن يون-مين (بالإنجليزية: Yun-Men) وهوَ مُعلّم في الزينية الصينية، ومؤسس طائفة باسمهِ وعلاقته بالتصوّف.[4]

---

[1] ـ الصوفية هنا غير التصوف الاسلامي ،هي الحكمة الإلهية أو حكمة الإله.
[2] جون؛ فيرغسون (2014). الموسوعة الصوفية والديانات السرية. ظهر الكتاب. دار فرقد
[3] جون فيرغسون. الموسوعة الصوفية والديانات السرية. صفحة 56
[4] جون فيرغسون. الموسوعة الصوفية والديانات السرية. صفحة 56

حول "ثيوصوفيا" فلسفة الأديان "الكُفْر بالأديان السائدة حاليا":

- أنثروبوصوفيا:

-الأنثروبوصوفيا أو العرفان البشري فلسفة بدأها الباطني رودُلف شتَينر في بدايات القرن العشرين و تقضي بوجود عالم روحي موضوعي يمكن للبشر إدراكه و معايشته.

يُعنى أتباع هذه الفلسفة بتطوير الملكات العقلية التي تتيح الكشف الروحي بنمط فكري مستقل عن الإدراك الحسي، كما يسعون إلى تقديم أفكارهم بمنهجية يمكن التحقُّق منها بالأساليب العقلانية و التجريب، و إلى الدِّقَّة و الوضوح في دراسة العالم الروحي بما يماثل دقة و وضوح العلماء من دارسي ظواهر العالم المادي.

عالم التربية ومؤسِّس الأنثروبوصوفيا النمساوي رودلف شتاينر (1861 - 1925) في محاضرته التي ألقاها على أعضاء جماعة الأنثروبوصوفيا سنة 1925 عرّف الأنثروبوصافيا بأنّها :

"الطريق المعرفي الذي يربط بين القوى العقلية لدى مع القوى العقلية".

نشر رودولف شتاينر العديد من الكتب و ألقى محاضرات عن علم الأنثروبوصوفيا، وفقا للخبرات المعرفية العلمية الخاصة لعلم الروحانيات والتي خبرها من خلال دراسته للعلم.

هذه الخبرات كانت حصرا على أعضاء الجماعات السرية قبل نشره لها، إذ كان رأيه أن كل إنسان قادر على إدراك ومعايشة وفهم نتائج هذه الخبرات المعرفية، يلزمه لذلك تمارين تأملية وبحث متواصل عن الطريق المعرفي المناسب لها وسيتمكن حينها من التعرف شخصيا وبالتدريج على ذلك العالم الروحاني.

يعتقد رودولف شتاينر أن العالم سيكون متكاملا فقط عندما يتم استخدام وتطبيق وسائل البحث العلمي ومنطقها البحثي المعروف في حقول العلوم الطبيعية على العالم الروحاني أيضا.

وهذا يعني إيجاد صلة بين علم الطبيعة وبين علم الروحانيات، بمعنى أن الأنثروبوصوفيا تريد أن تصبح علم الروحانيات (وكلمة علم بالمعنى

المعروف في علم دراسات الطبيعة وليس بمعنى آخر.) صورة في الأنتروبوسوفيا تتألف من كائن ذي أربعة مكونات تكوينية متحدة مع بعضها البعض وهي :

- أولاً مكون الجسد ي أو ما يُسميه الأثيري
- وثانياً جسد الحياة
- وثالثاً الآسترال أو ما يُسميه المكون الروحي.
- ورابعاً المكون العقلي أو ما يُسميه الأنا.

يربط المكون الجسدي ي بالأرض ويربط المكون العقلي بالعالم الروحاني ، أما المكونان الأوسطان، أي مكون جسد الحياة والآسترال أو المكون الروحي فيقومان بمهمة التوفيق بين العالمين، أي الأرضي والروحاني.

تعتقد الأنتروبوسوفيا أن الـ أنا عند قد جاءت من وستعود إليه بعد الموت. ومن خلال عدد كبير من الولادات المتكررة، أي التناسخ سيتمكن الكائن ي من تقوية مكوناته الثلاث بمكون الـ أنا الرابع في العالم الروحاني. ويتم ذلك من خلال الاستفادة من الحرية المعطاة للمكون ي في حياته الدنيا التي ستزوده بالطاقة التطورية التي ستؤثر على تطور الـ أنا في في .

- لمحة تاريخية:

رودلف شتاينر:

وصلت أعمال مؤسس علم طبائع البشر رودلف شتاينر إلى ذروتها مع كتابه فلسفة الحرية (يترجم أيضًا تحت عنوان فلسفة النشاط الروحي والتفكير الحدسي كطريق روحي). في هذا الكتاب طور

شتاينر مفهومًا للإرادة الحرة مبنيًّا على التجارب الداخلية، وخاصةً تلك التي تحدث في النشاط الإبداعي للفكر المستقل.[1]

بحلول بداية القرن الثاني عشر، انتقل اهتمام شتاينر بشكل شبه حصري إلى الروحانيات. بدأ عمله يثير اهتمام آخرين مهتمين بالأعمال الروحانية؛ ومن بين هؤلاء الجمعية الثيوصوفية (أو جمعية الحكمة الإلهية). بدءًا من عام 1900، وبفضل التلقي الإيجابي الذي نالته أفكاره من الثيوصوفيين، ركز شتاينر أكثر على عمله مع الجمعية الثيوصوفية، ليصبح أمينًا لقسمها الألماني في عام 1902. ازدادت العضويات تحت قيادته بشكل كبير جدًّا، من مجرد حفنة من الأعضاء إلى تسعة وستين محفلًا.[2]

بحلول عام 1907، اتضح الانقسام بين شتاينر والجمعية الثيوصوفية. ففي حين اتجهت الجمعية نحو مقاربة شرقية وهندية على الأخص، فإن شتاينر كان يحاول تطوير مسار يجمع بين المسيحية والعلم الطبيعي[3].

لم يعد ممكنًا تجاوز الانقسام بعد تقديم آني بيزنت -رئيسة الجمعية الثيوصوفية آنذاك- للطفل جدو كريشنامورتي على أنه المسيح بعد عودته (تقمصه). اعترض شتاينر بشدة واعتبر أي مقارنة بين كريشنامورتي والمسيح هراءً؛ نفى كريشنامورتي ذلك أيضًا بعد عدة سنوات. أدت خلافات شتاينر المستمرة مع بيزنت إلى انفصاله عن الجمعية الثيوصوفية -أديار. تبعته الغالبية العظمى من الأعضاء الألمان في الجمعية بالإضافة إلى العديد من أعضاء أقسام البلدان الأخرى.

بحلول ذلك الوقت، كان شتاينر قد وصل إلى مكانة معتبرة كمعلم روحي وخبير في الباطنية.[4] تحدث عما يعتبره خبرته المباشرة للسجلات

---

[1] روبرت ماكديرموت ، The Essential Steiner، ، الصفحات 3-11

[2] جيفري أهيرن ، صن في منتصف الليل: حركة رودولف شتاينر والغنوص في ويست ، الطبعة الثانية ، 2009 ، جيمس كلارك وشركاه

[3] Lachman، Rudolf Steiner، New York: Tarcher /

[4] آهيرن ، جيفري. (1984): الشمس عند منتصف الليل: حركة رودولف شتاينر والتقليد الباطني الغربي

الأكاشية (تدعى أحيانًا «سجل أكاشا»، التي يعتقد بأنها سجلات روحية للتاريخ وما قبل التاريخ ومستقبل العالم والبشرية. وصف شتاينر في عدد من أعماله[1] مسار تطور داخلي شعر بأنه سيوصل أي أحد إلى تجارب روحانية مقارنة. في رأي شتاينر فمن الممكن تطوير رؤية الصوت، بشكل جزئي، عن طريق ممارسة أشكال صارمة من الانضباط الذاتي الأخلاقي والواعي، والتركيز، والتأمل. آمن شتاينر على الأخص بأن تطور المرء الروحاني يمكن أن يحدث فقط بعد فترة من التطور الأخلاقي.

- الغوتانيوم الثاني مقر جمعية علم طبائع البشر (الجمعية الأنثروبوسوفية) في سويسرا

في 1912، أُسست جمعية علم طبائع البشر (الجمعية الأنثروبوسوفية). بعد الحرب العالمية الأولى سارت الحركة الأنثروبوسوفية في اتجاهات جديدة. سرعان ما بدأ أتباع أفكار شتاينر بتطبيق تلك الأفكار لخلق حركات مضادة للثقافات السائدة في التعليم التقليدي والخاص، وفي كل من الزراعة، والطب.[6]

بحلول عام 1923 حدث شرخ بين الأعضاء الأكبر سنًّا الذين ركزوا على التطور الداخلي والأعضاء الأصغر الذين كانوا تواقين ليصبحوا نشطاء في التحولات الاجتماعية المعاصرة. حاول شتاينر ردًّا على ذلك أن يردم الهوة بتأسيس مدرسة كلية لعلم الروحانيات. كأساس روحاني للحركة التي أعيدت ولادتها، كتب شتاينر «تأمل حجر الأساس» الذي يظل ركنًا أساسيًّا مركزيًّا في أفكار علم طبائع البشر.

توفي شتاينر بعد سنة من ذلك بقليل، في عام 1925. أخرت الحرب العالمية الثانية مؤقتًا الحركة الأنثروبوسوفية في معظم أرجاء أوروبا

---

[1] التعليم غير المألوف: نظرة تاريخية على تعليم رودولف شتاينر والأنثروبولوجيا والتعليم والدورف". استعلام عن المناهج.

الوسطى، مع حظر الجمعية الأنثروبوسوفية ومعظم تطبيقاتها العملية ضد الثقافة من قبل النظام النازي.[1]

ومع أن عضوًا بارزًا على الأقل من الحزب النازي، وهو رودلف هس، كان مناصرًا بقوة للأنثروبوسوفيا، لم ينتمي سوى القليل جدًّا من الأنثروبوسوفيين إلى الحزب القومي الاشتراكي (الحزب النازي)[2].

بحلول عام 2007، أسست فروع وطنية للجمعية الأنثروبوسوفية في خمسين دولةً ونحو 10,000 مؤسسة حول العالم كانت تعمل على أساس أفكار أنثروبوسوفية.[3]

الأصل اللغوي للمصطلح والاستخدامات السابقة للكلمة:

الأنثروبوسوفيا نحت لغوي من المصطلحين اليونانيين ἄνθρωπος (أنثروبوس = «إنسان») و σοφία (صوفيا = «حكمة»). سجل استخدام إنجليزي قديم للكلمة بواسطة ناثان بيلي (1742) بمعنى «معرفة طبيعة الإنسان»[4].

إغناز بول فيتالس تروكسلر

أول استخدام معروف لمصطلح أنثروبوسوفي كان في أرباتل دي ماجيا فيتيروم (بالعربية «أرباتل: عن سحر القدماء»)، وهو كتاب مجهول الكاتب نُشر عام 1575 وينسب إلى هاينريش كورنيليوس أغريبا. يصف العمل الأنثروبوسوفيا (والثيوصوفيا) أوصافًا متعددة بأنها فهم للخير أو الطبيعة أو الشؤون البشرية. في عام 1748 نشر

---

[1] Waldorf- ‹. Inge Hansen-Schaberg and Bruno Schonig (eds.) Pädogogik (ردمك 3-8340-0042-6)

[2] فلين ، توم ؛ دوجان ، دان (2007). موسوعة الكفر الجديدة. كتب بروميثيوس. ص. 74-76. 978-1591023913. مؤرشف من الأصل في

[3] الأنثروبولوجيا" ، قاموس أكسفورد الإنجليزي

[4] توماس فوغان (Eugenius Philalethes): Anthroposophia Theomagica ، أو خطاب عن طبيعة الإنسان وحالته بعد الموت. أكسفورد 1648

الفيلسوف الويلزي توماس فوغان كتابه أنثروبوسوفيا ثيوماجيكا، أو مسار طبيعة الإنسان وحالته بعد الموت.[1]

بدأ المصطلح بالظهور والتداول في الأعمال الفلسفية في منتصف وأواخر القرن التاسع عشر.[2]

في أوائل ذلك القرن، استخدم إغناز تروكسلر مصطلح «أنثروبوسوفيا» للإشارة إلى الفلسفة المتعمقة في معرفة الذات، التي يقترح بأنها تسمح بمعرفة أكثر عمقًا للطبيعة كذلك. تحدث عن الطبيعة البشرية كأنها وحدة غامضة للإله والعالم. استخدما إيمانويل هيرمان فيخته
مصطلح أنثروبوسوفيا للإشارة إلى «المعرفة الدقيقة الذاتية البشرية»، والتي يمكن تحقيقها عبر فهم الروح البشرية وعمل الإله في هذه الروح في عمله عام 1856 بعنوان الأنثروبولوجيا: دراسة الروح البشرية.
في عام 1872، استخدم فيلسوف الدين غيديون سبيكر
مصطلح أنثروبوسوفيا للإشارة إلى معرفة النفس التي توحد الإله والعالم: «الدراسة الحقيقية للكائن البشري هي الكائن البشري، أسمى غايات الفلسفة هي معرفة النفس، أو الأنثروبوسوفيا»[3].

في 1882، نشر الفيلسوف روبرت زيمرمان أطروحة «موجز الأنثروبوسوفيا: أطروحة لنظام من المثالية القائمة على أساس واقعي»، مقترحًا بأن الفلسفة المثالية يجب أن توظف التفكير المنطقي لتوسيع التجارب العلمية (الإمبريقية)[4].

حضر شتاينر محاضرات قدمها زيمرمان في جامعة فيينا في بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر؛ أي في فترة نشر هذا الكتاب.[19]

---

[1] توماس فوغان (Eugenius Philalethes): Anthropposophia Theomagica ، أو خطاب عن طبيعة الإنسان وحالته بعد الموت. أكسفورد 1648

[2] تم استخدام المصطلح على سبيل المثال في مناقشة Boehme في Notes and Queries ، 9 مايو 1863 ، ص. 373 "

[3] Die Philosophie des Grafen von Shaftesbury .، 1872

[4] الأنثروبوسوفي إم أومريس المثالي. Entwurf eines Systems Weltsicht auf realistischer Grundlage، 1882

في بداية القرن العشرين، بدأ شتاينر يستخدم مصطلح أنثروبوسوفيا (أي الحكمة الإنسانية) كبديل لمصطلح ثيوصوفيا (أي الحكمة الإلهية أو المقدسة).

الأفكار المحورية:

المعرفة الروحية والحرية:

يسعى مناصرو الأنثروبوسوفيا لتوسعة وضوح المنهجية العلمية لتشمل ظاهرة حياة الروح البشرية والتجارب الروحانية. آمن شتاينر بأن هذا يتطلب تطوير أدوات جديدة لمراقبة الروحانيات بشكل موضوعي، الأمر الذي أصر بأنه ما يزال ممكنًا للبشر المعاصرين.

عرف خطوات عملية التطوير الذاتي هذه بالخيال، والوحي، والحدس [1]،

بتحقيق كل منها بشكلٍ واع. آمن شتاينر بأن نتائج من هذا النوع من البحث الروحاني يجب أن يعبر عنها بطريقة يمكن فهمها وتقييمها على نفس الأسس المستخدمة في نتائج العلم الطبيعي.[2]

أمل شتاينر بتشكيل حركة روحانية يمكنها تحرير الفرد من أي سلطة خارجية. قدرة الإنسان على التفكير المنطقي عند شتاينر تسمح للأفراد بفهم البحث الروحاني بأنفسهم وبتجاوز خطر الاعتماد على سلطة مثله هو نفسه.[21]

باين شتاينر الطريقة الأنثروبوسوفية عن كل من الباطنية التقليدية، التي اعتبرها بعيدةً عن الوضوح اللازم للمعرفة الدقيقة، والعلم الطبيعي، الذي اعتبره محدودًا عشوائيًّا بما يمكن رؤيته أو سماعه أو الشعور به بالحواس الخارجية.

طبيعة الكائن البشري:

---

[1] بيتر شنايدر ، أينفهرونغ في والدورف بادوجيك

[2] : أ ب**Peter Schneider ، Einführung in die Waldorfpädogik، pp. 20-1؛**
يقتبس شنايدر هنا من أطروحة شتاينر ، الحقيقة والمعرفة

في ثيوصوفيا، اقترح شتاينر أن الكائنات البشرية تجمع جسمًا فيزيائيًا من مواد مجموعة من (وتعود في النهاية إلى) العالم غير العضوي؛ وجسمًا حيويًا (يدعى أيضًا جسمًا أثيريًّا) يوجد أيضًا لدى كل الكائنات الحية بما فيها النباتات؛ وحامل الإحساس أو الوعي (يدعى أيضًا الجسم النجمي) يوجد أيضًا لدى كل الحيوانات؛ والأنا التي تشكل أداة الوعي بالذات الخاص بالكائنات البشرية.

تصف الأنثروبوسوفيا تطورًا عامًّا للوعي البشري. تمتلك المراحل المبكرة من التطور البشري إدراكًا حدسيًّا للواقع، يشمل إدراكًا بصيريًّا للوقائع الروحانية. طورت البشرية بالتتابع اعتمادًا متزايدًا على الأدوات الفكرية، ولكنها خسرت بالتوافق مع ذلك التجارب البصيرية أو الحدسية، التي أصبحت تأسلية (بائدة)[1].

نشاطات الأنثروبوسوفيا في حقول الحياة الاجتماعية:

صورة إنسان الأنتروبوسوفيا هذه وسمت وطورت حقولاً في الحياة الاجتماعية في عالمنا. ومن خلالها ـ نشأت فكرة المتواجدة في أنحاء عديدة في العالم. ـ وكذلك طب الأنتروبوسوفيا المُمَثَّل في مدارس الشفاء وجمعيات الحياة وورش العمل إلخ. وكذلك في ميدان الزراعة المُمَثَّلة في الزراعة الديناميكية العضوية. ـ وأيضا في الفنّ مثل فن رقص الأويروتمي وأشكال اللغة والفن التثقيفي وفن التمثيل. ـ وفي ميدان الاقتصاد المُمَثَّل في فلسفة الأعمدة الثلاثة للحياة الاقتصادية ومراكز الاستشارة لأصحاب الأعمال وغيرها.

المراكز البحثية والدراسية:

تتم دراسة الأنتروبوسوفيا من خلال البحوث التي قام بها رودولف شتاينر ونتائجها حتى الآن مِن قِبَل مجاميع عمل عديدة ومجالس بحثية. ويقوم الباحثون والدارسون والناس المشاركين بتطبيق ما يتوصلون إليه من نتائج تطويرية في مجالات حياتهم الخاصة والعامة. المؤسسة الرسمية الراعية لهذه البحوث والدراسات هي مجتمع الأنتروبوسوفيا

---

[1] روبرت أ. ماكديرموت ، "رودولف شتاينر والأنثروبولوجيا" ، في Faivre and Needleman ، الروحانية الباطنية الحديثة ، (ردمك 0-8245-1444-0) ، ص. 299-301

والتي يقع مقرها في مركز الغوتوية(نسبة إلى الشاعر غوته الذي تأثر به شتاينر) في الجامعة المستقلة للعلوم الروحانية التي يقع مقرها الرئيسي في مدينة دورناخ في سويسرا، والتي لها فروع في أنحاء كثيرة من العالم. يُقَدَر عدد المنتمين رسميا للأنتروبوسوفيا في العالم بحدود 50 ألف شخص.

الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثةمدخل إلى دراسة العقيدة السرية

ديمتري أفييرينوس:

ثمة ثلاث حقائق مطلقة لا تضيع، إنما قد يُصمَتُ عنها لفقدان الكلام:

ـ روحُ الإنسان خالدة ومستقبلُها مستقبلُ أمرٍ لا حدود لنمائه وبهائه.

ـ المبدأ الواهبُ الحياة يقيم فينا وخارجنا، وهو لا يموت وخيِّر أبدًا؛ لا يُسمَع أو يُرى أو يُشَمُّ، لكنْ يبصرُه الإنسان التوَّاق إلى البصيرة.

ـ كلُّ إنسان فهو شارع نفسه المطلق، والمقدِّر على نفسه العزَّة أو الخذلان، والمفتي في حياته وثوابه وعقابه.

هذه الحقائقُ العظيمة عظمةَ الحياة نفسِها بسيطةٌ بساطةَ أبسط عقل بشري؛ فغذِّ بها الجياع.

السيِّد هيلاريون

(حكاية السدرة البيضاء، أُملِيتْ على ميبل كولنز، الفصل الثامن)

ألا فلتأتِنا الأفكارُ النبيلة من كلِّ صوب[1].

رِغْ فيدا 1-89-أ

ـ مقدمة تاريخية عن الثيوصوفيا:

يشير التاريخ السرَّاني للإنسانية – ألا وهو التاريخ الذي لا تطال أيدي المدرسيين من المؤرخين سجلاتِه – إلى وجود نواة أو "جذوة" من الحقيقة، تظهر وتختفي على كرِّ العصور وفقًا لإيقاع دوري تنتظمُه نواميس عليا، فتُعلَّم جهرًا لتهيمن على حضارة بأسرها وتطفو على سطحها تارة (كما في مصر القديمة والهند وبلاد الإغريق في عصرها الذهبي)، أو تُكتَم عن عامة الناس وتُعلَّم سرًّا للصفوة التي تصبو إليها طورًا. ولقد كانت تلك الجذوة أو الشعلة – تلك "العقيدة السرية"[2]، كما سمَّتها السيدة هيلينا بتروفنا بلافاتسكي – إبان الدور الذهبي من ماضي الإنسانية السحيق ملكًا لجميع الناس ولم تكن حكرًا على فئة دون فئة؛ لكن نزوع غالبية البشر، على إثر التفتُّح المطَّرد للمبدأ العقلي الأدنى أو الذهني **mental principle**، إلى الأنانية والأثرة، جعل المؤتَمَنين على تلك الشعلة من السادة الحكماء لا يسرُّون بالحقائق الجوهرية إلا لتلامذة مختارين، حقيقين باقتبالها وصونها عبر

---

[1] - *رِغْ فيدا* 1-89-أ

[2] - هذا المصطلح مرادف في الأدبيات الثيوصوفية لمصطلحات أخرى من نحو "الثيوصوفيا" و"الحكمة الخالدة" و"الفلسفة الباطنية" إلخ، ويجب ألا يلتبس بعنوان موسوعة السيدة بلافاتسكي الباطنية *العقيدة السرية*، على الرغم من أن هذه الأخيرة عرض للمبادئ الأساسية للفلسفة الباطنية.

"المسارَرة" **Initiation**. ولقد صيغت هذه العقيدة–الأم صياغات متعددة؛ وبحسب أزمنة إعلانها وأمكنته كان التشديدُ على هذا الركن من أركانها أو ذاك. غير أن مبادئها الأساسية ظلت ثابتة عبر العصور، لم تطلها يدُ البِلى أو التحريف.

لقد أصرَّت السيدة بلافاتسكي – تلك المرأة الجسور التي جهرت بمبادئ الحكمة الأزلية تحت مصطلح ثيوصوفيا[1] **theosophia** – في تصريحاتها وكتاباتها كلَّ الإصرار على وحدة كلِّ الأديان في الجوهر والغاية، ونظرت إليها جميعًا بوصفها نتفًا مختلفة الأشكال والألوان من نور الحقيقة الإلهية الواحدة، فشبَّهتْ الثيوصوفيا بالشعاع الأبيض للضوء وكلَّ دين بلون من ألوان الموشور الستة (اللون النيلي درجة من درجات الزرقة). هنالك أديان عديدة حقًّا، لكن الدين الشامل واحد أبدًا: إنه دين الحكمة **Wisdom Religion** الذي يدعى كذلك في الأدبيات الثيوصوفية بـ"الفلسفة الباطنية" **Esoteric Philosophy**.[2] ويخبرنا كتاب العقيدة السرية (أضخم المؤلفات التي خلَّفتها السيدة بلافاتسكي وأهمُّها) بأن الفلسفة الباطنية تؤلِّف بين جميع الأديان فتجرِّد كلاً منها من ردائه الخارجي الظاهر وتبيِّن لنا أن جذر كلٍّ منها هو عينه جذر الأديان الأخرى. وهذا الجذر أو الأصل المشترك هو، كما أسلفنا، دين الحكمة الذي يضمُّ المعرفة المتراكمة عبر العصور بفضل آلاف الرائين والعارفين بالأسرار.[3] ،نقرأ في الكتاب المذكور أن العقيدة السرية كانت الديانة العالمية الانتشار في العالم القديم وما قبل التاريخي. وما تزال البراهين على انتشارها وسجلات تاريخها – وهي سلسلة كاملة من

---

[1] كلمة *ثيوصوفيا* مشتقة من الكلمتين اليونانيتين *ثيوس* ***theos*** التي تعني "إله" و*صوفيا* ***sophia*** التي تعني "حكمة"؛ فالكلمة بمجملها تعني "حكمة الآلهة" أو "الحكمة الإلهية". راجع: هـ. ب. بلافاتسكي، *مفتاح الثيوصوفيا*، الفصل الأول، *معابر*، الإصدار الثاني، باب "كتب وقراءات".

[2] لقد استشف الباحث فراس السواح هذه الحقيقة بعد دراسته لميثولوجيا الشعوب، متوصلاً إلى نتيجة مشابهة، فكتب مشدِّدًا على وحدة التجربة الروحية الإنسانية عبر الزمان واختلاف المكان: " إن كلَّ دين أو نظام ميثولوجي ليس إلا قطعة ملونة صغيرة في فسيفساء بديعة زاخرة بالأجزاء التي تبدو مستقلة عن قرب، متوحِّدة عن بعد، في نظام متكامل يعطي معنى لكلٍّ من أجزائه، ويستمد معناه من هذه الأجزاء ذاتها ." (فراس السواح، *لغز عشتار*، سومر، نيقوسيا، 1985، ص 10)

[3] هذه الحقيقة في بيت الحسين بن منصور الحلاج:

تفكَّرتُ في الأديان جدَّ محقِّقٍ * فألفيتُها أصلاً له شعبٌ جمَّا

الوثائق تبيِّن طابعها ووجودها في البلدان جميعًا – كما وعلى تعاليم كبار نطسائها موجودة حتى الساعة في الأقبية السرية للمكتبات الخاصة بالأخوية الغيبية.

يُعرَف لُباب المعرفة هذا (أو "المنقول الغيبي" Occult Tradition) اليوم، إذن، باسم الثيوصوفيا؛ وهو يدعى "غيبيًّا" لا لأن أساتذته يهتمون بـ"الخوارق" وبالشعبذة، كما يحسب بعض السطحيين، بل لأنه يختص بما هو باطن مستور،[1] لا بما هو ظاهر جلي، من حيث إنه يتناول المسائل والقضايا المتعلقة بسيرورات الطبيعة ونواميسها الخفية، وبذلك يشتمل على العلم ويمضي شوطًا أبعد منه على طريق معرفة الحقيقة: فهو يتضمن دراسة المبادئ الإلهية الكبرى المهيمنة على الكون والمسيِّرة له التي يُصطلَح على تسمية معرفتها ببرهما فِديا Brahma-Vidya (العلم الروحي أو الإلهي).[2] ولعل خير تعريف بالثيوصوفيا، من هذا المنظور، نجده في كتاب محيط الثيوصوفيا:[3]

> الثيوصوفيا هي ذلك المحيط من المعرفة الممتد من ساحل من سواحل تطور الكائنات المُحِسّة إلى آخر. ومع أنها في أعماقها التي لا يُسبَر غورُها تفسح لأعظم الأذهان مجالها الأوسع، فهي عند شواطئها من الضحالة بما لا يُغرِق فهم طفل. هي الحكمة عن الله عند الذين يؤمنون أنه الكل في الكل، وهي الحكمة عن الطبيعة عند المرء الذي يقبل التصريح الوارد في الكتاب بأن الظلمة تكتنف سرادقه. ومع كونها تتضمن بالاشتقاق كلمة الله، وبذلك قد تبدو مشتملة على الدين وحده، فإنها لا تهمل العلم أيضًا؛ ذلك لأنها علم العلوم، ولذا دُعِيت بدين الحكمة. فما من علم تام يغفل أيَّ قطاع من قطاعات الطبيعة، مرئيًّا أو غير مرئي؛ والدين، باستناده إلى الوحي المزعوم وحسب، وضربه كشحًا عن الأشياء وعن

---

[1] لذا يدعى بالسنسكريتية غُبْتا فِديا gupta-vidya، أو "المعرفة المستورة".

[2] لما كانت الشعلة الإلهية في الإنسان، أو ذاته العميقة (أتما atma)، واحدة من حيث الجوهر مع برهمن، أو الكينونة، فإن "العلم الإلهي" أو الثيوصوفيا يدعى أحيانًا بأتما فِدْيا atma-vidya أي "معرفة الذات".

[3] William Q. Judge, *The Ocean of Theosophy*, The Theosophy Company, Los Angeles, 1987, p. 1.

القوانين التي تنتظمُها، ليس إلا مجرد أضلولة وعدوًّا للتقدم وحاجزًا في سبيل سعي الإنسان نحو السعادة. أما الثيوصوفيا فهي، باشتمالها على العلم والدين جميعًا، دين علمي وعلم ديني.

لقد جرى الناس – وخصوصًا في الغرب – على عادة الخلط بين مصطلح الغيبيات Occultism (الأبعاد العملية التطبيقية للفلسفة الباطنية) وبين "الفنون الغيبية" Occult Arts التي تضم المِسْمِرية Mesmerism (التنويم المغناطيسي) والاستبصار Clairvoyance والجانب المادي الضحل من علم النجوم Astrology والكيمياء (القديمة) Alchemy إلخ. لكن هذا الالتباس المؤسف يزول متى علمنا أن العلم "الغيبي" Occult Science لا يمتُّ بصلة إلى السحر والخوارق – إن كان ثَمَّ حقًّا ما يخرق قوانين الطبيعة أصلاً! – مع أنه يشتمل على كافة المبادئ والأسس النظرية المنطقية لتفسير مثل هذه الظواهر، بل يتناول، بالدرجة الأولى، النواميس الكونية التي تحكم ظواهر الطبيعة، وبذلك يشكِّل، من وجهة نظر معاصرة، استطالة للعلم تمتد لتشمل كافة المبادئ المبطِّنة للكون القابل للرصد بأدوات العلم. العالِم الغيبي الحق عالم تجريبي بامتياز (كما يُستشَف من نصِّ دْجَدْجْ الذي أوردنا) لأنه، هو الآخر، يستهدف معرفة ما خَفِيَ من أسرار الطبيعة والكون؛ بيد أنه، بدلاً من أن يحصر نشاطه ومكتشفاته في العالم الجسماني (أي المادي)، فإنه ينظر إلى الطبيعة باعتبارها كلاً عضويًّا شاسعًا ليس العالم الجسماني منه إلا النقاب أو القشر الخارجي. إن حقيقة العالِم الغيبي، مثلها كمثل حقيقة عالِم الفيزياء، تقبل التحقق منها أو البرهان عليها، لكن السبيل إلى ذلك مختلف بين الحقيقتين. فالعالِم الغيبي يدرك، بالكشف الروحي والوعي الصافي، أن العوالم غير المنظورة تنطوي على العوامل السببية لكلِّ الموجودات ولكلِّ ما يولَّد في دائرة الوجود الظاهر كلَّ ما يقبل الإدراك بالحواس.[1]

---

[1] يقول الفيلسوف الثيوصوفي ندره اليازجي: " العلم الروحي يشير إلى أن المعرفة السامية والوعي الصافي لا يتحققان إلا بالطرق الروحية التي تتجاوز كلَّ تجربة حسية – تلك الطرق التي عرفها حكماء

إن بدايات التعليم الغيبي، كما سبق وألمعنا، ليست مدوَّنة في التاريخ الذي بين أيدينا، لكننا نستطيع تكوين تصور عن مبلغ قِدَم دين الحكمة بالنهوض بدراسة معمَّقة لمؤلفات السيدة بلافاتسكي، فنتبيَّن أنه وصلنا بكامل نقائه دون أن يطرأ عليه أيُّ تعديل (اللهم إلا في "أسلوب" التعبير) بعد أن تناقلتْه الحضاراتُ واحدة بعد الأخرى كما تُتناقَل الشعلة الأولمبية.

يبتدئ ما وصلنا من السجلات المدونة في بلاد الكلدان وبابل وكنعان، ويُعتبَر ما بلغنا من أساطير سوريا وبلاد الرافدين من أغنى النصوص بالحقائق الباطنية، مغلَّفةً بنقاب كثيف من الرموز. وفي بلاد فارس كان زردشت، مؤسِّس ما يُعرف اليوم بالديانة الزردشتية أو الفارسية، من أكابر المعلِّمين الباطنيين الذين أنجبتهم الإنسانية. أما مصر فقد ظلت أهرامها وهياكلها "مستودعات" للتعليم إبان قرون طوال – ويقال إنها لا تزال.

وفي أوروبا تبنَّت الشعوب الكِلتية **Celts** وكهنتها الدرويد **Druids**، في زمن الرومان، هذا التعليم عندما أنيط بها حملُ المشعل. ويمكننا أن نجد ملامح من التعليم في القبَّالة **qabbalah** (التصوف الإسرائيلي)، ولاسيما في سفر الزَّاهر الذي ينطوي على سرَّانية الربانيين الحكماء. ولقد ظلت حضارة الصين، حتى يومنا هذا، موئلاً للعقائد الباطنية كما أعلنها معلِّموها الطاويون العظام، أمثال لاوتسِه وخوانغ تسِه وغيرهما. أما الهند، فقد بقيت المبادئ الغيبية آلاف السنين مزدهرة فيها ازدهارًا متواصلاً، يحمل ألويتها عمالقتها الروحيون، أمثال شنكراتشاريا

الماضي وتوصلوا بها إلى معرفة أسرار الكون والحياة والإنسان." (*المادة والروح: تأليف جديد*، دار الغربال، دمشق 1978، ص 8)

وبَـتَـنْجلي والبوذا غَوْتاما،[1] إلى جانب مئات الحكماء والسرَّانيين العارفين.[2]

ولقد تشربت ثقافة اليونان القديمة مبادئ المنقول الباطني، حيث علَّمتْ عدةُ مدارس أسرار الروح للصفوة من تلامذتها. ففي بلاد الإغريق، وارثة حكمة مصر، كانت الفلسفة والعلم والدين تُعلَّم ككلٍّ واحد لا يتجزأ، وكان مريدو الأسرار الصغرى **Lesser Mysteries** في هياكل ذلفس وإلفسِس وساموثراكي وفي أكاديمية أفلاطون، وقبلئذٍ في مدرسة فيثاغوراس في كروتونا، يدرسون الرياضيات والفيزياء وعلم النجوم، إلى جانب التعاليم الخاصة بطبيعة الألوهة والفيض والكوسمولوجيا ونواميس الطبيعة والبنية الباطنية للإنسان. أما "صفوة الصفوة" منهم، المؤهَّلة لولوج الأسرار الكبرى **Greater Mysteries**، فكانت تركز جهودها على تفتيح ملكاتها وقواها الباطنة في سبيل التحقُّق بالمعرفة والحكمة عبر التأمل الباطني وغيره من الرياضات السرَّانية.

لقد كان فيثاغوراس وأفلاطون قطعًا من معلِّمي الأسرار. وبعد أفول الحضارة الإغريقية واصل الفلاسفة الإسكندرانيون، بمن فيهم أفلوطين والحكيمة الشهيدة هيباشيا، صون شعلة التعليم الذي كان في عهدة الإغريق وأغنوه بعبقريتهم التأليفية: فقد قام الأفلاطونيون والفيثاغوريون الجدد بمحاولة رائدة للتأليف بين التعاليم الإغريقية والمشرقية، ولاسيما تعاليم الهند، فجرى بفضلهم تلاقحٌ مثمر بين حكمة الهند، من جهة، وتعاليم شرق حوض المتوسط، من جهة ثانية. وفي حدود ما نعلم، كان أمُّونيوس ساكَّاس، الملقَّب بـ"تلميذ الآلهة" ومعلِّم أفلوطين، أول من استعمل مصطلح ثيوصوفيا **theosophia** للدلالة

---

[1] كتاب: تداعياتنا في "الهند: موطن الروح" في جزأين (*معابر*، الإصداران السابع والتاسع، باب "منقولات روحية") للوقوف على بعض ملامح تعاليم كلٍّ من شنكرا (*الأدفيتافيدنتا*) وبتنجلي (*الراجايوغا*) والبوذا غوتاما (مؤسِّس البوذية التاريخي).

[2] في أماكن سرية من هضبة التيبت – "سقف العالم" – وجبال الهملايا ما تزال *الأخوية البيضاء* التي تضم السادة الحكماء المشرفين على تطور الجنس البشري تنتظر الأوان المناسب لكي تُطلِع عددًا من التلامذة المختارين على نصوصٍ من أقدم نصوص الحكمة المدوَّنة في العالم – تلك الحكمة الأزلية التي أنيطت بالسيدة بلافاتسكي إزاحةُ طرف الحجاب عنها عندما ارتأى أولئك "الأشقاء الكبار" أن عددًا من الناس بات مستعدًّا لاقتبالها.

على المنقول الباطني؛ ففي القرن الثالث أسَّس هذا الفيلسوف ما يمكن تسميته بـ"المنهاج الثيوصوفي الاصطفائي" Eclectic Theosophical System الذي حاول من خلاله الجمع بين تعاليم المدارس الدينية والسرَّانية المزدهرة في زمانه في إطار مشترك أخلاقي ومعرفي – وهي غاية ليست ببعيدة عن غاية الثيوصوفيا المعاصرة التي تعتبر نفسها الوارثة الشرعية لتلك المحاولة الرائدة.[1]

من جهة أخرى، تصف مخطوطات البحر الميت المكتشَفة في العام 1947 "معلِّمًا للحق" تتلمذ في مدارس الأسرار الأسِّينية،[2] التي تذكر بعض المصادر أنها دخلت في تماس مع البوذية عن طريق الرهبان الذين أرسلهم الملك البوذي آشوكا مبشِّرين بالبوذية، وتعبِّر تعاليمها عن تفاعل التعاليم الإسرائيلية (وليس "اليهودية") المسيائية (المخلِّصية) مع الروح البوذية. وتؤكد المصادر التي بين أيدينا أن يسوع أمضى فترة من حياته بين ظهراني الأسِّينيين – وإن يكن افترق عنهم فيما بعد دون أن يتنكَّر لصحة تعاليمهم. وسواء صحَّ ذلك أم لم يصح، من المؤكد أن يسوع، بشهادة الإنجيليين، علَّم تلاميذه حقائق أعمق بكثير مما جهر به أمام عامة الناس الذين لم يكلِّمهم إلا بالأمثال.[3] وتُعتبَر الأناجيل

---

[1] الغايات التي تنادي الحركة الثيوصوفية المعاصرة بتحقيقها هي: أ. تشكيل نواة للأخوَّة الإنسانية الشاملة دونما تمييز بين عرق أو مذهب أو جنس أو طائفة أو لون؛ ب. الدراسة المقارنة بين الأديان والفلسفات والعلوم، قديمها وحديثها؛ ج. استقصاء قوانين الطبيعة غير المفسَّرة والقدرات الكامنة في الإنسان.

[2] راجع: حسين عمر حمادة، *مخطوطات البحر الميت*، منارات، عمَّان 1982، ص 45 و47 وما بعدها

[3] - *إنجيل متى* 13: 10-15 و*إنجيل مرقس* 4: 33 و34. هناك ثلاثة أسباب رئيسية تستوجب ستر الجانب الباطن من الدين: أ. للكون وجهان: ظاهر وباطن؛ فإذا كان الإنسان صورة كونية مختصرة، اقتضت دراسة بنيانه وجود شقين للدراسة: الأول ظاهر مكشوف والثاني باطن مستور. ب. وجوب التدرُّج في تلقين التعاليم بما يتوافق مع التفاوت في النضج الداخلي للمريدين؛ إذ لما كان علم الباطن علمًا عمليًّا يضع الإنسان في تماس مباشر مع طاقات الكون المذهلة فلا بدَّ للمريد من أن يكون مستعدًّا للدخول في هذا التماس دون أن يجازف بسلامة جهازه العصبي أو حتى بسلامة مبدئه الذهني. ج. وجود تعاليم تتناول البنيان الباطن للطبيعة وتفسِّر نواميسها الغامضة التي تزوِّد عارفَها بالقدرة على السيطرة على طاقات طبيعية وكونية شتى، وتمكِّنه من توجيه هذه الطاقات نحو غايات محدَّدة؛ من هنا ضرورة أن يكون المريد نقي القلب، زاهدًا في منفعته الخاصة، يتورع عن استخدام معرفته لمآرب أنانية. في ضوء ما تقدم يتضح معنى حديث نبي الإسلام: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم"، وقول يسوع القاسي: "لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس، ولا تلقوا لؤلؤكم إلى الخنازير، لئلا تدوسه بأرجلها، ثم ترتدَّ إليكم فتمزِّقكم." (*إنجيل متى* 7: 6)

(ولاسيما إنجيل يوحنا اللاهوتي) ورسائل القديسين بولس ويوحنا ورؤيا القديس يوحنا في بطمُس (نص مشبع بروح القبالة الإسرائيلية، لا يحتمل إلا تأويلاً رمزيًّا صرفًا) – ناهيكم عن بعض الأناجيل "المنحولة"، وبخاصة إنجيل توما الغنوصي – نصوصًا سرَّانية حافلة بالتعاليم الباطنية التي يقصِّر المسيحيون – إلا أقلهم – في سبر بواطنها بفهم إشاراتها وتأويل رموزها. ولقد تبنَّى الغنوصيون – وهم تربة المسيحية الأولى في منطقتنا – ذلك التعليم الباطني، لكن الكنيسة "الرسمية" كافحتْهم بحملات منظمة.

أما الصوفية المسلمون والفلاسفة الإشراقيون فقد حملوا لواء التعليم الباطني إبان ازدهار الحضارة العربية. وحسبنا أن نذكر منهم الحلاج وابن عربي وجلال الدين الرومي وابن سينا والسهروردي المقتول لكي نشعر بسموِّ الدرجة التي بلغها التعليم في عهدتهم.

إن لما لا يحتمل مجالاً للشك هو أن جميع مؤسِّسي الأديان العالمية علَّموا طرفًا من عقائد المنقول الباطني. وما تزال ملامح من هذا المنقول باقيةً في أديان العالم الحية جميعًا، على كونها مدفونة، في أغلب الأحيان، تحت ركام من الشرائع والشروح الحرفية. والواقع هو أن الغرب، من جانبه، قد حاد عن التعليم الباطني، راسمًا لنفسه مسارات كانت غريبة عنه أول الأمر، وظل على هذه الحال حتى أيام ليست ببعيدة. ويُعتبَر تدمير مكتبة الإسكندرية أحد العوامل الرئيسية التي تقف مباشرة من وراء ضياع هذه التعاليم أو كتمها. فقد كان ذلك الصرح الفكري والروحي العظيم يضم، فيما وصلنا، حوالى 700000 مجلد تحوي خلاصة الحكمة القديمة والتعاليم الفلسفية والسرَّانية التي ازدهرت في روما واليونان والشام ومصر والهند وفارس. لكن عددًا من غوغاء المسيحيين المتعصِّبين قاموا في العام 391 م، بتحريض من بعض السلطات الكنسية، بإحراق المعابد "الوثنية" في الإسكندرية وإتلاف عدد كبير من المؤلفات المخزونة في مكتباتها. وبذلك غاب عن العالم

الغربي "مستودع الحكمة" (كما كانت مكتبة الإسكندرية تُسمَّى آنذاك)، وغاب بغيابه مصدر من أهم مصادر إلهام العالم المتوسِّطي.[16]

أما العامل الثاني، فهو انقطاع الاتصال بين الشرق والغرب. ويعود ذلك أساسًا إلى قطع "طريق الحرير" المارة بفارس وانتشار القرصنة البحرية التي قلَّصت إمكانيات السفر بحرًا. وأما العامل الثالث، فهو إحياء تعاليم أرسطوطاليس التي كرَّست منطق الثنائية وشقَّت لنفسها دربًا عريضة بلغت ذروتها مع مادية القرن التاسع عشر في الغرب ونظرته الآلتية الجامدة إلى العالم **mechanistic world view**. فعلى الرغم أن أرسطو كان من تلامذة أفلاطون فقد انشقَّ عن تعاليم معلِّمه، مشدِّدًا على عالم الحسِّ، على التجربة المعتمدة على الحواس وعلى النظرة التجزيئية إلى العالم. وبوسعنا أن نقتفي أثر نشوء العلم الوضعي، التجريبي، صعودًا حتى تأثير المنطق الأرسطي على مفكِّري القرون الوسطى، ولاسيما ابن رشد وتوما الأكويني. ومع أننا لسنا هنا في صدد إنكار أن هذا المنحى كان، بحدِّ ذاته، إغناءً للثقافة الإنسانية، غير أنه جرى قطعًا على حساب النظرة "المثالية" الأشمل إلى الحياة والكون التي أخذ بها أفلاطون وغيره من أصحاب الخبرة الرؤيوية الباطنية من فلاسفة الإغريق.

كذا فقد دخل الغرب دورًا احتجبتْ فيه الحكمةُ عن أهله بنقاب سميك، وظل المجرى الرئيسي للثقافة، حتى حلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر، منفصلاً عن التعليم الباطني انفصالاً يكاد يكون تامًّا. ومع ذلك فقد ظل هناك تنظيم حافظ بطرق سرية على شعلة هذا التعليم من الانطفاء – ونعني به جماعة وردة الصليب **Rosa+Crucis** التي ألهمت تنظيمات وأفرادًا من مختلف المشارب، كالكيميائيين الهرمسيين، والشعراء الجوالين **Troubadours**، وتنظيم "الأوفياء للمحبة" **Fideli d'Amore** (ومنهم دانتي)، والثيوصوفيين، (بالمعنى الحصري للمصطلح). وحتى عندما أعيد فتح الصلة مع الشرق لم تنفذ فلسفتُه الروحية إلى الغرب كاملة على الفور لأن النزعة الاستعمارية

التي سادت الأمم الغربية ووهم تفوُّق العرق الأبيض حالا دونه والانفتاح الحقيقي على الكنوز الثقافية والروحية الماثلة أمامه وأخذها على محمل الجد.

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الألمان، أمثال غوتِه وشوبنهاور وهيغل، من أوائل المتأثرين في الغرب بالفلسفة الشرقية. وفي الولايات المتحدة قام عدد من المفكرين المثاليين، في أوائل القرن التاسع عشر، أمثال رالف و. إمرسون والحركة "المتسامية" Transcendentalism، بدراسة بعض نصوص الحكمة الشرقية وإدخال شيء من روحها على الفكر والأدب الأمريكيين. إنما لا مراء أن الفضل في لمِّ شتات خطوط التعليم الباطني وحياكتها في نسيجٍ واحد متَّسق، يستطيع الإنسان المعاصر أن يفيد منه نظريًّا وعمليًّا، يعود إلى السيدة الروسية هـ. ب. بلافاتسكي [1]، وإلى الحركة الثيوصوفية التي أقلعت فعليًّا بعيد تأسيس الجمعية الثيوصوفية في العام 1875 على يدها ويد مريدها الكولونيل الأمريكي المتقاعد هـ. س. أولكوت[2] ورهط من المهتمين بالدراسات الباطنية، نذكر منهم بالأخص المحامي الشاب و. ك. دجدج [3]، ذلك

---

[1] ولدت هـ. ب. بلافاتسكي في العام 1831 سليلة أسرة روسية شريفة. تمتعت منذ الصغر بقدرات استثنائية باهرة، من سرعة تعلم للغات وموهبة موسيقية لا يستهان بها إلى حساسية نفسانية فائقة. اتصلت بالأخوية البيضاء الكبرى وقامت برحلات بعيدة في العالم مفتشة عن المعرفة الروحية، حتى بلغت معتزَل معلِّمها وأفراد آخرين من الأخوية الكبرى في الهملايا حيث سورِرَت بمعرفة غزيرة وصارت مقدَّمة الأخوية المتفانية في نقل جانب من تلك المعرفة، سواء عبر مؤلفاتها المكتوبة، مثل *إيزيس سافر* و*العقيدة السرية* و*مفتاح الثيوصوفيا* و*صوت الصمت* ومئات المقالات، أو عبر التعليم الشفهي للمريدين الذين تحلقوا من حولها. انتقلت من هذا العالم في العام 1891.

[2] يعود لقاء الكولونيل أولكوت مع السيدة بلافاتسكي إلى في العام 1874 يوم كان يحقق لصالح إحدى الصحف في ظواهر الشقيقتين إدِّي Eddy الأرواحية. ومنذئذٍ طفقت السيدة بلافاتسكي، بعد أن أصبحا صديقين متآخيين، تلقِّنه مبادئ التعليم الباطني، وعقدت صلة بينه وبين سادة الحكمة الذين كانوا خططوا منذ وقت طويل لكي يعاونهم في تأسيس الجمعية الثيوصوفية (عام 1875) التي كرَّس لها بعدئذٍ كلَّ وقته ومواهبه.

[3] ولد و. ك. دجدج (1851-1896) في دبلن (إرلندة)، وهاجرت أسرته إلى الولايات المتحدة وهو بعد فتى صغير. أصبح مواطنًا أمريكيًّا في العام 1872 وقُبِل في محكمة الدولة في قضاء نيويورك في العام 1874. تأسست في العام 1886 الشعبةُ الأمريكية للجمعية الثيوصوفية برئاسته. انتُخبَ في العام 1888 نائبًا لأولكوت في رئاسة الجمعية. تشي مقالاته (التي جُمِع بعضها في كتب) بخبرة روحية ذات مستوى مرتق وبفهم عميق وأصيل للتعليم الباطني استطاع أن يعبِّر عنه بلغة بسيطة للغاية. يُعتبَر كتابه *محيط الثيوصوفيا* من أحسن المقدمات لدراسة *العقيدة السرية*.

الثيوصوفي الألمعي الذي يعود إليه الفضل في نمو الحركة الثيوصوفية وتنشيطها في الولايات المتحدة.

هيلينا ب. بلافاتسكي :

لقد أعلنت السيدة بلافاتسكي مبادئ الحكمة الإلهية في وقت كان الغرب فيه غارقًا في مادية قاتلة؛ إذ كانت غالبية العلماء حينئذٍ تنظر إلى العالم بوصفه مكوَّنًا من ذرات دقيقة شبيهة بكرات لعبة البلياردو من المادة "الصماء" غير القابلة للانقسام والمرتبة ترتيبًا معينًا لتركيب الأشكال البادية للحواس؛ وكان الكون برمَّته في اعتقادهم عبارة عن صور متعددة لتجلِّي المادة وأشبه ما يكون بساعة ضخمة تواصل دورانها بمعزل عن أية فطنة توجِّهها. أما الطاقة التي تُمِدُّ البنى الحيوية بأسباب الحياة فكانت في نظرهم نتاجًا للتفاعلات بين مكوِّنات المادة نفسها؛ وأما ظهور الوعي فكان يُعزى إلى الصدفة والاتفاق المحض ويُعتبَر محصولاً ثانويًّا لتفاعلات المادة والطاقة اللتين تتكوَّن منهما الأجسام؛ وبذلك كان الفكر يُعَدُّ "مادة" يفرزها المخ على نحو ما تفرز الكبد الصفراء!

إلى جانب هذه النظرة المادية الإوالية إلى الكون كانت ثمة نظرة أخرى لا تقل عنها جمودًا، هي رؤية ضيقة تبنَّتْها الكنائس التقليدية المتمسِّكة بالحرف على حساب الروح، رؤية لا تتيح للإنسان أية بارقة أمل لشقِّ درب خلاصه بنفسه، وسبق لها أن حاربت الحكمة بإعدامها عددًا من المتنوِّرين، أمثال جيوردانو برونو، نظرًا لتنكُّرها للخبرة الروحية الشاملة التي حقَّقها يسوع وعلَّمها.

وبالإضافة إلى الفريقين السابقين – فريق العلماء الماديين وفريق المتديِّنين التقليديين – كان هناك فريق ثالث ظهر على الحلبة الاجتماعية للغرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، هو فريق

"الأرواحيين" (من "الأرواحية"، Spiritualism بالإنكليزية أو spiritisme بالفرنسية)، الذين نادوا بإمكان قيام اتصال بين الأحياء و"أرواح" الموتى عن طريق "وسيط" medium والذين افتقرت آراؤهم الساذجة إلى أساس روحي وفلسفي قائم على خبرة داخلية أصيلة، الأمر الذي أدَّى بهم إلى التعرض لمخاطر شتى وانحرافات خطيرة.

وسط هذه الجملة الاجتماعية الصعبة جاءت الثيوصوفيا بأفكار ومفاهيم تؤلِّف بين العلم والدين والفلسفة – أفكار تشير إلى وجود مخطط كوني وغاية روحية من وراء وقائع العلم الوضعي، وتضخُّ في الدين والفلسفة عمقًا وفهمًا مستمَدَّين من الخبرة الداخلية، وتثبت بطلان الأساس النظري الذي أقام عليه الأرواحيون خبرتهم وتحذِّر من مخاطر الممارسات الأرواحية على الصحة البدنية والنفسية.

في القرن التاسع عشر أيضاً بلغ المدُّ الاستعماري العسكري أوجه؛ إذ كانت الأمم الغربية المستعمِرة مشبعة بوهم تفوُّق العرق الأبيض وتستغل مستعمراتها بشريًّا واقتصاديًّا أبشع استغلال، محوِّلة إياها إلى سوق لتصريف الفائض من بضائعها، ماسخة ثقافاتها العريقة بما لا يدع لوخز الضمير مجالاً. فحتى العرقان النبيلان الصيني والهندي لم ينجوا من هذه النظرة الاستعلائية المخزية، مع عدم الاعتراف إلا بالنزر اليسير من فضلهما على ثقافة العالم. في هذا الجو غير الإنساني جهرت الثيوصوفيا بأول مبادئ الفلسفة الباطنية:

أخوَّة البشرية قاطبة، ووحدة كلِّ العروق والأجناس في الروح والإنسانية، ودأبت على تعريف الغرب بالعقائد الفلسفية والروحية للشرق في محاولة منها لإجلاء قيمهما المشتركة والمنسجمة بعضها مع بعض نتيجة وحدة الحقيقة ووحدة الإنسان.[1] - مبادئ الثيوصوفيا:

---

[1] مع أن المفكِّرين جميعًا، على اختلاف مشاربهم، ليسوا في مآل الأمر إلا أبناء عصرهم وبيئتهم، ومع أن الفكر البشري بنيانٌ متطاول بمرور الزمن، فإن الإنسان، من حيث هو "صورة إلهية"، واحد. لذا

أما وقد عرضنا، في إيجاز شديد، لمسيرة الحركة الثيوصوفية عبر العصور التاريخية، يجدر بنا الآن أن نلخِّص، على شكل نقاط، المبادئ العامة للثيوصوفيا، كما بسطتْها السيدة بلافاتسكي في مؤلفاتها الغزيرة، ولاسيما في موسوعتها الباطنية العقيدة السرية:

1- الثيوصوفيا هي الحكمة المتراكمة عبر العصور، بدون أن يختص بها عصر دون عصر أو أمة دون أخرى.

2-هنالك مبدأ أصلي إلهي متجانس في ذاته، يصدر عنه العالم المنظور في فيض أبدي. هذا المبدأ تطلق عليه الثيوصوفيا اسم الكينونة **Be-ness**.

3-الكون المادي الذي نحيا فيه هو التجلِّي الدوري لحقيقة غير مادية، وهو حلقة ضمن سلسلة لامتناهية من الأكوان التي تظهر وتختفي في حركة مدٍّ وجزر من الدفق والانحسار أو الانطواء والانبساط.

4- الكون، بكلِّ ما فيه، عابر وزائل بالقياس إلى ديمومة المبدأ الأصلي.

5- كلُّ ما في الكون، عبر ممالكه قاطبة، واع؛ أي أن وعيًا يسري في كلِّ مكوَّن من مكوَّناته يتناسب ومستواه من التفتح أو درجة إفصاحه عن المبدأ الأصلي.

6- يتشكَّل الكون ويوجَّه من الباطن إلى الظاهر، أو من الأعلى إلى الأدنى؛ وهو ليس حصيلة الصدفة العمياء، بل نتاج مبادئ داخلية قائدة تبطِّن تجلِّيه (بالمصطلح الحديث "ذاتي الانتظام" auto-organized).

فإن كلَّ مفكر مخلص وباحث أصيل في أسرار الطبيعة والحياة، ماديًّا كان (أي واجدًا في المادة "موعد كلِّ الحياة الأرضية وقوَّتها") أم روحانيًّا (أي مكتشفًا في الروح أصل كلِّ طاقة وكلِّ مادة أيضًا)، هو ثيوصوفي بمعنى ما. إن محبة الحقيقة لوجه الحقيقة تنطوي ضمنًا على محبة الخير؛ وهذه المحبة، في هيمنتها على رغبات الإنسان كافة، وتطهيرها، وإيقادها فيها لهب التوق إلى القدسي، تسمو بالإنسان في مآل الأمر إلى معرفة الألوهة والوصال معها: التوق إلى هذه المعرفة هو جوهر كلِّ فلسفة (= محبة للحكمة) أصيلة، وهو الصفة التي تميِّز الفيلسوف الحقيقي عن "محترف" الفلسفة.

7- نظام الطبيعة ككل يقيم الدليل على السببية والغائية معًا في التطور الطبيعي.

8- بين صور الحياة السارية في الكون علاقاتٌ متداخلة تداخلاً ديناميًّا حيًّا.

9- يتماثل كلٌّ فرد، من حيث الماهية والجوهر، مع الكينونة أو المبدأ الأصلي المطلق، وإن كان يمرُّ عبر دورات متوالية من التجسُّد امتثالاً لناموس كرما karma، أو قانون السببية الكوني، باتجاه بلوغ المزيد من تفتُّح الوعي.

وإذا توخينا المزيد من الوضوح في شرح كوسمولوجيا العقيدة السرية شرحنا النقاط السابقة كما يلي:

1- الكون المتجلِّي متأصل في مبدأ صمداني، قيوم، أزلي، مطلق (يطلق عليه الهندوس اسم بربرهمن Parabrahman)، هو الأحدية المطلقة والحق الأسمى، لا يتجلَّى أبدًا ويتعالى عن ملكات الفهم البشري.

2- الوعي Consciousness والطاقة Energy، أو الروح Spirit والمادة Matter، حقيقتان مستقلتان من حيث الظاهر؛ لكنهما، من حيث الباطن، وجهان للمطلق أو مظهران له؛ وهما أول تمايز عن المبدأ الأصلي وأساس فعل التجلِّي الكوني.

3- عن الثالوث السابق – أي المطلق (وقد تعيَّن) والروح والمادة – تنبثق كلُّ الأكوان التي تظهر وتختفي عبر دورة لا نهاية لها من أطوار "التجلِّي" (شرشتي shrishti) و"التحلُّل" (برَلَيا pralaya).

4- المنظومات الشمسية التي تتألف منها المجرَّات والكون إجمالاً تعبيرات عن الحق الأسمى؛ ويشكل كلٌّ منها نظامًا مستقلاً، لكنه متأصل في المطلق غير المتجلِّي أبدًا.

5- كلُّ منظومة شمسية هي عبارة عن بنيان تام التنظيم، لا توجِّهه قوانين طبيعية سرمدية وحسب، بل تُعَدُّ تجلِّيًا لعقل كلِّي متعالٍ يدعى الكلمة **Logos**.

6- جِرم الشمس وأجرام الكواكب التابعة لها إنما هي الجانب الأظْهَر، أو قُلْ الأكثف، من منظومتنا الشمسية؛ إذ إن ثمة عوالم غير منظورة عديدة مكوَّنة من مادة أرقَّ متداخلة مع العالم الجسماني.

7- المنظومة الشمسية، بكواكبها وتوابعها قاطبة، منظورةً وغير منظورة، مسرح واسع للتطور، تتفتح فيه الحياة على مراحل مختلفة ومتدرِّجة، في صور لا عدَّ لها، نحو كمال متسامٍ.

8- تتم هذه السيرورة برمَّتها بحسب "خطة" محددة، حاضرة في العقل الإلهي؛ وتضبطها وتوجهها مراتب **hierarchies** من الكائنات الفائقة الرقيِّ التي تنتمي إلى مختلف درجات التطور.

9- تتفتح الحياة تدريجيًّا، شوطًا بعد شوط، مرورًا بالممالك المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية؛ ويتواصل التطور المتصاعد حتى بعد بلوغ كمال الحياة الأرضية.

10- تقود التطور الإنساني على مستوى الكرة الأرضية "أخوية" من البشر المتطورين الذين بلغوا كمال الحياة الأرضية وطوَّروا في أنفسهم قدرات وملكات معرفية يتعذر علينا تصورها ونحن من التطور على ما نحن عليه؛ وهم على اتصال وثيق فيما بينهم وعلى اطِّلاع تامٍّ على قضايا العالم الذي يوجِّهونه، طبقًا للخطة الإلهية، بحكمة ودراية لانهائيتين.

11- كلُّ إنسان، من حيث ماهيَّته، كائن إلهي، وهو ينطوي في ذاته، بالقوَّة **in potentia**، على كلِّ القدرات والملكات التي تتصف بها الألوهة؛ وتتفتح هذه القدرات وتلك الملكات تدريجيًّا، وصولاً إلى كمال للوعي وسعة متناميين لا حدَّ لهما.

12- يتم تفتح هذه القدرات وتلك الملكات الكامنة عبر سيرورة "التقمُّص" (أو "العَوْد للتجسُّد" **reincarnation**)، بحيث تعاود النفس التجسد باستمرار، في أزمنة مختلفة وأمكنة متباينة وظروف متنوعة، كي تغتني بخبراتها، مارَّة بين كلِّ تجسد وآخر بفترة من الراحة الذهنية في العوالم ما فوق الجسمانية اللطيفة

(التي يُصطلَح في الأدبيات الثيوصوفية على تسميتها بالـديفاخان Devachan أو "مقام الآلهة") لكي "تهضم" هذه الخبرات وتتمثل خلاصتها[1].

13- كلُّ مظاهر الحياة البشرية تنتظمُها نواميس طبيعية، يفعل كلٌّ منها ضمن فلكه الخاص؛ وهذه النواميس جميعًا ينتظمُها، بدوره، ناموسٌ واحد يُعرَف عمومًا باسم كرما karma، يسود على كلِّ شيء جاعلاً الإنسان سيد قدره ومصيره والمسؤول الأوحد عن سعادته وشقائه.[2]

14- كما يمكن لتطور الأشكال في المملكتين النباتية والحيوانية أن يتسارع بالاستفادة من قوانين البيولوجيا، كذلك يمكن للتطور البشري أن يتسارع تسارعًا فائقًا بتطبيق القوانين الفكرية والروحية الفاعلة، كلٌّ منها في عالمه.

15- تنهض العلوم الباطنية الرامية إلى حثِّ التطور الروحي للإنسانية على تطبيق هذه القوانين الطبيعية على شأن التطور البشري؛ وهي تماثل في فاعليتها ومصداقيتها القوانين الفاعلة في العالم الجسماني في حقل العلم الوضعي من حيث الحصول على نتائج محدَّدة بدقة بالغة.

لقد بات في إمكاننا الآن أن نتناول بالدراسة المبادئ الثلاثة الكبرى التي تقوم عليها الفلسفة الغيبية Occult Philosophy، وتنطوي عليها كلُّ تجلِّيات الحياة، وتشكل في مآل الأمر الأساس المكين من كلِّ دين أو فلسفة (بمعنى "محبة الحكمة" philo-sophia حصرًا) وُجِدَتْ أو سوف توجد. وإن بوسعنا أن نسميها بتكثيف شديد:

1- الذات، كحقيقة في الإنسان.

2- القانون، بوصفه السيرورات التي يتطور عبرها الإنسان وسائر الموجودات شكلاً وروحًا.

---

[1] *مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2، ولاسيما ص 63-65.

[2] السابق

3- التطور، بما هو خطة الحياة في تصاعديَّتها من حيث المعنى والغاية.

تُعَدُّ المبادئ الثلاثة المذكورة فرضيات مبدئية وُضِعتْ لاستعمالها كركيزة للتعمُّق في فهم ثلاث من أهم المسائل الفلسفية الشاملة – إن لم تكن أهمها على الإطلاق –، ألا وهي:

1- ما أصل الإنسان؟ وفي ضوء هذا الأصل، ما علاقته الفعلية بالموجودات الأخرى وبالحياة ككل عمومًا؟ ما هو المبدأ الأول، أصلِّ كل الموجودات، وماذا بوسعنا أن نعرف عنه؟

2- ما هي النواميس والسيرورات التي تنتظم التفاعل بين الكلِّ، أو الكون، والجزء، أو الإنسان، بين "العالم الصغير" Mikrokosmos و"العالم الأكبر" Makrokosmos؟ وهل "العدالة" حقيقة كونية؟ أم هي مجرد أُمنية غير متحققة من بنات أفكار الإنسان؟

3- هل الإنسان الفرد خالد؟ وإذا كان كذلك فعلاً، فما الميزان الذي يجب عليه أن يقيس به اختبارات حياته؟ وما الغاية القصوى التي تنطوي عليها الحياة بعامة، وحياة الإنسان بخاصة؟

كلُّ فلسفة، أو قُلْ كلُّ فلسفة دينية، إنما هي محاولة للإجابة على هذه المسائل الملحَّة والعويصة في آن؛ والأهم من ذلك أن أفكار المرء وأفعاله تتأثر تأثُّرًا عميقًا، من حيث يدري ومن حيث لا يدري، بآرائه ومعتقداته بخصوص هذه المسائل عينها، سواء تبنَّى هذه الآراء واعتنق هذه المعتقدات واعيًا أم غير واع (كأن تَرْسَخ في نفسه بتأثير المحيط الاجتماعي والتقاليد السائدة فيه). وليس غرضنا من تبيان ذلك التأكيدَ على وجوب لجوء كلِّ ذي لبٍّ إلى استعمال مصطلحات فلسفية أو اعتناق مذهب فلسفي معين، أو على أن مقدار وعيه لا يقاس إلا بقدرته على طرح القضايا الجوهرية على النحو المذكور حصرًا، إنما الإشارة إلى السؤال المتصل مباشرة بالمبادئ الثلاثة المذكورة الذي تطرحه علينا الحياة في كلِّ لحظة – وإن كنا لا نلقي بالاً إليه إلا عند الألم

الشديد: "لم يصيبني ما يصيبني؟!" – ذلك أن الوعي الشخصي للفرد، أو بالأحرى العاملَيْن الرئيسيين المحدِّدين لتعامله مع نفسه ومع العالم، هما ببساطة الفرح والترح، السعادة والشقاء. ومع ذلك فإن الإنسان، في سعيه إلى فهم الحالات التي يمرُّ بها (أو تمرُّ به!) تناوبًا، وإلى التوصل إلى وسيلة للتحكم فيها، بحاجة إلى منظور وتوجُّه جديدين كلَّ الجدة. يومئذٍ يقف الإنسان على وصيد الأسئلة الجوهرية الكبرى، توَّاقًا إلى العثور على إجابات يستمد منها قاعدة للعمل من أجل بناء هيكله الداخلي.

إن هذه "المبادئ" حقائق كونية شاملة، وليست قطعًا مجرد تصريحات نظرية صرف من بناء الفكر وحده – وإن يكن للفكر دورُه الهام في عملية البناء المذكورة. ومع ذلك يصعب على المرء أن يوسِّع مجال رؤيته للحقيقة، في نفسه وفي العالم ككل، قبل أن يشيِّد أولاً أساسًا نظريًّا راسخًا. فالفلسفة، وإن لم تكن بحدِّ ذاتها إلا وسيلة وتفقد قيمتها ومصداقيَّتها ما لم تُطبَّق، فهي وسيلة لا تنفصل عن غايتها، ألا وهي "العمل السليم"؛ والفكر الناضج على نار الفلسفة، المهتدي بنور القلب، يدفع بالتطور الإنساني قدمًا إلى الأمام. كذا فإن الصياغة النظرية المُحكمة منطقيًّا للمبادئ الكونية الكبرى تلعب دورًا لا يستهان به في استيعاء هذه المبادئ؛ وبذلك يُترجَم "الفهم السليم" إلى "عمل سليم".[1] فكما تقول السيدة بلافاتسكي تعليقًا على بعض ما جاء في كتابها العقيدة السرية:

> **"إن قاعدة الباطنية برمتها تقوم، على ما يبدو، على وجود قدرة كامنة في كلِّ إنسان بوسعها أن تمنحه المعرفة الحق؛ هي قدرة على إدراك الحقيقة تمكِّنه من التعامل مباشرة مع الكلِّيات متى كان صارم المنطق وقادرًا على مواجهة الحقائق. بذا يمكننا أن ننطلق**

---

[1] **"الفهم السليم" و"العمل السليم" من شُعَب الطريق المثمَّن المؤدي إلى الخلاص من الألم في البوذية. راجع أيضًا: "الهند: موطن الروح"، الفقرة المتعلقة بالبوذية.**

من الكلّيات إلى الجزئيات بهذه القوة الروحية الفطرية الموجودة في كلِّ إنسان".

"الفهم السليم" و"العمل السليم" من شُعَب الطريق المثمَّن المؤدي إلى الخلاص من الألم في البوذية. راجع أيضًا: "الهند: موطن الروح"، الفقرة المتعلقة بالبوذية.
هاكم أيضًا مقتطفات من كتاب مفتاح الثيوصوفيا للسيدة بلافاتسكي – وهو عرض مبسَّط للمبادئ الأساسية للحكمة القديمة على شكل حوار شائق بين "سائل" و"ثيوصوفي":
"إن ثلاثتهم [الله والنفس والإنسان] من حيث الأصل والأزلية، مثلهم كمثل الكون وكلِّ ما فيه، واحد مع الوحدة المطلقة أو الجوهر الإلهي الذي لا يرقى إليه علم " نحن لا نعتقد بأيِّ خلق، إنما بالظهورات الدورية المتوالية للكون، من المرتبة الذاتية للوجود حتى المرتبة الموضوعية، في فواصل زمنية منتظمة تشغل فترات شاسعة من الزمان.
"هبنا مسلَّمتنا بأن الله مبدأ كلِّي السريان ولانهائي، كيف يكون للإنسان وحده ألا يكون متشربًا للاهوت، قائمًا به وفيه؟
"نحن ندعو "أبانا الذي في السموات" ذلك الجوهر اللاهوتي الذي نتعرَّفه فينا وفي قلبنا وفي وعينا الروحي والذي لا يمتُّ إلى التصور المشبِّه الذي قد نشكِّله في دماغنا الجسماني أو في شطحاته.
إن لاهوتنا ليس في فردوس ولا في شجرة، لا في جبل ولا في مبنى خاص: إنما هو في كلِّ مكان، في كلِّ ذرة من ذرات الكون، منظوره وغير منظوره، فوق وحول وفي كلِّ ذرة وكلِّ جزيء مرئيين . إنه القدرة السرية للتطور وللانغلاق، والكمون المبدع الحاضر والقدير والعليم أيضًا."

المبدأ الأساسي الأول:

هاكم الآن المبدأ الأساسي الأول، كما ينص عليه كتاب العقيدة السرية:[1]

> مبدأ كلِّي الحضور، أزلي، غير محدود، سرمدي، يستحيل تذهُّنه لأنه يتعالى عن ملكة التصوُّر البشري وليس من شأن أيِّ تعبير أو تشبيه بشريين إلا أن يقلِّصه. فهو يتخطى مجال الفكر ومداه.

هناك، إذن، حقٌّ واحد مطلق، سابق على كلِّ موجود متجلٍّ ومحدود؛ وهذه العلَّة اللانهائية والأزلية هي الأصل الذي لا أصل له "لكلِّ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون أبدًا". لذا تفضل السيدة بلافاتسكي أن تطلق عليه اسم الكينونة Be-ness (بالسنسكريتية سَتْ Sat) على "الكائن" being.

يُرمَز إلى هذه الكينونة في العقيدة السرية بطريقتين: هنالك، من جهة، الفراغ المجرد المطلق الذي يعجز أيُّ فكر بشري عن سبره أو تكوين أيِّ تصور عنه أو تذهُّنه مجرَّدًا؛ وهنالك، من جهة أخرى، الحركة المجرَّدة المطلقة ("المحرِّك الساكن" بحسب تعبير أرسطو) التي تمثل الوعي الطليق غير المحدود.

عن هذه الأحدية أو الكينونة المطلقة يحدث أول تمايز (يدعى بالواحدية في العرفان الإسلامي) ينطوي على أول ثنائية، هي ثنائية الروح والمادة (بوروشا purusha وبركريتي prakriti في المنقول الهندوسي) التي لا يعتبر علم الباطن حدَّيها حقيقتين مستقلَّتين إحداهما

---

[1] مقتطفات من كتاب *مفتاح الثيوصوفيا* للسيدة بلافاتسكي – وهو عرض مبسَّط للمبادئ الأساسية للحكمة القديمة على شكل حوار شائق بين "سائل" و"ثيوصوفي":

"إن ثلاثتهم [الله والنفس والإنسان] من حيث الأصل والأزلية، مثلهم كمثل الكون وكلِّ ما فيه، واحد مع الوحدة المطلقة أو الجوهر الإلهي الذي لا يرقى إليه علم " نحن لا نعتقد بأيِّ خلق، إنما بالظهورات الدورية المتوالية للكون، من المرتبة الذاتية للوجود حتى المرتبة الموضوعية، في فواصل زمنية منتظمة تشغل فترات شاسعة من الزمان.

"هبنا مسلَّمتنا بأن الله مبدأ كلِّي السريان ولانهائي، كيف يكون للإنسان وحده ألا يكون متشربًا للاهوت، قائمًا به وفيه؟

"نحن ندعو "أبانا الذي في السموات" ذلك الجوهر اللاهوتي الذي نتعرَّفه فينا وفي قلبنا وفي وعينا الروحي والذي لا يمتُّ إلى التصور المشبِّه الذي قد نشكِّله في دماغنا الجسماني أو في شطحاته. [...] إن لاهوتنا ليس في فردوس ولا في شجرة، لا في جبل ولا في مبنى خاص: إنما هو في كلِّ مكان، في كلِّ ذرة من ذرات الكون، منظوره وغير منظوره، فوق وحول وفي كلِّ ذرة وكلِّ جزيء مرئيين [...]. إنه القدرة السرية للتطور وللانغلاق، والكمون المبدع الحاضر والقدير والعليم أيضًا."

عن الأخرى، بل وجها المطلق **Parabrahman**، أو مظهراه اللذان يشكِّلان معًا كلَّ كيان مقيَّد، ذاتيًّا كان أم موضوعيًّا.[1]

فكما أن الفكرة ما قبل الكونية **Pre-cosmic Ideation** هي أصل كلِّ وعي فردي، كذلك فإن الجوهر ما قبل الكوني **Pre-cosmic Substance** هو أصل المادة بكلِّ درجات تمايزها. يتضح مما تقدم أن التضاد الظاهري بين مظهريْ المطلق هو العلة الأولى للكون المتجلِّي: فلولا الجوهر الكوني **Cosmic Substance** لما كان بمقدور الفكرة الكونية **Cosmic Ideation** أن تتجلَّى كوعي فردي؛ إذ ليس للوعي أن ينبجس لينغلق على نفسه، كما سنرى، إلا من خلال وعاء أو قاعدة مادية ضرورية كبؤرة يتركز فيها شعاعٌ من العقل الكلِّي على مستوى معيَّن من التعقيد. ولولا الفكرة الكونية لظل الجوهر الكوني تجريدًا خاويًا لا يهيِّئ لانبثاق أيِّ وعي، كقشرة بيضة خالية من المحِّ والآح.

من الفكرة الكونية، أو الروح، وعيُنا؛ ومن الجوهر الكوني، أو المادة، الأوعيةُ التي ينثني فيها الوعي على ذاته، مباشِرًا رحلة تفتحه عبر ممالك الكون طرًّا، وصولاً إلى مرحلة الذات أو الوعي المنعكِس المدرِك لذاته؛ بينما يعبِّر مبدأ فوهة **Fohat**، في تجلِّياته العديدة، عن الصلة السرية بين العقل والمادة، أو المبدأ الفاعل الذي يُكَهْرِب كلَّ ذرة في الكون، باعثًا فيها الحياة.

تأسيسًا على ما تقدَّم، يمكننا إيجاز تراتبية فعل التجلِّي في أربع مراتب وجودية هي الآتية:

1- الأحدية المطلقة (بربرهمن الفيدنتا **Vedanta**) أو الحق الأحد (سَتْ **Sat**)؛

---

[1] المرتبة "الذاتية"، بالمصطلح الثيوصوفي، تشير إلى العالم غير المنظور بمختلف مستوياته، والمرتبة "الموضوعية" هي العالم المنظور؛ يقابلهما في العقيدة الإسلامية مصطلحا "عالم الغيب" و"عالم الشهادة"، على التوالي.

2- الواحدية، أول تعيُّن للمطلق، أو الكلمة Logos اللاشخصي، أو "العلة الأولى".

3- الروح–المادة، الحياة؛ "روح الكون"، ثنائية بوروشا–بركريتي، الكلمة الثاني.

4- مَهَة Mahat، أو النفس الكلِّية؛ الجوهر الهيولاني (كأصل للمادة وأساس لكلِّ العمليات والسيرورات الذكية في الطبيعة) الذي يدعى أحيانًا بـمَهابودِّهي Maha-Buddhi.

الإنسان، في قصوره عن تكوين أيِّ مفهوم بغير لغة الظواهر المحسوسة، عاجز عن رفع النقاب الذي يحجب عنه سرَّ الألوهة في سذاجته المطلقة: وحدها الروح المنعتقة تستطيع أن تدرِك "طبيعة" المصدر الذي عنه انبثقت وإليه ستُرجَع. أما العقل (نوس Nous عند أفلاطون) – سيد مملكة المادة ومحرِّكها والنَّفَس المحايث immanent لكلِّ ذرة والباعث فيها الحياة، متجلِّيًا في الإنسان وكامنًا في الحجر – فله مراتب مختلفة من الحَوْل والقدرة.[1]

ما من أمة أو شعب أو قبيلة بدائية، منذ فجر البشرية حتى يومنا هذا، إلا وينطوي حتى الجانب الظاهر من معتقداته على وجود "علَّة أولى" من وراء نواميس الطبيعة وخلود النفس (العليا). ولم يستطع أيُّ معتقد بالٍ أو أية فلسفة زائفة أو سلطة قاهرة، دينية أو زمنية، القضاء على هذا الشعور الأصيل في الإنسان، الأمر الذي يجعلنا نقطع بأنه إرث مشترك للإنسانية قاطبة.

يعلِّمنا المنقول الباطني بأن العلَّة الحقيقية للوجود ككل تبقى مستترة أبدًا وعصيَّة على العاقلة البشرية، وبأن أول تجلِّياتها هو أكمل تجريد

---

[1] **هذه الفكرة عن "نفس" تتخلَّل الطبيعة بأسرها من أقدم المفاهيم الدينية التي مازالت بقاياها ماثلة في المعتقدات الشعبية الأحيائية animistic السائدة إلى يومنا هذا لدى بعض الأقوام: إنها أقدم خبرة دينية عرفها الإنسان، وهي الأساس الأول لمفهوم محايثة الألوهة للعالم immanence.**

يستطيع الإنسان أن يتذهَّنه. لذا نفترض أن هذه التجلِّيات هي علَّة الكون المادي؛ منها تتفرع القدرات الثانوية التي تعبَّد الإنسانُ لها وأسْلَسَ قياده بوصفها "الإله" أو "الآلهة"، بما يتوافق مع روح كلِّ عصر، بعد أن خلع عليها صورة شخصية هي خلاصة مكثفة لاختباره لها[1]؛ إذ يتعذر تذهُّن شيء لا علَّة له؛ ومحاولة القيام بذلك تبلغ بالفكر أقصى تخومه الممكنة حتى فراغه التام من كلِّ الموضوعات: تلكم هي الحال التي يبلغها الذهن أخيرًا عندما يحاول أن يقتفي إلى الوراء سلسلة العلل والمعلولات.[2]

"اللاهوت سعة غير محدودة ولانهائية"، كما تقول حكمة باطنية كثيرًا ما تورِدها السيدة بلافاتسكي في كتاباتها؛ والوحدة القصوى المبطِّنة لكلِّ جزء من أجزاء الطبيعة – من النجم إلى ذرة المادة، ومن أعلى دْهِيَن تشوهَن Dhyan Chohan (كائن ملائكي من مرتبة رفيعة) إلى أصغر جرثومة – إنما هي الناموس الأساسي الأوحد في علم الباطن، سواء طُبِّق على العالم الروحاني، أو العالم الذهني، أو العالم الجسماني.

إن تصورات الإنسان عن الألوهة تتطور بتطور فكره وتفتُّحه. في ضوء هذا، يصح أن أنبل المُثُل التي تلامسها الروح الدينية في تحليقها في عصر ما قد تبدو باهتة أمام العقل الفلسفي لعصر يليه؛ وقِسْ على ذلك نضج المُثُل التي يتخذها الإنسان هاديةً له في حياته في مختلف مراحل هذه الحياة. من هنا ضرورة المسارَرة Initiation في مجال الخبرة الروحية. فتلك (إن توفَّر للمسارَر الاستعداد والأهلية) هي العصمة للمرء كيلا يسقط في شباك الوهم والتجريدات الذهنية البحتة؛ وبدونها لا بدَّ أن يبقى جناحا الفكر مهيضين للحؤول دون تحليق أعلى قد يكون وبالاً على صاحبه.

---

[1] **من هنا على كل معتقِد بـ"إله شخصي" مفارق ألا ينسى أن كلَّ إنسان إله "بالقوة"، وقبس صاف من نور المطلق، وشعاع سماوي صادر عن المبدأ الأول، وأن يُبقي في ذهنه أن "إلهه"، بالتالي، في الداخل أيضًا وليس في الخارج وحسب!**

[2] **يقفز الدين والعلم إلى هذه الحالة قفزًا بـ"حرق المراحل"، فلا يفهمانها، فتبقى في نظر الفكر تجريدًا ذهنيًّا بحتًا لا يمتُّ إلى التحقُّق الروحي بصلة.**

عندما يصرِّح الثيوصوفيون بأن الله ليس موجودًا لأنه عدم محض، لاشيء – أي لا-شيء No-thing – فإنهم يكنُّون للاهوت إجلالاً وخشوعًا أعظم بكثير ممَّن يشخِّصون الله، جاعلين إياه ذَكَرًا ضخمًا، يغضب ويندم، يعاقب ويثيب. من هنا، يتطلَّب تخطِّي التصورات التشخيصية عن الألوهة اقتفاء أثر الكلمة (أو العقل الأول) في كلِّ دين حتى أصله النهائي وماهيَّته القصوى. والألوهة المثلَّثة العماء-الإله-الكون Chaos-Theos-Kosmos إنما هي الكل في الكل، وهي سلسلة أشفاع الصفات كلِّها [1]؛ لذا يقال إنها ذكر وأنثى في آنٍ معًا، إيجاب وسلب، نشر وطَيْ، نور وظلمة، إلخ. أما علَّة العلل التي لا علَّة لها، "المجهول الأسمى" (التعبير لطاغور)، فيجب على الإنسان أن يُعِدَّ لها مقامًا ومذبحًا في قدس أقداس نفسه، في القلب منه والسرِّ، وأن تكون روحه هي الوسيط الأوحد بينه وبين الروح الكلِّية، جاعلاً من أعماله الصالحة كهنة ومن نواياه السيئة قرابين!

- المبدأ الأساسي الثاني:

تشدد العقيدة السرية على أزلية الكون ككل، باعتباره، كما أسلفنا، مجالاً شاسعًا لعوالم لا عدَّ لها، تتجلَّى وتحتجب بغير انقطاع. فالفرضية الثانية للعقيدة السرية إذن هي الشمولية المطلقة لقانون الدورية، قانون المدِّ والجزر أو الدفق والانحسار، الذي نشهده في الطبيعة قاطبة؛ وإن تناوبًا، كتناوب النهار والليل، أو تناوب الحياة والموت، أو تناوب الصحو والنوم، لهو واقع مألوف وشامل، لا يُستثنى منه شيءٌ على الإطلاق، الأمر الذي يجعلنا نبصر فيه ناموسًا أساسيًّا من نواميس الكون.

بذا ينجلي لبصيرتنا كمالُ المقايسة بين سيرورة الطبيعة في الكون، من جهة، وفي الإنسان الفرد، من جهة أخرى. فالإنسان، شأنه شأن الكون، يحيا دورة من دورات حياته ثم يموت بانتهاء أجَلِه. وتتحلَّل "مركبات" الإنسان أو "المبادئ" المؤلِّفة لبنيانه الباطن مع الوقت، فتستعمل الطبيعة "المواد" التي كانت تشكِّلها لتشكيل مبادئ جديدة؛ وهذه

[1] "إن الله لا يُعرَف إلا بالجمع بين الأضداد." (أبو سعيد الخراز)

السيرورة عينها تتم في تحلُّل العوالم وإعادة تشكيلها. القياس **analogy**، إذن، هو أضمن هادٍ للباحث في مسعاه لفهم التعاليم الباطنية، من حيث إن قانون ولادة كلِّ ما في الكون ونموِّه وموته، من الشموس حتى ديدان الأرض، قانون واحد؛ وهو لا يني يسير بالكون إلى المزيد من الاكتمال، مع كلِّ ظهور أو تجلٍّ جديد، ساريًا على كلِّ جرم من أجرام الكون، صَغُر أم كَبُر.

وحده الحكيم المسارَر **Initiate** يستطيع أن يكتنه الكمال المطلق الذي تبلغه الموجودات لدى اختتام فترة عظمى من التجلِّي الكوني، أو مَـهامَـنْـفَـنْـتَـرا **Mahamanvantara**، مستريحة إبان الفترة التالية من الاحتجاب (بْـرَلَـيَـا **Pralaya**). بيد أن هذا الكمال، وإن يكن مطلقًا، فهو "مطلق نسبيًّا" لأنه ينبغي، بدوره، أن يفسح المجال للمزيد من الكمال المطلق، وفقًا لمعيار أرقى من التَجَوْهُر، إبان الفترة التالية من النشاط أو التجلِّي – مثلما أن على الزهرة الكاملة أن تذوي مفسحة المجال للثمرة الكاملة.[1]

تعلِّم الحكمة قانونًا سرمديًّا دوريًّا في الطبيعة والكون، لا يُستثنى من سلطانه أيُّ موجود، على مراتب وجوده كافة. يدعى هذا القانون بقانون كرما **karma** أو قانون السببية الكونية.[2] ولما كان التطور الروحي للإنسان الباطن يشكِّل من علوم الغيب محورَها فإن السعي إلى فهم سيرورة هذا التطور يتطلب من التوَّاق أن يضع بعين اعتباره أمرين:

---

[1] - إن فكرة أن *بمستطاع الأشياء أن تنعدم وتبقى مع ذلك موجودة* فكرةٌ أساسية في مبادئ الحكمة؛ إذ تختبئ تحت هذا التناقض الظاهري بين مدلولي لفظتي الوجود ***existentia*** والكينونة ***esse*** حقيقة كونية كبرى. فمثلما أن الهيدروجين والأوكسجين ينعدمان لدى اجتماعهما لتركيب الماء، ويبقيان مع ذلك موجودين، لكنْ في حالة أرقى من حالة وجودهما الغازي، كذلك حال الكون عندما "يهجع" أو ينعدم قبل أن يصحو ويعاود الظهور.

[2] - *كرما* كلمة سنسكريتية مشتقة من جذر *كْرِ* ***kri*** الذي يعني "الفعل". راجع: ديمتري أفييرينوس، *مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2.

أ- الحياة الواحدة الشاملة، الموجودة بمعزل عن وجود المادة الكثيفة؛ و

ب- العقول الفردية العليا التي تحرك التجلِّيات المتنوعة لذلك المبدأ الحيِّ الواحد.

ذلك أن الحياة وثيقة الصلة بالناموس الواحد – ناموس كرما – الذي يحكم مراتب الوجود حتى عالم الروح. ويشير هذا الناموس، من الوجهة الظاهرية، إلى "الفعل"، أو بالأحرى إلى العلة المنطوية على معلولها.

إن هذا الناموس لا يقدِّر شيئًا على أحد أو على أيِّ شيء؛ فهو قائم منذ الأزل وفيه، ويُعتبَر خير تصور عن الأزل. وبما أنه ليس ثَمَّ "فعل" يكافئ الأزلية فأصح من قولنا إنه "يفعل" قولُنا إنه "الفعل" بامتياز.[1] الإنسان لا يعاقَب على خطاياه بل يعاقَب "بها"، على حد قول كرِسْتمس هَمْفرِز، فرديًّا وجماعيًّا (كما في حالة أمم بأسرها أحيانًا). فالبشر هم الذين يولِّدون الأسباب التي تحرِّض، بدورها، القوى الموافقة التي تنشدُّ تلقائيًّا إلى مولِّديها وترتدُّ عليهم فكرًا وعملاً.

وفي محاولة لتقريب عمل ناموس كرما في التجدُّدات الدورية للكون إلى فكر المتأمِّل في أصل الإنسان والمغزى من وجوده، يجدر بنا أن نلفت انتباهه إلى التطبيقات الباطنية للدورات الكَرْمية (نسبة إلى كرما) على الأخلاق بالمعنى الكوني. لقد عرَّف الفيلسوف الهندي س. رادهاكرشنان بناموس كرما بوصفه "قانون مصونية الطاقة الأخلاقية". وإننا لنتساءل إن كانت للتقسيمات الغامضة التي أسماها الإغريق "حلقات" و"دوائر"[2] تطبيقات مباشرة على الحياة البشرية أو صلات بها. إن العلم الظاهر يقرُّ بوجود أدوار خاصة تنتظم السيرورات المادية؛ لكن ثمة

---

[1]- إنه على سبيل المثال، ليس الموجة التي تُغرِق أحدهم بل هو الفعل الشخصي لذلك المسكين الذي وضع نفسه عامِدًا تحت الفعل اللاشخصي للقوانين التي تنتظم حركة البحر.

[2] - تقابلها اليوغا ***yuga*** والكَلْبا ***kalpa*** في العقائد الهندوسية، و"الأدوار" و"الأكوار" في العرفان الإسلامي. فيما يخص بمبدأ الدورية في الطبيعة والكون راجع: *مقالة في التقمص*، ص 25-27.

أيضًا أدوارًا خاصة بالتطور الروحي تنتظم حياة الأعراق والأمم والأفراد. فهل للفلسفة الباطنية أن تتيح لنا المزيد من فهم عمل هذه الأدوار؟

إن الأنية العليا Higher Ego، أو المبدأ المتجسِّد، هي التي تسود على الأنية الدنيا Lower ego وتحكمها عندما لا تحيِّد الثانيةُ المؤثراتِ القادمةَ من الأولى بتأثير جمحاتها. وباختصار، فإن الرباعي الأدنى المكوَّن من "المركبات"[1] المؤلِّفة للشخصية Personality لا يعرقل الفردية Individuality في سيرها الحثيث على درب تطورها الصاعد إلا حينما تلدغ أنانيةُ الشخصية وأثرتُها الإنسانَ الباطنَ بنابها المسموم لدغة تشلُّ قواه، وبذلك تفقد قوةُ الجذب إلى أعلى كلَّ سلطانها على الإنسان العاقل.

وحدها معرفة عقيدة التقمص reincarnation المتكرر للفردية نفسها عمرًا بعد عمر، مع الاستيقان أن على الجوهر الفرد أن يجتاز دورة الضرورة Cycle of Necessity، مُثابًا بالتقمص على الألم الذي عاناه، أو مُعاقَبًا على الألم الذي تسبَّب فيه، في أعمار سابقة – نقول: وحدها معرفة هذه العقيدة تعلِّل مسألة الخير والشر وتُصالِح الإنسان مع ظلم الحياة الرهيب في ظاهره؛ إذ لا شيء إلا اليقين الداخلي، القائم على المعرفة، بوسعه أن يهدِّئ من روع إحساسنا المتمرد بالعدالة.

إننا نقف مذهولين أمام سرِّ صنعتنا وأحاجي الحياة التي يُعجِزنا حلُّها، فنتَّهم "وحش طيبة" الرهيب بافتراسنا، كما عبَّرت أسطورة أوديب.[2] لكنْ ما من شيء حادث في حياتنا، وما من حظٍّ عاثر إلا وبالوسع

---

[1]- **"المركبات" أو "المبادئ" المكوِّنة للشخصية Personality هي البدن، والجسم النجمي astral body، والمبدأ الحيوي *prana* المتخلِّل لها جميعًا، والجسم الرغائبي *kama-rupa*؛ بينما المبادئ المؤلِّفة للفردية Individuality هي الذهن *manas* بشقَّيه: الفكر (الأقرب إلى طبيعة الشخصية) والعقل (الأقرب إلى طبيعة الفردية)، والعقل الأرفع *buddhi* والروح *atma*. يؤلف مجموع العقل الأرفع والروح *atma-buddhi* ما يُعرَف بالجوهر الفرد Monad، ويصل بين الفردية والشخصية جسرٌ أو "برزخ" من المادة الذهنية يُسمى *أنتسكارنا* *antaskarana***

[2] **جواب الأحجية التي يطرحها الوحش على أوديب هو الإنسان؛ فالإنسان هو الكائن الذي تَحْسُنُ العودة إليه لفهم كلِّ أسرار الكون وقوانينه لأنه ينطوي عليها جميعا:**
وتحسب أنك جرمُ صغيرٌ * وفيك انطوى العالم الأكبر

اقتفاء أثره حتى أفعالنا في هذه الحياة أو في حياة سابقة. إذا خرق أحدهم نواميس التناغم الكوني ترتَّب عليه أن يستعد للوقوع أسير الفوضى التي تسبَّبَ في إحداثها.

ما الكون إلا التجلِّي الدوري للمبدأ المطلق. ههنا سرُّ القاعدة العيسوية الواردة في "الصلاة الربية": "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض." والإنسان هو الشاهد الحيُّ على هذا الناموس الشامل وعلى سيرورة فعله الكوني. فلا مراء أن كلَّ حركة، أو إيماءة، إرادية أو تلقائية، عضوية أو ذهنية، ناجمة عن إحساس أو انفعال، عن إرادة أو مشيئة، عن تفكير أو تعقُّل، أو مسبوقة بها. وكما أن كلَّ حركة أو تغيير في الإنسان الظاهر لا يتم ما لم يتحرَّض بباعث داخلي عبر واحدة من الوظائف الثلاث المذكورة، كذلك الأمر مع الكون الظاهر أو المتجلِّي. وكما أن كوكبنا يدور حول الشمس مرة كلَّ سنة، وفي الوقت نفسه يدور حول نفسه مرة كلَّ 24 ساعة، ويقطع بذلك أدوارًا صغرى ضمن أدوار أكبر، كذلك تتم الفترات الدورية الصغرى وتتعاقب.

يشرف على دوران العالم الجسماني، بحسب الحكمة القديمة، دورانٌ مقايس في عالم الفكر – هو في الواقع التطور الروحي للعالم الذي يتم، مثله في ذلك كمثل التطور الجسماني، وفقًا لأدوار. وبذلك نشهد في التاريخ تناوبًا متواصلاً بين المدِّ والجزر في التقدم البشري. فكم من ممالك وأمم، إذ بلغت أوج سؤددها، دالت دولتُها وانحدرت إلى الحضيض امتثالاً للقانون عينه الذي أوصلها إلى الذروة. والبشرية، متى بلغتْ نهايتَها الحدية الدنيا، تعود لتنهض مجددًا وترتقي، بحيث يكون العلوُّ الذي تبلغُه، وفقًا لقانون التدرُّج الصاعد عبر الأدوار، أرقى، نوعًا ما، من علوِّ النقطة التي سبق لها أن انحدرت منها.

بيد أن هذه الأدوار لا تؤثر في البشرية كلِّها في وقت واحد؛ إذ إن الدور الأول يشتمل على تدرُّج البشرية منذ ظهور الإنسان الأول في صورته الأثيرية، ويجري طوال الأدوار الصغرى لتطوره التدريجي، من الأثيري

نزولاً حتى نصف الأثيري، فالجسماني الصرف، حتى الإفلات من "القميص" المادي، والعودة بعدئذٍ ومواصلة المسار نزولاً، فصعودًا من جديد حتى الملأ الأعلى plêroma.

وعلى المرتبة الإنسانية يرتبط قانون التقمص أو العَوْد للتجسُّد بقانون كرما ارتباطًا لا تنفصم عراه. وتتلخص عقيدة التقمص باكتساء الفردية الإنسانية بسلسلة طويلة تكاد لا تنتهي من الشخصيات، هي الأزياء والأدوار التي "يتقمَّصها" الممثل ويتواحد معها، مثلما يواحِده معها جمهورُ المشاهدين، مدة بضعِ ساعات هي مدة استمرار المسرحية؛ أما الإنسان الباطن الذي "يشخِّص" هذه الأدوار فهو على علم تام أنه ليس هملت أو ياغو أو جولييت أو الليدي مكبث إلا إبان هذه المدة وحسب، وأنه والمبدأ المطلق واحد في صميم كيانه.

- المبدأ الأساسي الثالث:

كلُّ ما في الكون، كما أشرنا، واعٍ؛ أي أنه مزود بوعي من نوعه وعلى مستواه الخاص من التفتُّح. فلا ننسينَّ، نحن البشر، أننا، وإن لم يكن بمقدورنا بعد أن نبصر إرهاصات الوعي في الحجر مثلاً، لا يحق لنا – ولا يليق بنا – أن نقول إن الحجر خلو من الوعي. فكما أنه ليس في الكون ثمة قانون "أعمى" أو "غير واعٍ"، كذلك ليس فيه مادة "ميتة" أو "صمَّاء"؛ فهذه كلمات لا مكان لها في قاموس الفلسفة الباطنية التي لا تكتفي بمظاهر السطح الخارجي لأن الماهيَّات النومينية أشد واقعية، في نظرها، من نظيراتها الجواهر الفينومينية.

إن نظام الطبيعة بأسره يتكشَّف عن مسيرة متدرِّجة نحو حياة أرقى. فهناك خطة مُحكمة تبطِّن فعل ما يبدو لنا في الظاهر قوى عمياء؛ وما سيرورة التطور كلُّها، في كلِّ مآتيها، إلا برهان على وجود عقل كوني مدبِّر يفعل بواسطة نواميس سرمدية لا تُخرَق.

يتجلَّى الكون دوريًّا في سبيل غايات تتعلق بالتقدم الجماعي الكلِّي لحيوات فردية لا حصر لها – هي أنفاس من الحياة الواحدة وشرارات من النار الكلِّية – كي تتمكن كلُّ ذرة من ذرات هذا الكون اللانهائي، عبر الصيرورة الأبدية، من الصعود مجددًا مع كلِّ "فترة عالمية" جديدة، مارة من اللاشكلاني وغير المحسوس، عبر الطبائع المتمازجة لنصف الأرضي، نزولاً حتى المادة في تشكُّلها التام، ثم عائدة من جديد إلى المصدر الذي أتت منه. والآخذون بالتقمُّص وكرما، ناموسه التوأم، يدركون – وإنْ إدراكًا مبهمًا – أن سرَّ الحياة كلَّه قائم في السلسلة غير المنقطعة لتجلِّياتها، إنْ في الأجسام أو بمعزل عنها. وتعلِّمنا العقيدة السرية وحدة كلِّ النفوس مع النفس الكلِّية، ورحلة الحج الإلزامية لكلِّ نفس، عبر دورات التجسُّد، بما يتوافق مع القانون الدوري والكَرْمي؛ وبعبارة أخرى، ما من نفس يمكن أن يكون لها وجودٌ مستقل واعٍ قبل أن يكون بمقدور الشرارة الصادرة عن النفس الكلية

أ-أن تجتاز كافة الأشكال العنصرانية **elemental** للعالم الفينوميني لهذا الـمَـنْـفَـنْـتَـرا؛ و

ب-أن تحوز على فردية، بالدافع الطبيعي أولاً، ومن بعدُ بفضل جهودها الذاتية التحريض والذاتية التخطيط، المنظومة بـكرمـاها؛ وبذلك تتوقَّل درجات الذهن كافة، من العقل الأدنى، كاما مَنَس **kama-manas**، إلى العقل الأرفع، بودِّهي مَنَس **buddhi-manas**، من المعدني والنباتي، صعودًا حتى أرفع الملائكة.

فالعقيدة المحورية للفلسفة الباطنية، كما تقول السيدة بلافاتسكي في العقيدة السرية، لا تُجيز منحَ الإنسان امتيازاتٍ أو مواهب مجَّانية، إلا ما حاز عليه منها بجهوده واستحقاقاته طوال سلسلة طويلة من التقمصات. تعلِّمنا هذه العقيدة أن على العقول الأولى، حتى تصير "آلهة" كلِّية الوعي، إذا جاز التعبير، أن تمر بالمرحلة البشرية ؛ ذلك أن على كلِّ كيان أن يفوز بحق الألوهية بنفسه عبر خبرته الذاتية.

ما من عالِم بالغيبيات إلا ويؤكد أن الإنسان، في تشكُّله الجسماني، هو، بما لا يقل عن أيِّ كائن أرضي آخر، أبسط نتاج للقوى التطورية الطبيعية عبر سلسلة من التحولات لا حصر لها؛ لكنه يطرح المسألة طرحًا يختلف عن طرح العالِم الوضعي لها، من حيث إنه يعلم
أن العنصرانيات **elementals** نصف العاقلة وغير العاقلة الدنيا ستصير يومًا في عِداد البشر. وما امتياز العاقلة البشرية بالفطنة إلا برهان عالِم الغيب أن الإنسان حصَّل المعرفة والفطنة عبر الدورة البشرية. ليس في الكون إلا علم مطلق واحد بكلِّ شيء وعقل مطلق واحد، لا يتجزأ، يسطع في كلِّ ذرة أو نقطة لا متناهية الصغر من نقاط الكون، يدعوه الناس فراغًا باعتباره بمعزل عن كلِّ ما يحتوي. قد يكون هذا سرًّا مستعصيًا على فهم "البرَّاني"، لكنه في الواقع حقيقة اختبارية في الفلسفة الباطنية.

بذا يتضح لنا وجود خطة تطورية مثلَّثة، أو بالأحرى ثلاث خطط متمايزة للتطور في الطبيعة، لكنها متداخلة في منظومتنا ومتمازجة تمازجًا مُحكمًا في كلِّ نقطة من نقاط الفراغ، ألا وهي:

أ- التيار الموناديmonadic أو الروحاني؛

ب- التيار الذهني؛

ت- التيار الجسماني.

وهذه التيارات الثلاثة إنما هي المظاهر أو الانعكاسات للحقِّ الواحد غير المحدود بحيث:

أ- يُعنى التيار المونادي، كما يشير اسمُه، بنمو الجوهر الفرد (= الموناد) وتفتُّحه، وصولاً إلى مراتب وجودية أرقى فأرقى، بالاقتران مع –

ب- التيار الذهني الممثَّل بـ"واهبي الفطنة والوعي للإنسان"، أو ما يُعرَف في المنقول الهندوسي بـمَنَسا بوترا **manasa-putra**، و

–

ت-التيار الجسماني الذي تَبَلْوَر من حوله الجسمُ الجُرْميُّ الراهن.

وينهض هذا الجسم الأخير بدور مركبة أو وعاء للنمو، إذا جاز التعبير، وكذلك بالتحول بواسطة الذهن (مَنَس **manas**)، بفضل تراكم الخبرات، من المنتهي إلى اللامنتهي، من العَرَض إلى الجوهر، من الفاني إلى الأبدي. ولكلِّ منظومة من هذه المنظومات ناموسُها؛ وكلٌّ منها ممثَّل في تكوين الإنسان – وهو الكون الصغير الذي يلخِّص الكون الكبير كما أسلفنا؛ وإن اجتماع هذه التيارات التطورية الثلاثة الكبرى فيه هو ما يجعله على ما هو عليه من تعقيد وإبداع صنعة.

ليس للطبيعة أو القدرة التطورية الجسمانية أن تتمخض وحدها عن الذهن بغير مساعدة؛ فهي، بمفردها، لا تستطيع أن تبدع إلا أشكالاً. لذا فإن العقول الإلهية هي التي تملأ الفجوة، ممثِّلة القوة التطورية للفطنة والعقل وصلة الوصل بين "الروح" و"المادة". ففي أثناء طفولة الذُرِّية البشرية الأولى ،[1] في بدء الدور البشري الحالي، تشكَّلتْ مركبةٌ مهيأة وتامة لتجسُّد أهالي الأفلاك العليا ممَّن اتخذوا تلك الأشكال، المولودة من المشيئة الروحية والقدرة الإلهية الطبيعية في الإنسان، مساكنَ لهم.

في البدايات الأولى لوجود الإنسان على كوكب الأرض كان الذهن النفساني والجسماني هاجعًا، وكان الوعي ما يزال غافيًا وغير نامٍ، وكانت التصورات الروحية – بالتالي – غير متصلة بالمحيط المادي، من حيث إن الإنسان الإلهي كان مقيمًا في صورته الحيوانية (وإن كانت تبدو بشرية من الخارج)؛ ومع أن هذا الإنسان كان يتَّصف بالغرائز لم يكن أيُّ وعيٍ للذات ينير الظلمة التي كانت تكتنف وجوده. وحين نفخ فيه أربابُ العقل، امتثالاً لقانون التطور، شرارة العقل، كان أول شعور

[1] راجع: جهاد الياس الشيخ، "دراسات ثيوصوفية 2"، *معابر*، الإصدار العاشر، باب "منقولات روحية".

استيقظ فيه إحساسًا فطريًّا بالتواحد مع "خالقيه" الروحيين؛ وكأول إحساس ينتاب الطفل نحو أمه ومرضعته كذلك كان أول أشواق الوعي المستيقظ لدى الإنسان البدائي نحو الذين كان يشعر بعنصرهم ينمو فيه – على كونهم خارجه. [1]

تعتبر الثيوصوفيا الإنسانيةَ صدورًا وفيضًا عن حالة من "الألوهية" في طريقه إلى العودة إلى المبدأ الذي صدر عنه. وفي شوط متقدم جدًّا من درب التفتح الإنساني الطويل يبلغ المرء
مرتبة النطاسة Adeptship التي لا يرقى إليها إلا من نَذَرَ عدة أعمار متوالية لبلوغها.[41] وقد يكون عدد الرجال والنساء ممَّن باشروا، منذ عدة أعمار سابقة، النهوض بهذا العمل الصعب، الرامي إلى تحقيق الإشراق الروحي الأسمى، عددًا لا يستهان به؛ غير أنهم ما يزالون، من جراء أوهام حياتهم الراهنة، إما جاهلين بذلك أو في سبيلهم إلى تفويت كلِّ فرصة متاحة لهم في حياتهم هذه لإحراز بعض التقدم. فهم يشعرون بانجذاب لا يعانَد إلى علم الباطن والسرَّانية وإلى الحياة العَلَيانية، لكنهم من التمركز حول شخصياتهم ومن التعلق بالحياة الدنيوية، بزيفها وأوهامها وملذَّاتها الزائلة، بحيث يقفون عاجزين عن الزهد والفقر الروحيين، [2] **وبذلك يضيعون على أنفسهم كلَّ فرصة في هذه الحياة للتحول إلى حياة أجمل وأعمق. بيد أن الموناد في كلِّ كائن بشري هي، بحدِّ ذاتها، فردية روحية، واحدة، بما هي كذلك، مع الروح الكلِّية، وعليها معقد كلِّ رجاء في الخلاص والانعتاق.**[3]

---

[1] من ذلك الشعور وُلِد الوفاء الذي غدا المحرِّك الأول والأهم في طبيعته، من حيث إنه الشعور الطبيعي الأوحد في قلب الإنسان – الشعور الذي جُبِلَ عليه والذي يشترك فيه الطفلُ مع صغار الحيوان.

[2] لا يغيبنَّ لنا عن بال أن الوصول إلى هذه المنزلة لا يتم بين ليلة وضحاها وأن أعمارًا عديدة ضرورية لذلك حالما تُستوعى الغاية المرجوَّة ويُضطَّلع، من بعدُ، بالتدريبات الشاقة التي لا مندوحة عنها لبلوغها.

[3] - اللهم إلا إذا كسر الانحطاطُ الخُلُقي الأقصى صلة الوصل بينها وبين المبادئ الدنيا التي تفلت حينئذٍ من عقالها وتنطلق هائمة "على غير هدى على الدرب القمري"، بحسب التعبير الباطني.

هذا وإن القلب الإنساني لم يفصح بعد عن مكنوناته كلَّ الإفصاح، ومازلنا بعيدين كلَّ البعد عن بلوغ أو حتى استشفاف مدى قدراته. أفكثير علينا – والحالة هذه – أن نؤمن بأن في مكنة الإنسان أن ينمِّي في نفسه إمكانات جديدة ويعقد علائق أوثق وأنبل مع الطبيعة والكون – علائق قائمة فعلاً، لكنه لا يلقي إليها بالاً؟ إن في جعبة منطق التطور الكثير الكثير مما يمكن، لا بل يجب أن نتعلَّمه، على أن نتابعه حتى تخومه القصوى. وعندئذٍ لا بدَّ لنا أن نعرف، كشفًا وإلهامًا، أن ثمة، عند نقطة معينة من الدرب الصاعد، من المعدني والنباتي حتى أنبل البشر، حيث تتفتح نفس موهوبة بالخصائص الذهنية، ملكة إدراكية عليا، يمثِّلها القلب، تستيقظ في الإنسان وتمكِّنه من اكتناه أسرار حقائق تتخطى مدى إدراكنا العادي.

يبقى أن الإحجام عن قبول أن في منظومتنا الشمسية كائنات سوانا، عاقلة وقادرة على التفكير على المرتبة الإنسانية، هو من قبيل العناد المحض. فما لأحد أن ينكر سلفًا (وخصوصًا أن معطيات العلم الحديث باتت تؤيِّد ذلك) إمكان وجود عوالم ضمن عوالم في شروط مختلفة عن الشروط التي تكوِّن طبيعة عالمنا؛ وما لأحد أن ينكر علينا إمكان قيام اتصال بين هذه العوالم وعالمنا الأدنى.

وعلى ماسبق، فإن الثيوصوفيا تقول لنا: إن درب الخير هو درب الفلسفة – بمعنى حكمة الحياة والعمل – بما ينطوي عليه ذلك من أثر مباشر على المواقف الأخلاقية. فالمبدأ الأساسي الأول، بما هو قاعدة الأخوَّة الشاملة، يشدِّد أن "الواحد الذي ما له ثانٍ" موجود في كلِّ موجود، بما يجعله قادرًا على تخطِّي أية درجة راهنة في المعرفة أو أيِّ كمال نسبي في الحياة والسلوك. ويقتضي ذلك أن حضور هذه "الذات العليا" في كلِّ صورة إنسانية يعني أن بوسع كلِّ إنسان أن يتخطى ذات يوم أيَّ معتقد ضيِّق أو أيَّ مسلك شائن (بالمعايير الحالية) وأن يحقق الخلاص والحرية الروحية.

بينما يقترح المبدأ الأساسي الثاني، في كشفه عن شمولية الدورية في الكون، أن التناوب بين المدِّ والجزر في نموِّ الأفراد يؤدي حتمًا إلى تناوب بين الغشاوة والسطوع فيما يختص بغايات الروح. فالإنسان ذو النزعة المخرِّبة قد يكون مخرِّبًا الآن ولكن ليس إلى الأبد، ولا بدَّ له، ذات يوم، من أن يبلغ أشدَّه ويغدو قانونًا لنفسه، بمعنى أن يكون وحده قادرًا على الإفصاح عن القدرات العليا الكامنة فيه كلما أجازت له دورةُ حياته ذلك.

- أما المبدأ الأساسي الثالث، أو "العقيدة المحورية" في الفلسفة الباطنية، ففيه تجتمع كلُّ المفاهيم المتفرعة عن المبدأين الأول والثاني. فلما كان القصد من التطور هو تفتح الفردية، وكانت الفردية لا تتفتح إلا بمقدار ما يدرك المرء المغزى من تفاعله مع الموجودات الأخرى، كان مصيرُ الإنسان يقتضي بالضرورة الاشتغال بالفلسفة كمنهاج حياة. والقصد التربوي من الحياة ليس منع الإنسان نفسه من اقتراف "الشرِّ" فكرًا وعملاً، كما يُظَنُّ عمومًا، بل بالحري فهم مكوِّنات الخير والشر ورؤية الروابط التي تشد مصير كلِّ "نفس" إلى مصائر النفوس الأخرى في الخير والشرِّ جميعًا.

كل عقيدة سامية فهي نوع من المزاوجة بين :"العرفان" gnosis وبين مستوى قدرة الإنسان على استيعابه. لذا لا بدَّ أن يبلغ الإنسان شوطًا يتخطى فيه "حرف" العقيدة بحدِّ ذاتها إلى الهدف الأوحد منها: معرفة النفس. على هذا الأساس، ربما انطوت العقيدة على حقائق نفسية وروحية قد تيسِّر للمرء حدس هذه المعرفة الكلِّية وتحقيقها في باطنه.

الحياة، في المنظور الثيوصوفي، إنما هي مدرسة كبرى – بل ما من مدرسة سواها. وهذا يحتِّم علينا بلوغ شوط من التطور الداخلي نشعر فيه بوجوب فهم المغزى من وجودنا، ونعي طبيعتنا الحق، ولا ندَّخر وسعًا لاستعمال كافة السبل المتاحة لنا، في كلِّ اتجاه وكلِّ حالة من حالات وعينا (من صحو وحلم ونوم عميق إلخ) لمناغمة كياننا بحيث نوقِّع عليه أدواتنا الدنيا لتصير تعبيرًا كاملاً عن طبيعتنا الباطنة الكونية.

لكن عالمنا الأرضي صعب، من حيث إنه أدنى عوالم السلسلة الكوكبية Planetary Chain (المؤلَّفة من سبعة أجرام) وأغلظها: إنه عالم الثنائية والصراع والتغير الذي يعسر فيه إدراك الوحدة المبطِّنة للكثرة والتعدد اللانهائيين. لذا فإن درب المعرفة فيه ليس بالدرب الممهَّد بل هو درب "مفروش بالشوك والحصى المسننة، وعلى سالكه أن يدمى عقله وقلبه قبل أن تدمى يداه ورجلاه" (ميخائيل نعيمه، نجوى الغروب).

بيد أن لنا رجاء في النور الخفي الساطع في كلِّ شيء، وفي الروح المستتر في باطن كلِّ شيء، وفي الحياة التي لا تهَب لنا كلَّ ساعة أقل من ذاتها...

ولنا، قبل كلِّ شيء، وفي كلِّ شيء، وبعد كلِّ شيء، الحق الذي نحن منه، وبه، وفيه، وإليه، والذي "لا دين أعلى منه"، وبه وحده نستهدي إليه.

- بين البوذية والثيوصوفيا:

- الفلسفة والديانة البوذية:

تعتبر البوذية من الديانات الرئيسية في العالم، حيث تعتبر رابع أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والإسلام والهندوسية، ويصل تعداد أتباعها إلى أكثر من 520 مليون نسمة، أي أكثر من 7% من سكان العالم، ويعرف أتباعها باسم البوذيين؛ وجذور كلمة بوذية نسبة إلى مؤسسها غوتاما بوذا.

أُسست عن طريق التعاليم التي تركها بوذا ؛ حيث نشأت البوذية في شمالي الهند وتدريجياً انتشرت في أنحاء آسيا والتيبت فسريلانكا ثم إلى الصين ومنغوليا وكوريا فاليابان .

تتمحور العقيدة البوذية حول ثلاثة أمور (الجواهر الثلاث):

- أولها :الإيمان ببوذا كمعلّم مستنير للعقيدة البوذية
- ثانيها: الإيمان بـ «دارما»، وهي تعاليم بوذا وتسمّى هذه التعاليم بالحقيقة.
- ثالثها :وآخرها المجتمع البوذي .

تعني كلمة بوذا بلغة بالي الهندية القديمة، «الرجل المتيقّظ» (وتترجم أحيانا بكلمة المستنير).
تجدر الإشارة إلى أن اللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية (بوذا) هو «بودا»، بالدّال، وليس بالذال.
- "البوذية لا تنكر وجود الأله. في البوذية ، توصف الألهة بأنها كائنات قوية يمكنها إسقاطالأمطار وتحقيق الانتصارات ،ولكن ليس لديهم سلطة على القانون الذي هو مصدر الحزن والمعاناة هو رغبة . إذا فزع الإنسان من كل الأحزان ، فلا إله يستطيع أن يؤذيه ، وكذلك إذا أصاب الإنسان حزن ، لا تستطيع جميع ألهة الكون أن تنجيه من الحزن[1]"

- السجلات الاكاشية **Akashic records**:
كلمة اكاشا هي كلمة ذات اصل سنسكريتي و هي تعني"السماء/الاثير/الفضاء" حيث كان القدماء يعتقدون أن الاكاشا هي طاقة الحياة الأساسية التي ينبعث منها كل شيء في الوجود و توجد في تلك الطاقة جميع المعلومات الكونية علي هيئة ترددات و يمكننا الوصول و الاستفادة من السجلات الاكاشية لمعرفة المعلومات الكونية.

- التنبؤ ومعرفة الغيب بوهم السجلات الأكاشية:

---
[1] يوفال نوح هراري

السجلات الاكاشية بها كل المعلومات عنك و عن كل شيء موجود في العالم.كل شيء حدث أو يحدث أو سيحدث موجود بالفعل في السجلات الاكاشية.أي الماضي,الحاضر و المستقبل.

هناك ثلاثة أنواع للسجلات الأكاشية:
1-السجلات الأكاشية الشخصية:
و هي تعتبر أفكارك و مشاعرك التي يتم تسجيلها في الحمض النووي الخاص بك.DNA حيث يعتبر الحمض النووي مخزن لكل شيء منذ ان ولدت و حتي الموت.لذا كل ما تشعر به و كل ما تفكر به يعد مهما جدا في تحديد حياتك.
2-السجلات الاكاشية العالمية:
تلك السجلات تسجل كل ما يحدث في مجتماعتنا,كل شخص ولد في هذا العالم له تردد مسجل في هذه السجلات.و لهذا تعد السجلات الاكاشية العالمية مهمة جدا نظرا لما تحتوي من امتزاج للترددات الجماعية التي تؤثر كلها علي بعضها البعض.
3-السجلات الاكاشية الكونية:
هي تسجل كل ما يحدث في الكون و خصوصا التطور الذي يحدث به مع الوقت.

في الأنثروسوفيا تعتبر السجلات الأكاشية خلاصة الأفكار والأحداث والعواطف وفي البوذية والثيوصوفية يرون انها حقيقية فقد ادعت العرافة البولندية :

-هيلينا بتروفنا بلافاتسكي (1831–1891) أنها استطاعت دخول تلك السجلات بطريقة ما فقد زعمت في كتابها العقيدة السرية أنها تعلمت هذه الطريقة من رهبان التبت وزعمت أيضا انها قد اطلعت على كتابهم السري ديزان .

- عراف آخر حير الجميع هو العراف الأمريكي إدغار كايس (1877-1945) حيث ادعى أن أغلب تنبؤاته أخذها من تلك السجلات حيث كان العراف يعطي اجاباته للناس وتنبؤاته وهو نائم أو وهو في شبه غيبوبة يدخل وقتها إلى تلك السجلات ويستمد منها المعلومات المطلوبة فلقب من أجل ذلك بالمتنبئ النائم كما أنه ادعى أنه يستطيع أن يحوي في رأسه كل خبرات البشر منذ الخليقة.

هناك أناس جربو دخول تلك السجلات عن طريق النغمات الرتيبة للأصوات أثناء الصلاة أو عن طريق الريكي أو عن طريق التعمق في التأمل أو التفكر أو بعزل حواس الجسم عن العالم المحيط حيث أن البعض يرى أن الدخول للسجلات مرتبط بما يسمى بالإسقاط النجمي ، وبالرغم من ذلك لا يوجد دليل علمي واضح وصريح على وجودها.

-التأمل البوذي:

- وعن التأمل في البوذية:

هناك نوعان من "التأمل":

- التطور العقلي -التطور العقلي هو ما نطلق عليه عالمياً الآن لفظة التأمل: -

١-تطوير وتنمية -تأمل- الهدوء العقلي (samatha-bhāvanā) أو التركيز- (samādhi-bhāvanā) تأمل الساماتا- ؛

و٢-تطوير وتنمية البصيرة -تأمل "الفيباسانا" البصيرة أي رؤية الأشياء على حقيقتها (vipassanā bhāvanā) - أو الحكمة-(pañā-bhāvanā).يتكرر كلا المصطلحين ، "الهدوء العقلي" و "البصيرة" ، في كثير من الأحيان في نصوص السوتا -المحاضرات والنقاشات التي قالها البودا. -

١-الهدوء والسكينة (الساماتا) هي الحالة الذهنية الثابتة -الغير مهتزة- والهادئة والواضحة التي تتحقق في الاستغراق التأملي (jhāna) (الجانا. (

٢-ومع ذلك ، فإن البصيرة (vipassanā) هي الفهم والاختراق المتخلل -لحقيقة الأشياء- ، من خلال الإختبار والتجربة التأملية المباشرة "١- لعدم الثبات" و "٢-عدم الرضا والإكتفاء" و "٣-عدم وجود الشخصية أو الذات (anicca "، dukkha، anattā) لجميع الظواهر "الجسدية" و "العقلية" للوجود ، أي المجموعات الخمس للوجود (khandha.)، أي: الجسد ، والشعور ، والإدراك ، والتكوينات العقلية ، والوعي.

- الديانة البوذية:
تعتبر البوذية من الديانات الرئيسية في العالم، حيث تعتبر رابع أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والإسلام والهندوسية، ويصل تعداد أتباعها إلى أكثر من 520 مليون نسمة، أي أكثر من 7% من سكان العالم، ويعرف أتباعها باسم البوذيين؛ وجذور كلمة بوذية نسبة إلى مؤسسها غوتاما بوذا.
أُسست عن طريق التعاليم التي تركها بوذا ؛ حيث نشأت البوذية في شمالي الهند وتدريجياً انتشرت في أنحاء آسيا والتيبت فسريلانكا ثم إلى الصين ومنغوليا وكوريا فاليابان .
تتمحور العقيدة البوذية حول ثلاثة أمور (الجواهر الثلاث):

- أولها :الإيمان ببوذا كمعلّم مستنير للعقيدة البوذية
- ثانيها: الإيمان بـ «دارما»، وهي تعاليم بوذا وتسمّى هذه التعاليم بالحقيقة.
- ثالثها :وآخرها المجتمع البوذي .

تعني كلمة بوذا بلغة بالي الهندية القديمة، «الرجل المتيقّظ» (وتترجم أحيانا بكلمة المستنير).
تجدر الإشارة إلى أن اللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية (بوذا) هو «بودا»، بالدّال، وليس بالذال.

- "البوذية لا تنكر وجود الأله. في البوذية ، توصف الألهة بأنها كائنات قوية يمكنها إسقاطالأمطار وتحقيق الانتصارات ،ولكن ليس لديهم سلطة على القانون الذي هو مصدر الحزن والمعاناة هو رغبة . إذا فزع الإنسان من كل الأحزان ، فلا إله يستطيع أن يؤذيه ، وكذلك إذا أصاب الإنسان حزن ، لا تستطيع جميع ألهة الكون أن تنجيه من الحزن[1]"

- السجلات الاكاشية Akashic records:

كلمة اكاشا هي كلمة ذات اصل سنسكريتي و هي تعني"السماء/الاثير/الفضاء" حيث كان القدماء يعتقدون أن الاكاشا هي طاقة الحياة الأساسية التي ينبعث منها كل شيء في الوجود و توجد في تلك الطاقة جميع المعلومات الكونية علي هيئة ترددات و يمكننا الوصول و الاستفادة من السجلات الاكاشية لمعرفة المعلومات الكونية.

السجلات الاكاشية بها كل المعلومات عنك و عن كل شيء موجود في العالم.كل شيء حدث أو يحدث أو سيحدث موجود بالفعل في السجلات الاكاشية.أي الماضي,الحاضر و المستقبل.

هناك ثلاث انواع للسجلات الاكاشية:

1-السجلات الاكاشية الشخصية:

و هي تعتبر أفكارك و مشاعرك التي يتم تسجيلها في الحمض النووي الخاص بك.DNA حيث يعتبر الحمض النووي مخزن لكل شيء منذ ان ولدت و حتي الموت.لذا كل ما تشعر به و كل ما تفكر به يعد مهما جدا في تحديد حياتك.

2-السجلات الاكاشية العالمية:

[1] يوفال نوح هراري

تلك السجلات تسجل كل ما يحدث في مجتماعتنا,كل شخص ولد في هذا العالم له تردد مسجل في هذه السجلات.و لهذا تعد السجلات الاكاشية العالمية مهمة جدا نظرا لما تحتوي من امتزاج للترددات الجماعية التي تؤثر كلها علي بعضها البعض.

3-السجلات الاكاشية الكونية:

هي تسجل كل ما يحدث في الكون و خصوصا التطور الذي يحدث به مع الوقت.

في الأنثروسوفيا تعتبر السجلات الأكاشية خلاصة الأفكار والأحداث والعواطف وفي البوذية والثيوصوفية يرون انها حقيقية فقد ادعت العرافة البولندية هيلينا بتروفنا بلافاتسكي (1831–1891) أنها استطاعت دخول تلك السجلات بطريقة ما فقد زعمت في كتابها العقيدة السرية أنها تعلمت هذه الطريقة من رهبان التبت وزعمت أيضا انها قد اطلعت على كتابهم السري ديزان .

عراف آخر حير الجميع هو العراف الأمريكي إدغار كايس (1877-1945) حيث ادعى أن أغلب تنبؤاته أخذها من تلك السجلات حيث كان العراف يعطي اجاباته للناس وتنبؤاته وهو نائم أو وهو في شبه غيبوبة يدخل وقتها إلى تلك السجلات ويستمد منها المعلومات المطلوبة فلقب من أجل ذلك بالمتنبئ النائم كما أنه ادعى أنه يستطيع أن يحوي في رأسه كل خبرات البشر منذ الخليقة.

هناك أناس جربو دخول تلك السجلات عن طريق النغمات الرتيبة للأصوات أثناء الصلاة أو عن طريق الريكي أو عن طريق التعمق في التأمل أو التفكر أو بعزل حواس الجسم عن العالم المحيط حيث أن البعض يرى أن الدخول للسجلات مرتبط بما يسمى بالإسقاط النجمي ، وعلى رغم من ذلك لا يوجد دليل علمي واضح وصريح على وجودها.

- وعن التأمل في البوذية:

هناك نوعان من "التأمل":

- التطور العقلي -التطور العقلي هو ما نطلق عليه عالمياً الآن لفظة التأمل: -
١-تطوير وتنمية -تأمل- الهدوء العقلي (samatha-bhāvanā) أو التركيز- (samādhi-bhāvanā) تأمل الساماتا- ؛
و٢-تطوير وتنمية البصيرة -تأمل "الفيباسانا" البصيرة أي رؤية الأشياء على حقيقتها (vipassanā bhāvanā) - أو الحكمة-(pañā-bhāvanā).يتكرر كلا المصطلحين ، "الهدوء العقلي" و "البصيرة" ، في كثير من الأحيان في نصوص السوتا -المحاضرات والنقاشات التي قالها البودا. -
١-الهدوء والسكينة (الساماتا) هي الحالة الذهنية الثابتة -الغير مهتزة- والهادئة والواضحة التي تتحقق في الاستغراق التأملي (jhāna))الجانا. (
٢-ومع ذلك ، فإن البصيرة (vipassanā) هي الفهم والاختراق المتخلل -لحقيقة الأشياء- ، من خلال الإختبار والتجربة التأملية المباشرة "١-لعدم الثبات" و "٢-عدم الرضا والإكتفاء" و "٣-عدم وجود الشخصية أو الذات (anicca "، dukkha، anattā)لجميع الظواهر "الجسدية" و "العقلية" للوجود ، أي المجموعات الخمس للوجود (khandha)، أي: الجسد ، والشعور ، والإدراك ، والتكوينات العقلية ، والوعي.

- البوذية:
البوذية، دين يمتد تاريخه لأكثر من 2000 عام، يهتم بالحياة الدنيوية. يعيش الرهبان البوذيون على الصدقات وينذرون أنفسهم للعفة. الرهبان يكرسون حياتهم لمساعدة الآخرين ولإظهار قيم البوذية الحقة. لكي تصبح راهبًا بوذيًا، يجب عليك حفظ وفهم التعاليم البوذية بإتقان، وأن تدرس مع معلم أو مرشد وتبدأ التدريب في المعبد.

الأساسيات التي يجب معرفتها عن البوذية:

- تعرف على الدرب الثماني النبيل، وهو طريق إنهاء جميع الآلام. يتكون الدرب من؛ الفهم السوي، القول السوي، النية السوية، الجهد السوي، الذهن السوي، التركيز السوي، الفعل السوي وأخيرًا الحياة السوية.

- ادرس الحقائق النبيلة الأربعة، وهي جوهر الديانة البوذية. أبسط طريقة لشرح الحقائق النبيلة الأربعة هي كالآتي؛ المعاناة حق، وهي ناتجة عن الارتباط بالشهوات، تنتهي تلك المعاناة لحظة التجرد من الشهوات، ودرب الثماني النبيل هو طريقك للتحرر من المعاناة والآلام. [1]

- التحق بمعبد أو (سانجا)، وهو مكان ممارسة الطقوس البوذية. تعتبر البوذية ديانة عالمية وتنتشر معابدها في جميع دول العالم تقريبًا.

ممارستك للبوذية كشخص عادى سيعطيك فكرة جيدة عن كيفية العيش ضمن المجتمع البوذي، وذلك هو أساس تحولك لراهب بوذي. ستحتاج لأن تصبح جزءًا من المجتمع البوذي لعدة أشهر وربما لسنوات، قبل أن تخطو الخطوة التالية لتصبح راهبًا.

- ابحث عن المركز البوذي القريب منك في دليل الهاتف أو عن طريق الإنترنت.

- كن مشاركًا نشطًا في المعبد البوذي. بعض تلك المعابد أو المراكز تمنح دروسًا تمكنك من زيادة فهمك لتعاليم البوذية. وأخرى تنظم جلسات خلوة لتساعدك على زيادة إيمانك.

- ليست كل المجتمعات البوذية متشابهة. شأنها شان المؤسسات الدينية الأخرى، بعضها تقليدي والآخر تطور على مدى الزمن. ابحث عن المجتمع الذي يعجبك وتراه مناسبًا لرؤيتك.

- من المفيد أيضًا زيارة المعابد البوذية في المدن الأخرى أو حتى البلدان الأخرى لتكون رؤية شاملة وملمة عن المجتمعات البوذية.

- ابحث عن مرشد روحي أو معلم. التعلم على يد مرشد روحي يعتبر خطوة أولى مهمة جدًا في تحولك للرهبنة. فالتعليمات المباشرة تساعدك على فهم التعاليم البوذية بعمق وتمنحك إدراكًا شاملًا لما هو مطلوب

---

[1] - التعاليم البوذية

منك كراهب. ابدأ العمل مع شخص يستطيع تعليمك كل شيء تحتاج معرفته.

-حتى تجد المعلم المناسب، اطلب من زملائك في المجتمع البوذي أن يرشدوك. ، ويمكنك ذلك من التواصل مع أحد المعلمين المحتملين.
- الاستعداد لحياة الرهبنة:

اقض بعض الوقت في التأمل. لتتحول إلى راهب بوذي يجب عليك بالتأمل اليومي وبذل الجهد بوعي في سبيل تغير طريقة تفكيرك. عندما تعيش في الدير، ستقضى معظم وقتك في التأمل. وسيتطلب ذلك بعض التدريب.
- البوذية تتضمن أشكالًا مختلفة من التأمل، منها التأمل الذي يركز على التنفس، والتأمل الذي يركز على التحول، والتأمل الذي يركز على نصوص للا مريم (تعاليم البوذية المكتوبة). وللتأمل العديد من الوضعيات أيضًا.
- ابدأ بالتأمل لمدة 5 دقائق مرتين في اليوم. وعندما تعتاد على مدة الخمس دقائق، زد مدة التأمل بمقدار خمس دقائق أخرى حتى تصل إلى 15 دقيقة مرتين في اليوم. بعض الرهبان يتأملون لساعات وساعات.

استعد لأن تكفل نفسك لمدة سنتين إلى ثلاث سنوات. لتتحول إلى راهب بوذي يجب عليك اتباع الفينيانا (دستور السلوك)، والذي ينص أن على الرهبان والراهبات البوذيات ألا يعملوا في وظيفة يومية لكفالة أنفسهم. في بعض الأحيان يقوم المعبد الذي انضممت إليه بتوفير الحاجات الأساسية، لكن في معظم الأحيان عليك بكفالة نفسك بنفسك.

استعد للتخلي عن ممتلكاتك الدنيوية. يعيش الرهبان كالمتسولين، بمعنى أنهم يمتلكون ما يكفل لهم حياة في غاية البساطة، ولا شيء أكثر. ستقدم لك الملابس وغير ذلك من الأشياء التي تساعد على راحتك يومًا بيوم.
أما الأجهزة الكهربية والملابس والأحذية الباهظة الثمن، أو أي شيء قد

يعتبر رفاهية فهو غير مسموح به. من غير المسموح للرهبان اقتناء أيّ أشياء قد تؤدى لظهور مشاعر الحقد أو الحسد أو حب الامتلاك.

- كن على علم بأن المجتمع البوذي سيصبح عائلتك الجديدة. عندما تنضم إلى دير ما، تصبح حياتك مكرسة لمجتمعك البوذي. ستقضى أيامك في خدمة الآخرين، وسوف ينصب جل تركيزك على من يحتاج المساعدة. لن تتواصل مع عائلتك إلا قليلًا، وسيتم تشجيعك لكي تعتبر مجتمعك البوذي بمثابة عائلتك الجديدة.

- قبل اتخاذ قرار الرهبنة، عليك مناقشته مع عائلتك وإطلاعهم على ما سيحدث.
- بعض الدور لا تقبل المتقدمين إن كانوا متزوجين أو كانت لديهم علاقات قوية. فالعزاب هم الأقدر على اتباع تعاليم البوذية، حيث لا توجد قوى خارجية تشتت انتباههم.

- كن على استعداد لتنذر نفسك للعفة. لا ينخرط الرهبان في أيّة نشاطات جنسية. وقد يمنع في بعض الأحيان أن يتواصل الرهبان والراهبات في أي أمور لا تتعلق بالأعمال اليومية. من الحكمة أن تتدرب على العفة قبل أن تبدأ الرهبنة لتعرف إن كانت حياة العفة تناسبك. الفكرة تكمن في أن الطاقة التي تهدرها في الجنس سيتم توجيهها إلى أشياء أعظم من النفس.

- حدد أي نوع من الالتزام ستقوم بعقده. حسب بعض العادات، فالرهبنة تكون مدى الحياة، لكن بعض التقاليد الأخرى تسمح بأن تكون الرهبنة لبضع شهور أو سنوات فقط. في التبت، على سبيل المثال، يقضى بعض الرجال شهرين أو ثلاثة كرهبان لتطوير هوياتهم الروحية، قبل أن يتزوجوا أو يحصلوا على وظيفة.

- تأكد أن الدير التي أنت مهتم بالانضمام إليها، ستمنحك مستوى الالتزام الذي تريد.

إن لم تحسم قرارك، فيمكنك أن تترهبن لمدة شهرين أوأكثر أو أقل.

- نيرفانا:

نيرفانا (-VAN- ʔˈvænə// ,neer-VAH-nə nɪərˈvɑːnə//)
ə, /_/ nur- nɜːrʔ؛ (بالسنسكريتية: □□□□□□□):
nirvāa [nɪɽʋaːɳɐ]؛ بالي: نيبانا؛ براكريت: نيفانا، حرفيا، كما هو الحال في انطفاء المصباح الزيتي) هو مفهوم في الديانات الهندية (البوذية والهندوسية والجاينية والسيخية) يمثل الحالة النهائية للإفراج عن الخلاص، والتحرر من إعادة الميلاد المتكرر في سامسارا.[1]

في الديانات الهندية، السكينة مرادفة لل موكشا وموكتي.[2]

تؤكد جميع الديانات الهندية على أنها حالة من الهدوء التام والحرية والسعادة القصوى بالإضافة إلى التحرر من أو إنهاء السامسارا ودورة الولادة والحياة والموت المتكررة.[3] ومع ذلك، فإن التقاليد غير البوذية والبوذية تصف هذه المصطلحات للتحرر بشكل مختلف.

في الفلسفة الهندوسية، هو اتحاد أو تحقيق هوية أتمان مع براهمان، اعتمادًا على التقليد الهندوسي.

في اليانية، النيرفانا هي أيضًا الهدف الخلاصي، والذي يمثل تحرير الروح من العبودية الكرمية والسامسارا.[13] في سياق البوذية و السكينة تشير إلى تحقيق غير المتمتعة بالحكم الذاتي والفراغ، بمناسبة انتهاء ولادة جديدة من قبل التسكين الحرائق التي تبقي عملية ولادة جديدة الذهاب.

النيرفانا في البوذية الجاينية هي حالة الخلو من المعاناة.تعتبر الـ (نيرفانا) هي حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة

---

[1] "نيرفانا". قاموس راندوم هاوس ويبستر غير مختصر.

[2] ريتشارد جومبريتش ، ثيرافادا البوذية: تاريخ اجتماعي من بيناريس القديمة إلى كولومبو الحديثة. روتليدج

[3]

طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمؤثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلا تماما بذهنه وجسده عن العالم الخارجي، والهدف من ذلك هو شحن طاقات الروح من أجل تحقيق النشوة والسعادة القصوى والقناعة وقتل الشهوات، ليبتعد الإنسان بهذه الحالة عن كل المشاعر السلبية من الاكتئاب والحزن والقلق وغيرها.
ويصل الكهنة البوذيون والزهاد الهنود إلى حالة الـ (نيرفانا) بعد فترات طويلة جدا من التأمل العميق، إلا أن الأمر وبطبيعة الحال صعب جدا على عامة الناس، وكل ما ذكرناه واقعي تماما على الرغم مما يبدو عليه الأمر من مجرد فكرة فلسفية.

وبقي أن نذكر أن أصل كلمة (نيرفانا) من لغة الهند الأدبية القديمة ويطلق عليها اسم (اللغة السنسكريتية).

البوذية:

علم أصول الكلمات:

تظهر أفكار التحرر الروحي، مع مفهوم الروح والبراهمان، في النصوص الفيدية والأوبنشاد، كما في الآية 4.4.6 من بريهادارانياكا أوبنشاد.

مصطلح نيرفانا بالمعنى الخلاصي لحالة التحرير «المنفوخة والمطفأة» لا يظهر في الفيدا ولا في الأوبنشاد؛ وفقًا لكولينز، «يبدو أن البوذيين كانوا أول من أطلق عليها اسم نيرفانا».[ربما كان هذا استخدامًا متعمدًا للكلمات في البوذية المبكرة، كما يقترح كولينز، حيث تم وصف أتمان وبراهمان في النصوص الفيدية وأوبنشاد مع صور النار، كشيء جيد، مرغوب فيه ومتحرر.

يقول كولينز إن كلمة نيرفانا مشتقة من الجذر اللفظي طفأ ومن هنا فإن المعنى الأصلي للكلمة هو «مطفي». ومع ذلك فإن المعنى البوذي للنيرفانا له أيضًا تفسيرات أخرى.

قال إل إس كوزينز أنه في الاستخدام الشائع، كان نيرفانا هو «هدف الانضباط البوذي ،الإزالة النهائية للعناصر العقلية المزعجة التي تعيق

الحالة الذهنية المسالمة والواضحة، جنبًا إلى جنب مع حالة الاستيقاظ من النوم العقلي الذي تحفزه».

وإجمالا نقول:

نيرفا هو مصطلح موجود في نصوص جميع الديانات الهندية الرئيسية ـ الهندوسية، الجاينية البوذية، والسيخية. وهو يشير إلى راحة البال العميقة التي يتم اكتسابها مع موكشا، والتحرر من سامسارا، أو التحرر من حالة المعاناة، بعد ممارسة روحية أو سادانا.

تطور التحرر من سامسارا كهدف نهائي وقيمة سوتيريولوجية في الثقافة الهندية، وسميت بمصطلحات مختلفة مثل نيرفانا، موكشا، موكتي، كايفاليا. هذا المخطط الأساسي يكمن وراء الهندوسية والجاينية والبوذية، حيث «الهدف النهائي هو حالة موكسا الخالدة، أو، كما يبدو أن البوذيين أطلقوا عليها أولاً، النيرفانا».

بالرغم من أن المصطلح يظهر في آداب عدد من التقاليد الهندية القديمة، إلا أن هذا المفهوم مرتبط بشكل شائع بالبوذية.

يعتقد بعض الكتاب أن هذا المفهوم قد تم تبنيه من قبل الديانات الهندية الأخرى بعد أن أصبح راسخًا في البوذية، ولكن مع معانٍ وأوصاف مختلفة، على سبيل المثال استخدام (موكشا) في النص الهندوسي بهاجافاد جيتا من ماهابهاراتا .

ترتبط فكرة موكشا بالثقافة الفيدية، حيث تنقل فكرة أمرتام، «الخلود»، وأيضًا فكرة عن «خالدة» أو «لم يولد بعد» أو «نقطة ثابتة لعالم التحول من الوقت». كان أيضًا هيكلها الخالد، وكل ما ينطوي عليه من «دواليب عجلة الزمن الثابتة والمتواصلة». بدأ الأمل في الحياة بعد الموت بمفاهيم الذهاب إلى عوالم الآباء أو الأجداد و / أو عالم الآلهة أو السماء.

تدمج النصوص الفيدية المبكرة مفهوم الحياة، تليها الحياة الآخرة في الجنة والجحيم على أساس الفضائل التراكمية (الجدارة) أو الرذائل (النقص) ومع ذلك، فإن الفيدية القديمة الراعون تحدى هذه الفكرة من الآخرة كما في التبسيط، لأن الناس لا يعيشون حياة الأخلاقية بالتساوي

أو غير أخلاقية. بين الحياة الفاضلة بشكل عام، يكون البعض أكثر فضيلةً؛ بينما للشر درجات أيضًا، وإما الجنة الدائمة أو الجحيم الدائم غير متناسب. قدم المفكرون الفيديون فكرة الحياة الآخرة في الجنة أو الجحيم بما يتناسب مع الجدارة، وعندما ينفد هذا، يعود المرء ويولد من جديد. تظهر فكرة الولادة الجديدة بعد «نفاد الجدارة» في النصوص البوذية أيضًا.تظهر هذه الفكرة في العديد من النصوص القديمة والعصور الوسطى، مثل سامسارا، أو الدورة اللانهائية للحياة، والموت، والولادة الجديدة، والاحمرار، مثل القسم 6:31 من مهابهاراتا والآية 9.21 من البهاغافاد غيتا. سامسارا، وتعني في اللغة السنسكريتية «عجلة الحياة التي لا تتوقف»، كما تدل على الحياة بعد الموت، والحياة بعد الموت، وما يؤثر على إعادة الميلاد بما يظهرها تبدو على أنها تعتمد على الكارما. تعريف:

النيرفانا حرفيا: «الإخماد أو الانطفاء»، وهي الطريقة التي يتم بها نفخ شعلة الشمعة، أما في البوذية هي انطفاء نيران الجشع والكراهية والوهم، وذلك للتخلص من تكرار المولد، وهذا هو أسمى ما يتطلع له الهنود، ويسمى في الهندوسية «الانطلاق»، و«النجاة» في الجينية، فالمدلول في الجميع هو الحصول على اللّذة الصادقة والسعادة الدائمة.

واتخذت النيرفانا معنيين متلاحقين، الأول يصل به الإنسان إلى النيرفانا وهو حي، والثاني يوصله للنيرفانا بالموت وبالتخلص من هذه الحياة ومن تكرار المولد.

- وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية، أو بعبارة أخرى فناء الأغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة، أو ذليلة مروِّعة، ويصبح القياس هو: كل من شاء منا أن ينقذ حياته عليه أن يخسرها.

- إنقاذ الإنسان نفسه من ربقة الكارما ومن تكرار المولد، بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

- تطهير النفس:

التخلص من آفات النفس وشهواتها هو الغاية العظمى للهنود، وهذا ما أيقنه غوتاما بوذا أيضا، ورأى أن التخلص من آلام النفس لايكون إلا بمجاهدتها فعمد إلى العزلة والتقشف، وألقى بجسمه بين الأشواك، واكتفى بمقدار ضئيل جدا من الطعام، فكان زملائه من النساك يرون أنه أكثرهم قسوة على نفسه، وأصبرهم على الآلام حتى وضعوه موضع الزعامة بينهم، وأمضى في طريق بحثه آملا أن تنكشف له أسرار الكون، غير أنه لم يلاحظ أي أثر يوصله إلى غايته، وأدرك أن ما يفعله ماهو إلا جهاد لجسمه لا يغني فتيلا، فأعلن تمرده على هذه الطريقة، تاركا خيبة أمل كبيرة بين أتباعه، لكن غوتاما لم يعدل عن تفكيره وفلسفته وإن تخلى عن تعذيب نفسه، وبينما هو تحت ظلال شجرة في غابة أورويلا، طاب له أن يبقى تحتها، حتى سمع صوتا يقول له بجلاء (نعم في الكون حق أيها الناسك، هنالك حق لا ريب فيه، جاهد نفسك اليوم حتى تناله)، وهنا تمت له الإشراقة التي كان يترقبها، أو «النيرفانا» كما يسميها البوذيين، وهي السر أو الحل لكل هذه الآلام، فكانت رحلة تطهير النفس بداية مع سدهاتا الأمير الذي صار غوتاما الراهب إلى أن وصل إلى النيرفانا وصار «بوذا» والذي يعني «العارف أو المستنير»، أما الشجرة التي حلت علية الاستنارة تحتها فسميت «شجرة العلم أو الشجرة المقدسة»، واحتلت عند البوذيين مكانة سامية.

غموض النيرفانا:

تلقى بوذا الاستنارة ووصل إلى النيرفانا، لكنه لم يفصح عن ماهيتها رغم وجود عدد كبير من تلاميذه والتابعين له، فحدث أن سأله تلاميذه مرة عن مريد لهم مات حديثا: هل نجا من تكرار المولد؟ فأجاب بالإيجاب، ولكن أحد البراهمة سمع ذلك فاعترض على هذا الغموض، فعاد بوذا ليعلم تلاميذه ألا يعنوا بالنظريات والعقائد وألا يتكلموا عما بعد الموت، وأن يوجهوا عنايتهم للعمل، ووصف هذه الأسئلة أنها عارية من كل نفع، وبهذا بقيت النيرفانا محيطة بالغموض، ويقول أحد الباحثين«رادها كرشنن» إن بوذا رفض أن يشرح النيرفانا، وعلى هذا لا يجدي نفعا أن نحاول فهمها، بل ربما كانت اللغات البشرية لاتستطيع

شرح النيرفانا، وهذا لأن النيرفانا تجربة روحية يصل إليها الإنسان عند بلوغه أسمى مراتب الصفاء الروحاني.

تعني كلمة نيرفانا (نيبانا) حرفيًا «النفخ» أو «التبريد».وهو المصطلح الأكثر استخدامًا والأقدم لوصف الهدف الخلاصي في البوذية: التحرر من دورة الولادة الجديدة (ساسارا).

نيرفانا هي جزء من الحقيقة الثالثة حول «وقف الدوقة» في عقيدة الحقائق الأربع النبيلة في البوذية. هذا هو هدف الطريق الثماني النبيل.[1]

يعتقد التقليد البوذي المدرسي أن بوذا قد أدرك نوعين من النيرفانا، أحدهما عند التنوير، والآخر عند وفاته. الأول يسمى سوباتشيسا-نيرفانا (نيرفانا مع الباقي)، والثاني بارينيرفانا أو أنوبادسشا-نيرفانا (نيرفانا بدون باقي، أو نيرفانا الأخيرة). [69]

في التقليد البوذي، توصف النيرفانا بأنها إطفاء الحرائق التي تسبب ولادة جديدة وما يرتبط بها من معاناة.

تحدد النصوص البوذية هذه «الحرائق الثلاثة»أو «السموم الثلاثة» على أنها راجا (جشع، شهوانية)، دفشا (نفور، كراهية) وأفيديا أو موها (جهل، وهم).

تُوصف حالة النيرفانا أيضًا في البوذية بأنها توقف كل الآلام، ووقف جميع الأفعال، ووقف الولادات الجديدة والمعاناة الناتجة عن الآلام والأفعال.

يوصف التحرير بأنه مطابق لـ أناتا (أنتمان، غير ذاتي، عدم وجود أي ذات). في البوذية، يتحقق التحرر عندما يُفهم أن كل الأشياء والكائنات بلا ذات. توصف نيرفانا أيضًا بأنها مطابقة لتحقيق سوناتا (الفراغ)، حيث لا يوجد جوهر أو طبيعة أساسية في أي شيء، وكل شيء فارغ.

مع مرور الوقت، مع تطور العقيدة البوذية، تم تقديم تفسيرات أخرى، مثل كونها حالة غير مشروطة، حريق يخرج بسبب نقص الوقود، والتخلي عن نسج (فانا) معًا للحياة بعد الحياة، والقضاء على الرغبة.

ومع ذلك، فقد أكدت النصوص البوذية منذ العصور القديمة أن النيرفانا هي أكثر من مجرد «تدمير الرغبة»، إنها «موضوع المعرفة» للمسار البوذي.

السيخية:

مفهوم التحرر على أنه «انقراض المعاناة»، إلى جانب فكرة السانسارا على أنها «دورة ولادة جديدة» هي أيضًا جزء من السيخية.

تظهر نيرفانا في نصوص السيخ على أنها مصطلح نيربان . ومع ذلك، فإن المصطلح الأكثر شيوعًا هو موكتي أو موكش، وهو مفهوم الخلاص حيث يتم التأكيد على التفاني المحب لله من أجل التحرر من دورة ولادة جديدة لا نهاية لها.[1]

في الديانات الأخرى:

المانوية:

مصطلح نيرفانا (يُشار إليه أيضًا باسم بارينيرفانا) في العمل المانوي في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر «الأغنية العظيمة لماني» و «قصة موت ماني»، في إشارة إلى عالم النور.

- اليوجا:

((بالهندية:□□□)) هي مجموعة من الطقوس الروحية القديمة أصلها الهند، كمصطلح عام في الهندوسية، «جافين فلود» يعرف اليوجا بأنها تشير إلى «طريقة فنية أو ضوابط محددة من التصوف والزهد والتأمل، مما يرمي إلى خبرة روحية وفهم عميق جدا أو بصيرة في الخبرات».خارج الهند، أصبحت اليوجا مرتبطة بالممارسة في وضعية من التمارين «هاثا يوجا»، كما أنها أثرت بشكل كامل في عائلات تدين بالبراهمانية وممارسات أخرى روحية حول العالم.

كما هي الحال في معظم النظم الفكرية الآسيوية الشرقية، لا يشترط بممارس اليوجا أن يتبع ديانة محددة أو أن يتخلى عن عقيدة ما.في الأدبيات البوذية، يستخدم مصطلح «التأمل» بدلا من مصطلح «يوجا»، إلا أن الغرب والعرب تعودوا على مصطلح «يوجا» بحيث أصبح من الصعب إدخال مصطلح آخر بنفس المعنى.

نصوص الهندوسية تناقش عديد من جوانب اليوجا بما فيها الأوبانيشاد والبهجافاد جيتا □□□□ □□□□□ □□□□□ (أغنية الإله)، وجوانب أخرى عدة.

الفروع الرئيسية من اليوجا تتضمن: هاثا يوجا، وكارما يوجا، وجانا يوجا، وراجا يوجا، راجا يوجا تعرف ببساطة في سياق الفلسفة الهندوسية باليوجا، هي واحدة من ستة مدارس أرثوذكسية حيث أنها أسست بواسطة يوجا ساتراس من باتانجالي.

لها ناحيتان:

1.ناحية فكرية:

تتمثل بالإيمان بأن التحرر الروحي يحصل حين تتحرر النفس من ارتباطها بالمادة الذي نتج عن الوهم. والناحية الفكرية مرنة جدا وتستدعي المناقشة والتحليل والنقد والتفكير والتطوير بكل حرية وبدون قيود. أي أنها ليست مجموعة عقائد جامدة ولا تشترط الإيمان المطلق، بل تحذر منه.

2.ناحية عملية:

متمثلة بالتمارين البدنية وتمارين التحكم بالتنفس وممارسات أخرى مثل الفنون الجميلة والفنون القتالية (ولها تطبيقات في المجالات الحديثة مثل الأعمال والصناعة والتجارة والتكنولوجيا). والجانب العملي يتدرج خطوة خطوة حسب قابلية الفرد في محاولة الوصول به إلى مرحلة الكمال في مجاله، وهنا يخير التلميذ بين أن يطيع معلمه إلى أقصى حد، أو أن يترك الممارسة أو أن يجد له معلماً آخر. ولا ينصح بتعلم اليوغا العملية إلا من خلال معلم متمرس، إن وجد،

وإذا لم يوجد معلم يمكن للمرء أن يحاول وحده أو من خلال القراءة أو متابعة الأفلام أو الصور التعليمية. ويتحدد مضمون اليوجا في ثلاثة محاور: الطاقة الجسدية، الطاقة النفسية، الطاقة العقلية. فعند ممارسة التمارين فهى تعتمد على العمود الفقري وباقي عضلات الجسم، ومن المعروف أن خلايا المناعة تتوالد في نخاع العظام ثم يحملها الدم إلى غدة تحت عظام الصدر، وفي هذه الغدة يتم تحويل وتقوية الخلايا المناعية، وهي خط الدفاع الأول في الجسم. وهذا الجهاز مبرمج طبيعيًا لتعرف على كل الفيروسات والميكروبات والجراثيم ويدمرها. ويمكننا بالتمارين البدنية والعقلية تنشيط هذا الجهاز ليقاوم معظم الأمراض مثل الروماتيزم والسكري والسرطان.[1]

هي مجموعة من الممارسات أو التخصصات الجسدية والعقلية والروحية التي نشأت في الهند القديمة. اليوغا هي واحدة من ست مدارس أرثوذكسية من الفلسفة الهندوسية. هناك مجموعة واسعة من مدارس اليوغا وممارساتها وأهدافها في الهندوسية والبوذية والجاينية.

وقد تم التكهن بأصول اليوغا لتعود إلى التقاليد الهندية قبل الفيدية. تم ذكره في ريجفيدا، ولكن على الأرجح تطورت في جميع أنحاء القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، في حركات الهند الزنجية والحرارية القديمة. التسلسل الزمني لأقدم النصوص التي تصف ممارسات اليوغا غير واضح، ينسب إلى الأوبنشاد. اليوجا سوترا من باتانجاليدات من النصف الأول من الألفية الأولى م، ولكن اكتسبت شهرة فقط في الغرب في القرن العشرين. ظهرت نصوص هاثا يوغا في القرن الحادي عشر مع أصول التانترا.

قدم يوجا المعلمون من الهند فيما بعد يوجا إلى الغرب، بعد نجاح سوامي فيفيكاناندا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. في الثمانينيات، أصبحت اليوغا شائعة كنظام من التمارين الرياضية للعالم الغربي. لكن اليوغا في التقاليد الهندية أكثر من ممارسة الرياضة البدنية؛ لديها جوهر تأملي وروحي. واحدة من المدارس الأرثوذكسية الرئيسية الست في الهندوسية تدعى أيضا يوجا، التي لديها نظرية

---

[1] **يسري حسن، يوجا للجميع**

المعرفة والميتافيزيقا الخاصة بها، وترتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة سامخيا الهندوسية.

حاولت العديد من الدراسات تحديد فعالية اليوغا كتدخل تكميلي للسرطان، والفصام، والربو، وأمراض القلب. كانت نتائج هذه الدراسات مختلطة وغير حاسمة. في 1 ديسمبر 2016 ، تم إدراج اليوغا في قائمة اليونسكو باعتبارها تراثًا ثقافيًا غير ملموس.

- أطراف اليوجا الثمانية:

قال الحكيم باتانجالي الفيلسوف ومؤسس رياضة اليوجا إن هناك ثمانية أطراف للراجا يوجا التي تشكل سلسلة من الخطوات لتنقية الجسم والعقل في رحلته تجاه الاستنارة. وهذه الخطوات هي كما يلي:

الياما: سلسلة مكونة من خمس قواعد أخلاقية تحث على الصدق وعدم العنف وعدم السرقة وعدم الأنانية والاعتدال في كل الأمور. ويقال أنها تشبه في محتواها الوصايا العشر عند المسيحيين.

النياما: وهي مجموعة من خمس خصال يجب السعي إليه واكتسابها وهي النقاء والقناعة والاعتراف بالوجود الإلهي ودراسة النصوص الدينية.

- الأسانات:

هذه هي الأوضاع والحركات التي يقوم بها الجسم، والمصممة لمد وتقوية الجسم والحفاظ على أقصى قدرة ومرونة له.

- البرانایاما:

تلك هي الخطوة التالية على طريق التطور وهي دراسة واستخدام التنفس لمساعدة العقل والجسم.

- البراتياهارا:

هي بداية الدراسة لاكتساب السيطرة على العقل وليصبح المرء مدركا لحساسية العقل الفائقة لجميع ما حوله.

- الدارانا: هي الخطوة الأولى نحو تركيز العقل والبدء في توجيهه نحو مناطق معينة بحسب الإرادة.

- الديانا:

تلك مرحلة تالية من مراحل السيطرة على العقل مع بذل الجهد لتوسيع الوعي وزيادة حساسية العقل.

- الصامادي:

تلك هي الذروة النهائية للسيطرة على العقل والجسم والروح أي الحالة التي يكون الإنسان فيها متوحدا مع قوة عليا خارج ذاته أو بعبارة أخرى حالة النعيم الفائق ويتجسد هذا أثناء الجلوس التأملي ولكن الطريقة المستخدمة في الغرب والدول العربية هي عن طريق استخدام الطرف الثالث «الأسانا» والطرف الرابع «البرانايايما».

أصل الكلمة:

المصطلح السنسكريتي (اللغة الهندية القديمة) يوجا يحمل عدة معاني:

- اصل كلمة اليج مشتقة من جذورها السنسكريتية أي «وصل، ربط».[1]

- مصطلح عام يتضمن «الانضمام» أو «التوحد» ومصطلحات مشابهة كالوحدة والترابط.

- مفهوم تعريفي اخر هو «المزاج، السلوك، الوسيلة».

يوجا هي كلمة سنسكريتية □□□ معناها الحرفي «التوحيد»، وهي مشتقة من نفس جذر الرقم واحد باللغة الكردية «يه ك». يوجا هو اسم عام يطلق على أي نظام عقلي - بدني متكامل يعزز التجربة الروحية ويؤدي إلى اتحاد روح الفرد بالروح الكونية.

- اليوجا في التاريخ:

عجل البحر باشوباتي:

[1] - لاروس :موسوعة القرن(2006). تونس: الدار المتوسطة للنشر

عجل البحر من الوادي ال هندوسي،تم اكتشاف عجل بحري أثناء التنقيب الأثري في الموقع الأثري موهينجو-دارو، بالوادي الهندي، لفت الانتباه كاحتمال أنها تمثل شكل اليوجي أو البروتو شيفا، عجل البحر الباشوباتي «إله الحيوانات باللغة السنكريتية» هذا، يمثل وضعية جلوس ومحاط بالحيوانات. بعض الباحثين وصفوا الشكل بأنه وضعية تقاطع الأرجل التقليدية في اليوجا ويده تستلقي علي ركبتيه، مكتشف عجل البحر، السيد «جون مارشال» وآخرون أدعوا أن هذا الشكل هو النموذج الأصلي ل شيفا «الإله الأعلى في الهندوسية»، ووصفوا الشكل بانه: لديه ثلاثة وجوه، وجالس في «وضعية يوجا» حيث الركبتان خارجتين والأقدام ملتحمة.

هذا الأدعاء لم يلق قبولاً لدي بعض الهيئات العلمية والكليات الحديثة، «جافين فلود» شخص هذا المنظر بأنه «تخميني ويحتاج للتأمل»، حيث يقول أنه ليس من الواضح من الشكل أن لدى عجل البحر ثلاثة وجوه، أو جالس في وضعية يوجا، أو حتى أن الشكل يمثل إنساناً، ومع ذلك محتمل أن هناك عديد من الإيقونات لشيفا بهذا الشكل، كأشكال لنصف القمر تشبه قرون الثور.

- المصادر الأدبية:

المصادر الرئيسية النصية لاستنباط مفهوم كلمة يوجا هي الأوبانيشاد □□□□□□□ الوسطية (400 ق.م)، البراهمانية بما يتضمن البهجافادا جيتا □□□□ □□□□□ (أغنية الإله) (200 ق.م) ويوجا ساتراس من بتنجالي (200 ق.م:300 ق.م- اليوجا والبوذية:

اليوجا تعتبر ركيزة في بوذية التبت، في تقاليد النايجما، نجح الممارسون لها في زيادة الدرجات التأملية العميقة لليوجا، بدأُ من يوجا الماها، ومروراً بيوجا الأنو، ومع الأخذ بالأعتبار في الممارسة العليا يوجا الأتي، في نفس التقاليد يوجا الأوتارا مساوية في الرتبة لها. ممارسات يوجا التانترا هي الأخرى بما يتضمن نظام من 108 وضعية جسدية تمارس مع إيقاع التنفس والقلب، الوقت في التمرينات الحركية لليوجا يعرف ب ترول كور أو وحدة القمر والشمس (قناة) طاقات

البراجنا، وضعية الجيم لدى ممارسي اليوجا القدماء في التبت مرسومة على حوائط معبد الدالي لاما الصيفي للوكانج.

- أهداف اليوجا:

تهدف اليوجا إلى إدراك النفس وإدراك الله وهو شيء قابل للتبادل، مع الإحساس الباطني بأن الطبيعة الحقيقية نفسها (الحقيقة، الوعي والنعمة) تنكشف خلال ممارسة اليوجا، ولديها نفس طبيعة الكون (وحدة الوجود)، حيث ليس شرطاً ان تكون هناك ذات إلهية ولكن انتفى الكل في الواحد والواحد في الكل، وهذا يعتمد على فلسفة ممارس اليوجا هو من يحدد بباطنه وجود أو عدم وجود ذات إلهية، في الغرب والبلاد الإسلامية والعربية، هناك تأكيد دائم علي التفرد حيث لا يوجد وحدة للكون، طقوس اليوجا يمكن أن تكون امتداداً لمصطلح البحث عن الذات، ودمج العناصر المختلفة للكائن الحي.

داخل المدارس المعبدية (بأفاديات فيدانتا) والشيفية هذا الكمال يأخذ شكل: (موكشا □□□□□) حيث التحرر من المعاناة الدنيوية ودورة الحياة والموت، حيث انقطاع التفكير والدخول في حالة من نعمة التوحيد بالروح العليا (بالبراهما □□□□□□)، بالنسبة لمدارس الباخي الدواليستيكية في فيشنافيست، الباخي □□□□ (التقوى) هي نفسها الهدف المطلق والنهائي لمداخل اليوجا. حيث يبلغ الكمال أوجه وذروته في أتصال وخلود تام مع (الفيشنو □□□□□□) أو أحد الأفتارات المتصلة به مثل (كريشنا) أو (راما).

- الاسترخاء الذهني البدني

- تدريب التحفيز الذاتي

حول البوذية والنرفانا:

- الطريق إلى النيرفانا: رحلة البوذية من الإصلاح الديني للفلسفة

تطوّرت البوذية عن التقاليد الدينية–الفلسفية الهندوسية السابقة عليها. كان الشخص التاريخي المعروف باسم «سيدارتا غوتاما» عضوًا في «حركة إصلاح ديني، عُرفت بـ«الشيرامنا (Śramaṇa)، وقد تولّد عنها فيما بعد عدد من الاعتقادات، أبرزها: الجاينية، والبوذية.

خاضت الشيرامنا منذ القرن السادس قبل الميلاد جدالًا لتطوير هذه التقاليد، ضد سلطة طبقة رجال الدين (طبقة البراهمة)، والالتزام الأصولي بنصوص الفيدا (مجموعة الكتب الهندوسية المقدسة)، حيث قسمت المجتمع تقسيمًا طبقيًا جاعلة البراهمة على قمة هرم يأتي بالداليت (المنبوذين) في أسفله.

تميزت الفيدا أيضًا بتغليب المظاهر السطحية: الطقوسية والشعائرية، على حساب تقديم نهج ملائم لعيش حياة جيدة، أو تجاوز المعاناة الشخصية[1].

- بوذا مُصلِحًا دينيًا:

ركّز نسّاك الشيرامنا على عقيدة الكارما الواردة بأحد النصوص الفيدية المتأخرة، الأكثر انفتاحًا، والمعروفة باسم «أوبانيشاد». وقد عنَت الكارما آثار الأفعال (الذهنية والبدنية) التي تأتيها الكائنات الواعية، فتتسبب بمعاناتها في الحياة الحالية، وتفرض عليها ولادة جديدة بعد الموت في جسد جديد (سواء لإنسان أو حيوان)، تتوقف طبيعته (أي الجسد) على نوعية الأعمال التي سلكها المرء في حياته السابقة، وهكذا، تتكرر هذه الدورة، المعروفة بـ«سامسارا»، مرارًا إلى أن يتمكن

[1] أمين حمزاوي :

المرء من التحرر منها، بالانتقال إلى عالم خارج المادة، ما وارء الميلاد والموت.

بينما اختار الناسك المدعو(ماهافيرا) رائد الجاينية، والمُعاصر لغوتاما، الزهد الجسدي التام طريقًا للتحرر من تلك المعاناة، والوصول إلى ما يدعوه بـ«الانتصار». فقد اختار غوتاما، لأجل الوصول للتحرر أو الـ«نيرفانا» طريقًا آخر، سماه «الطريق الوسط» بين الزهد والإفراط في اللذات الحسية. في حين اتفقا على إلحاد جذري، أو لا-أدرية فلسفية في أفضل الأحوال، مع سعي لتحقيق تحرر ذاتي، مستقل عن أي مساعدة من كائن أعلى مُفارق.

وقد ساهم في تطوير هذه الرؤية، مرونة التقليد الهندوسي فيما يتعلق بمسألة الألوهية، حيث لم تُمثّل الآلهة أكثر من تجليات ترمز ، إلى درجة أنه كان " للمبدأ"الكوني، وهو البراهمن: القاع الكلي للوجود على تلك الآلهة، وهي تعاني أيضًا داخل السامسارا الخاصة بها، أن تتنظر ميلادها في صورة إنسان، حتى تتمكن من التحرر منها نهائيًا

وفي التوحيد الإبراهيمي:

قد يبدو ذلك غريبًا خاصة الدين اليهودي والإسلامي، حيث يفصل بشدة بين المجالين الإلهي والإنساني، إلا أن الهندوسية، وما تلاها من جاينية وبوذية، انطلقت من وحدة وجودية، يكون الفصل فيها، ليس بين الآلهة والبشر، وإنما بين عالم الظواهر (المايا)، وهو عبارة عن مجموع الأشكال والتجسدات (المؤقتة ومصيرها الزوال دومًا) التي يتخذها البراهمن (المُطلق الكوني)، ومن ضمنها الآلهة ذاتها، فالآلهة (إذا وُجِدت)، هي في المحصلة، مُجرد صور أخرى للمايا، مثلما هو أي موجود أو ظاهرة كونية أخرى، يتخفّى في باطنها البراهمن: المبدأ الثابت، ومصدر كل التناقضات، والذي انبنت الهندوسية على غاية اتحاد النفس الإنسانية به، وذلك عبر التحرر من قيود الحواس، وما يتبعها من الجهل بوحدة المتناقضات الصادرة عن، والمرتدة إلى نسيج كلي، هو البراهمن، حيث لا وجود لشكل، أو صورة، أو أي صفة متصلة .

- بوذا فيلسوفًا براجماتيًا:

أسست البوذية أيضًا طرحها، على تأويل متطور للمايا، ربط الأخيرة بالمعاناة التي يختبرها البشر في حياتهم اليومية، حيث تنتج الحالات الذهنية السيئة (كالتعلق والغضب والغيرة..إلخ)، من الاعتقاد بثبات الظواهر: أي حالات الأشخاص والأشياء، وليس أنها في حالة تغير وتحوّل مستمر. وأيضًا إدراكها بمعزل عن حصيلة الظروف التي ساهمت في تكوينها، الأمر الذي يؤدي إلى الخلط بين ما تبديه حالات الأشخاص والأشياء، وبين جوهرها أو حقيقتها. ومن ثم، يتسبب هذا الإدراك في إسقاط خواص وصفات مغلوطة على البشر والمُمتلكات، نتيجة إدراكنا السطحي والعابر لها. ما يسهم بدوره في خلق مواقف ذهنية ومشاعر مغلوطة وسلبية تجاههم، أخطرها: التعلق بشيء أو بشخص فتنتج معاناتنا عند فقدانه، والغضب من شخص أخطأنا في فهم موقفه نتيجة إدراك الأخير بمعزل عن الشروط المُكونة له.

غافلين عن حقيقة كون تلك المشاعر (التعلق والغضب وغيرها) تترك آثارها السلبية على تياراتنا الذهنية، فتسبب حالات الضيق والقلق والإحباط، وغيرها من صور المعاناة المختلفة. بكلمات أخرى، تصدر المعاناة عن الجهل بالحقائق التالية وهي: وجود معاناة، عدم الثبات، .(الـ«لا– ذات» (أي عدم ثبات الهوية الشخصية للأفراد

فإنكار المعاناة أو تجاهلها، يمنعنا من كل فرصة لتجاوزها. أما إدراك عدم الثبات، فيعني إدراك أن وجود/حالة الأشخاص والأشياء، هي مؤقتة، فالشباب يتحول إلى شيخوخة، والصحة إلى مرض، والحب إلى اعتياد، واللذة إلى ملل..إلخ، لذا يجرنا الإصرار على إدراك الشخصيات والأشياء في صورة ثابتة، والتعلق بحالتها المؤقتة هذه أو تلك، على اختبار المعاناة عند تبدّل هذه الحالة، هذا التبدّل محتوم الحدوث، لأن جوهر عالم الظواهر يظل هو التغير والتبدّل الدائمين: التقلب بين الحياة والموت، والقوة والضعف.. إلخ.

هكذا، انشغل بوذا باكتشاف/صياغة مسار عملي، يُمكنّه من تجفيف منابع الجهل تلك، وما ينشأ عنها من حالات ذهنية (الغضب، والغرور، والأنانية،والانغلاق العقلي) والتي تُضخّم مشاعر الألم والمعاناة.

- يمكن تلخيص هذا المسار في ثلاثة مبادئ أساسية:

- الرغبة في التحرر:

1-إرادة التخلص من الجهل بالحقائق الثلاث، ومن المشاعر

السلبية التي تنظم استجاباتنا للمواقف وتشكل خبراتنا غير المرضية، التي تتسبب بدورها في المعاناة التي يعرفها بوذا بـ«الخبرة غير المرضية».

2-النية الغيرية: إدراك أن الآخرين يعانون تمامًا مثلنا، ولديهم الرغبة في التخلص من معاناتهم حتى إذا لم يعرفوا الطريقة المُثلى لذلك. بهذه الطريقة يمكننا تنمية مشاعر الحب والتعاطف (غير المشروط بالثواب والعقاب) تجاههم، ومساعدتهم في تخطي المعاناة، وبذلك يمكننا إقامة علاقات طيبة ولطيفة ونافعة للآخرين، ولنا في الوقت ذاته، لأنها تخلو من المشاعر السلبية المُزعجة التي تثير السوء والكراهية بيننا.

- إدراك عدم الثبات أو الخلوّ: إزالة إسقاطاتنا السطحية عن الأشياء والأشخاص، وإدراكهم بصورة تراعي الظروف والشروط التي نشأوا وتكونوا خلالها، سواء كانت إسقاطاتنا تلك تحقيرية أو تعظيمية.

يمكن تحقيق ذلك عبر تدريبات التأمل، حيث إيقاف طوفان الأفكار داخل العقل، والتركيز على الحاضر، بهدف هو: توقف الوعي بالماضي والمستقبل، وإدراك تحول وتغير جميع الظواهر، والتدرب على قبول ذلك -بصفته محتومًا- بمشاعر مُحايدة ومطمئنة تجنبنا القلق والمعاناة.

توصّل غوتاما للنتائج السابقة، أثناء تأمله أسفل شجرة بودغايا، حيث حقق الاستنارة وأصبح «بوذا» أي «المستنير». وذلك عبر استغراق باطني فردي، وهنا اختلاف جوهري آخر عن الإبستيم الإبراهيمي، حيث يكتسب النبي في الأخير، الحقائق الدينية/الوجودية، عبر وحي الإله المُفارق. بعكس الكشف الأساسي للبوذية الذي لا يتأتى عبر واقعة إلهية /إعجازية، وإنما واقعة إنسانية صرفة. جعلت من الميتافيزيقا والأخلاق البوذية، منفصلة كليًا عن أي كيان مُفارق، وأكثر ارتباطًا بالعالم الأرضي، والمعاناة اليومية، التي نشأت البوذية بداية من محاولة التصدي لها عبر آليات نفسية وذهنية واقعية.

هكذا، لم تخلق تعاليم بوذا في مهدها، دوجما عقائدية خاصة بالأسئلة الميتافيزيقية الكبرى: مثل طبيعة الألوهية، والبعث، ووضع الإنسان بالنسبة لغيره من الكائنات..إلخ. بل كان بوذا حريصًا على عدم الانشغال بهذا النوع من الأسئلة حول الطبيعة الجوهرية للأشياء، أو مصائرها النهائية، وإنما بتلك المرتبطة بالتحرر، أي بمسائل أكثر عملية ترد في نصوص موعظة وبراجماتية (بالمعنى الفلسفي)، تدل عليها «نيكايا» البوذية، وهي عن رجل يُصاب بسهم سام، ويستدعي أقاربه الطبيب، لكن يرفض الرجل إزالة السهم وتلقي العلاج حتى يعرف هوية من أصابه «محارب نبيل، أم براهمان، أم تاجر؟» ما إذا كان «طويلاً أو متوسط الطول أو قصيرًا»، وكذلك صفات السهم، والقوس الذي أطلقه. لكن بتلك الطريقة، تضيف الموعظة: «سيموت الرجل وستظل تلك الأشياء مجهولة له».
نجح بوذا في إقامة بناء ديني-فلسفي وروحاني: إلحادي، وعلى عكس الخطأ الشائع، فإن بوذا لم يكن إلهًا بأي حال، وإنما مثالًا يحتذى بالنسبة لمن تبعوه في تقصّي الاستنارة، أما مظاهر التعبد لشخص بوذا، فكانت نتاج مؤثرات تاريخية وفكرية بلا حصر أحاطت بالبوذية، وتنوعات طائفية نشأت عنها، أكثر من كونها أفكار بوذا نفسه.

لقد تأثرت السمة الفردية لتجربة التحرر -والروحانية البوذية عمومًا- المستقلة عن معونة الكائنات المُفارقة، بالتفاعل مع العقائد المحيطة،

حيث كيّفت بعض طوائف البوذية -بغرض توطين نفسها في مناطق جديدة- تصوراتها مع العقائد القديمة الخاصة بمُعتنقيها الجُدد، والذين ضموا بوذا إلى قائمة آلهتهم، أو حيث قام الدعاة البوذيون في المقابل بإضفاء السمت الإلهي على شخصية بوذا، لتيسير استيعابه داخل المنظومات الإيمانية التأليهية السابقة للبوذيين الجدد.

هكذا، تبنت بعض مدارس البوذية عقائد من قبيل: الكائنات السماوية المُتحررة من السامسارا، القادرة على تحفيز طلاب الاستنارة. وكذلك والأريا ، الذين يتخذهم الناسك ملجأً، لتعلم الممارسة الرهبان من الصحيحة للتأمل، وتقنيات السيطرة على الذهن.

في المقابل تمسكت مدارس أخرى مُعاصرة أبرزها الزن اليابانية، بالأصل الاعتقادي السابق للانحرافات التأليهية. إذ أصرت على الفكرة القائلة بأن التحرر هو مسألة فردية، لا دخل لأي قوى مُفارقة أو إلهية -يظل وجودها من عدمه، غير مهم- في تحقيقه، وأنه لا يمكن اكتساب التحرر بالدعاء أو ما شابه ذلك، بل لا يمكن حتى إتمام تجربة التحرر عبر تعليمها بواسطة الكلام (اللغة)، حتى وإن ساهم الأخير في تبسيط بعض العقبات، فستظل إمكانية إدراك حقائق: الخلو وعدم الدوام إمكانية باطنية خاصة بالفرد، لا يُمكن التعبير عنها بالكلام، إذ إن تلك الأشكال من المعرفة تتجاوز حدود العقل والتعبير اللغوي.

تمسّك الفريق الثاني (الزن ومن وافقها)، بما سبق أن أكد عليه سيدارتا، أي: قدرة جميع الكائنات الواعية على تحقيق التحرر، أو التحوّل إلى «بوذا» آخر، وذلك لأن طبيعة بوذا: الصفات الداخلية للذهن والتي تؤهل المرء لبلوغ الاستنارة، كامنة بداخل جميع الكائنات الواعية. وبالفعل، لم يزل البوذيون يعتقدون بوجود «بوذات» كثيرين في الماضي، حتى قبل «سيدارتا »: البوذا التاريخي الذي نعرفه، تمامًا مثلما سيُوجَد بالمستقبل

غيره، فطبيعة بوذا، هي ملَكة إنسانية، كان سيدارتا إنسانًا رائدًا في تحقيقها[1].

ـ من الديانات الأسيوية:

ـ الشنتو:

شنتو أو شنتوية أو كامينوميشي (باليابانية: 神道 والتي تعني طريق الآلهة): ديانة ظهرت وتطورت في اليابان.[2] لم تعرف ديانة الشنتو ـ والتي تركت أثرا بالغا في التفكير الياباني- طريقها إلى الانتشار على غرار الديانات الأخرى. ليس لهذه الديانة تعاليم محددة، الشيء الذي جعلها تنفتح على العادات الدينية الأخرى بدون أن تؤثر هذه في خاصيتها وتأصلها الفريدين. الشنتو والتقاليد التي تلازمها ظلت دائما متواجدة في مظاهر الحياة اليومية اليابانية.

يصعب وصف الديانة الشنتوية لأنه وعكس كل الديانات الأخرى، لا يعرف لها مؤسس ولا معتقد تقوم عليه، لا يمكن أن نعرفها إلا عن طريق مجموعة من العادات والممارسات. عبر التاريخ نشأت وتطورت عدة فرق وطوائف تدعي كلها الانتماء إلى عقيدة الشنتو الأولية، ولكن أي من هذه الطوائف لم ينجح في أن يفرض نظرياته.

ـ التسمية:

تم اشتقاق اللفظ «شنتو» (ويكتب باليابانية: 神道) من اللفظة الصينية للكتابة السابقة، وبما أنه يتم قراءة أغلب الحروف الصينية بطريقتين (الطريقة الصينية الأصلية والطريقة اليابانية المحلية)، فإن الكتابة

[1] فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني،

[2] "معلومات عن شنتو على موقع gameo.org"

السابقة يمكن أن تقرأ أيضا -على الطريقة اليابانية-: «كامي نو ميشي» -ومعناها طريق الآلهة-، ظهر اللفظ لأول مرة في مخطوطة «أخبار بلاد اليابان» أو «نيهون شوكي» (日本書紀) ح 720 م. ويظهر أنه قد استُعمل منذ فترة أزوكا لتمييز العادات والطقوس التي عرفتها البلاد قبل إدخال البوذية.

العهود القديمة:

لازلنا إلى الآن نجهل الكثير على فترة الشنتو التي سبقت دخول البوذية إلى اليابان، رغم أن بعض الحفريات توصلت إلى العثور على بعض المستلزمات التي تدل بدون شك على وجود عادات وطقوس روحانية وسحرية تعود إلى فترة جومون.

هذه الطقوس القديمة يبدو أنها ترسخت أثناء فترة يايوئي مع دخول تقنية زراعة الأرز إلى اليابان. تطورت بعض الطقوس المصاحبة لزراعة الأرز مع التقويم الزراعي، تقوم على إحياء هذه الطقوس بعض النساء من العرافات (الشامانيات) واللاتي كن يقمن بالوساطة مع العالم الآخر كما يتنبأن بالحوادث المستقبلية. كانت العرافات تتمتعن بسلطة كبيرة، ثم تناقصت هذه مع بداية توحيد البلاد وهيمنة مملكة ياماتو.

في القرن الـ5 للميلاد، وأثناء فترة كوفون، صاحبت مرحلة تشكل وتنظيم السلطة الجديدة في البلاد، ظهور طقوس جديدة، وضعت لكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان طقوس معينة (الولادة، الرشاد، الوفاة). أهم هذه الطقوس تلك المتعلقة بالوفاة، كانت جنازة الأعيان تتم وفق طقوس معقدة وطويلة، ومن أهم الشواهد على هذه الطقوس الآكام الكبيرة من التراب التي اتخذت قبورا لهؤلاء الأعيان والتي لا زالت ماثلة ليومنا هذا.

النصوص الأولى:

لا يوجد مؤسس معروف لديانة الشنتو، كما لاتوجد كتابات مقدسة. تقوم أعراف هذه الديانة على مجموعة من الأساطير، الحوليات والأشعار: الـ«كوجيكي» (古事記) أو «وقائع الأحداث القديمة» ح 712 م والـ«نيهون شوكي» (日本書紀) أو «مدونات بلاد اليابان» ح 720 م، والتي تروي القصة الأسطورية لنشأة بلاد اليابان، كما تقوم بسرد نسب العائلة الإمبراطورية. بالإضافة إلى ذلك توجد العديد من الكتابات الأخرى على غرار «نوريتو» أو «الأحجار»، وبعض الأشعار الواردة في الـ«مان يوشو» (万葉集) أو «مجموعة العشرة آلاف ورقة» ح 760 م والتي قامت كلها بسرد العادات الدينية لليابان أثناء تلك الفترة.

هذه النصوص والكتابات وضعت بعد دخول البوذية البلاد. رغم محاولتها تقديم شهادات حية على عقيدة الشنتو الأصلية، إلا أنه لا يمكننا من خلالها العثور على كيفية تطور هذه المعتقدات. في الحقيقة جاءت هذه الكتابات وغيرها كردة فعل منظمة وموحدة مع دخول البوذية البلاد، كان هدفها إثبات صلاحية وتوافق معتقدات الشنتو في مقابل أو مع ما تدعو إليه البوذية. لم يكن البحث في تطور هذه العقيدة هدفها الأول.

- العقيدة:

على عكس الديانات التوحيدية الأخرى، لا يوجد في الشنتوية تعريف للمطلق، لا يمكن لأحد أن يدعي الصواب المطلق ولا الخطأ المطلق، الناس في طبيعتهم غير معصومين من الخطأ. تعتبر الشنتوية من هذه الناحية ديانة متفائلة، حيث تفترض أن الإنسان كائن طيب في الأساس، وأن الشر يقع نتيجة تدخل الأرواح الشريرة، وتنحصر أغلب العبادات الشنتوية في إبعاد هذه الأرواح الشريرة عن طريق تنقية النفس، الصلوات وتقديم القرابين للـ«كامي».

ليس لعقيدة التوحيد مكان في الشنتوية، فبسبب تعدد المظاهر التي يمكن أن تتجلى فيها القوى الإلهية، ربط اليابانيون بين كل ظاهرة وآلهة معينة، وأعداد الكامي لا يمكن حصرها، ويمكن لأي شخص أن يعين آلهته الخاصة. لا يوجد في الشنتوية حياة بعد الموت، يعتبر جسد الشخص الميت شيئا مدنسا، تنطلق روح الميت، بعد أن تتحرر من

جسدها المادي فتندمج مع قوى الطبيعة. يقوم أغلب اليابانيين عند تعرضهم لأمور متعلقة بالموت بتفويض أنفسهم إلى العقيدة البوذية.

- الكامي:

الكامي (神)، هي كل الأشياء والموجودات التي لا تنتمي إلى مجال التأثير المباشر للإنسان، كل ما هو غريب، عجيب، غامض ومريع. لا توجد للكامي أشكال محددة، كما أنها يمكن أن تتمثل في كل قوى الطبيعة (صخرة، شجرة أو حيوان).

- آلهة الشمس "أماتيراسو أومي-كامي":

لم يتم تعريف أغلب الـ«كا مي» ولا حتى تحديدها بشكل دقيق. يقوم كل تجمع بشري (عائلة، عشيرة أو قرية) بتحديد الـ«كامي» التي يرهبونها والتي يمكن أن ينتظروا منها أفضالا (مننا) من خلال حياتهم اليومية:

- كامي البحر، الأمواج والعاصفة للصيادين،

- كامي الجبل، الصخور، الثلج، الأشجار بالنسبة للحطابين،

- كامي حقول الأرز، المطر، النمو بالنسبة للفلاحين،

- كامي مفترق الطرق بالنسبة للمسافرين،

- كامي البيت، المطبخ، البئر، الحرائق بالنسبة للقرويين،

- كامي الأرض، الأنهار، الرخاء، العافية بالنسبة لجميع الناس.

على أن أشهر الـ«كامي» هي تلك المتعلقة بالعائلة الإمبراطورية، ومنها مثلا: آلهة الشمس «أماتيراسو أومي-كامي» (天照大神). تحكي الأساطير قصتهم، وتشهد بالأصول الإلهية لأباطرة اليابان. تم إنشاء أولى المزارات كـ«إيزي» و«إيزومو» لتقديس هؤلاء الـ«كامي».

لا توجد في اليابان طقوس لعبادة وتقديس الأسلاف، رغم أن بعضهم (الأسلاف) ممن توفى في ظروف خاصة، قد يتم تعريفه على أنه كامي، على أن الأسلاف ليسو كلهم كامي. الأباطرة القدماء مثلا، لم يكونوا محل تعظيم خاص: وجب انتظار فترة ميجي حتى يقام مزار خاص لأول الأباطرة الإنسيين «جينمو-تينو» (神武天皇)، المقام الثاني (مقام ميجي) تم إنشاؤه بعد رغبة شعبية وليس لاعتبارات دينية معينة.

- المزارات وطقوس الزواج حسب الأعراف الشنتوية (مزار مييجي - (طوكيو):

تنتظم مظاهر العبادة في الشنتو ضمن أفراد نفس المجموعة البشرية. يتم تبجيل وتعظيم الكامي الرئيس للطائفة «أوجي غامي» في مكان معين، ويكون على الأغلب خارج القرية أو التجمعات البشرية، يحدد المكان عن طريق أرواق خشبية (من رَوْقْ: الرواق المفتوح) أو الـ«توري» (鳥居)، ترمز هذه الأرواق إلى الخروج عن عالم الإنسان والدخول إلى عالم الكامي.

كانت هذه الأمكنة في البداية عبارة عن فسحة خالية مخصص للآلهة فقط، تم بعدها تحويلها تدريجيا إلى مزارات، توحي هندسة مباني هذه المزارات بأنبار الأرز (مخازن الغلال). يتم تبجيل الكامي الأخريات، في أمكنة متنوعة: تشكل الصخور والأشجار التي تحيط بالقرية حدودا رمزية لجغرافيا القرية، كما أن تقويم (الرزنامة) العادات والأعياد، الخاص بهذه الجماعة، ينظمان إيقاع الحياة اليومية.

تعتبر المزارات الشنتوية (وتسمهى بالمحلية جينجا) مكانا للعبادة ومقرا للكامي، أغلب الشعائر التي يتم تنظيمها هي ذات طابع احتفالي (ميتسومي)، وهدفها هو تعريف الكامي بالعالم الخارجي. يشرف كهنة الشنتو على الطقوس والشعائر، يعيش أغلبهم داخل المزارات. يستطيع أي رجل -أو حتى امرأة- أن يصبح كاهنا. بإمكان الكهنة التزاوج وإنجاب الأطفال. تقوم مجموعة من النساء في سن الشباب (ميكو) بمساعدة الكاهن في أداء الطقوس، وفي الأعمال الأخرى التي يقوم يشرف عليها،

يرتدين لباسا أبيضا (كيمونو)، يتوجب عليهن أن يكنن غير متزوجات وغالبا ما يختارهن الكاهن من بين بناته.

العبادة:

تتضمن العبادة في الشنتوية أربعة عناصر هي:

- التطهّر والاغتسال: ويقوم بها الكاهن عندما يلوح بفرع من شجرة السيكاكي أو ورقة منها إلى رأس المتطهر.

- تقديم القرابين: وتكون في الأغلب من الحبوب أو الشراب، ويتم اليوم تقديمها في شكل مبلغ من المال، وفي أسوء الحالات يمكن تقديم قرابين رمزية كأغصان شجرة السيكاكي مثلا.

- الصلاة: ويقوم فيها الزائر بتقديم أمانيه ومطالبه، وهذا مثال حي على هذه الأدعية:

"أولاً وقبل كلّ شيء، هناك في حقلك المقدَّس أيُّها الاله المهيمن ليت حبة الأرزّ الأخيرة التي سيحصدونها، ليت الحبة الأخيرة من الأرزّ التي ستحصد، بحبات العرق المتساقط من سواعدهم، وتشدّ مع الوحل العالقين بالفخذين، ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك، وتنفتح سنابل الأرزّ التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة، فتكون أولى الثمرات في الشراب وأعواد النبات".

- الوليمة الرمزية: وهي إشارة إلى تناول الطعام مع كامي، وتتبع هذه الطقوس عملية تناول الساكي المقدس (الجعة محلية وتصنع من خميرة حبوب الأرز)، وقد يقوم بعض الزوار بعدها بأداء رقصات مقدسة خاصة بالمزار.

الشنتو عقيدة بسيطة ولا تطالب أتباعها بطقوس خاصة ومعقدة، ويمكنها أن تتعايش مع المعتقدات الأخرى، ويتمسك اليابانيون بهذه الطقوس ويعتبرنها جزءا من كيانهم القومي.

الطقوس والأعياد:

كاميدانا: هي عبارة عن مزارات مصغرة تتواجد في البيوت اليابانية وتخصص لتبجيل الكامي الخاص العائلة

لا يمكن للبشر التعايش بسهولة مع الـ«كامي». لكل منها طبعها الخاص، بعضها يتمتع بروح الدعابة، وبعضها ذو روح عاصفة. يمكن لها أن تكون كريمة وسخية في بعض الأحيان، قاسية وشريرة عندما تداس حرماتها. تنحصر أولى مهام المجموعة (الطائفة) في تنظيم الإطارين المكاني والزماني بحيث تتداخل فيها مجالات البشر والآلهة (الكامي) بأقل طريقة ممكنة، وضع الحدود، الضوابط والمحرمات والسهر على احترامها، ومن جهة أخرى تنظيم الشعائر.

- توجد شعائر خاصة لحماية البشر من مظاهر غضب قوى الطبيعة (الزلازل، الجفاف، الفيضانات، الأوبئة، الحرائق). وأخرى تهدف إلى استعادة التناغم بين الجماعات البشرية والكامي عندما يهدد ظهور القوى الطبيعية الفجائية في حياة الإنسان (المولد، الممات) هذا التوازن، وشعائر أخرى احتفالية (ماتسوري)، والتي تقام بشكل دوري مع كل موسم زراعي جديد وقبل مرحلة الجني والحصاد عادة، يتم فيها تبجيل الآلهة حتى ترضى وتعم بركتها على الموسم بالتفاعل مع الكامي ترتبط الديانة الشنتوية بالطبيعة[1]، وهي تفترض أنّ الأصل في البشر الطبيعة الخيّرة؛ حيث تدعوهم إلى التفاعل والتواصل مع الـ"كامي"، والكامي تعبير عن القوى غير المرئية الكامنة خلف كل ما يحيط بنا من ظواهر وموجودات، من الشمس والرياح، وحتى الحجارة، والحيوانات، وهي بذلك تصنف ضمن الديانات والمعتقدات "الأرواحية."

رمز ديانة الشنتو، يُبنى من الخشب، ويعتبر بوابة توضع على الطرق

وفي مختلف الأماكن لمباركتها.

[1] **خالد بشير:كاتب أردني**

وليس لعقيدة التوحيد مكان في الشنتوية، فبسبب تعدد المظاهر التي يمكن أن تتجلى فيها القوى الإلهية، ربطت الشنتوية بين كل ظاهرة طبيعية وإله معين (كامي)، وبالتالي فإن أعداد الكامي لا يمكن حصرها؛ حيث يقوم كل شخص أو مجموعة بتحديد الكامي التي يتواصلون بها، فيَرهبونها، ويطلبون منها الأفضل.. فالصيادون، يختارون كامي البحر، والحطابون كامي الأشجار، والفلاحون كامي المطر.

تعود أصول وبدايات ديانة الشنتو إلى شعوب "الآينو" التي كانت أول من سكن واستقر في جزر اليابان

وبحسب المعتقدات الشنتوية فإنّه حتى البشر يتحولون إلى "كامي" بعد موتهم؛ إذ لا يوجد اعتقاد بالحياة بعد الموت في الشنتو، وانما يسود الاعتقاد بانطلاق روح الإنسان بعد وفاته، حيث تتحرر من جسدها المادي، وتندمج مع قوى الطبيعة.

- ومن أشهر الكامي: الكامي كازي، وتعني الرياح الإلهية؛ حيث يعتقد اليابانيون أنّها هي التي حطمت أسطول المغول مرتين عندما حاولوا غزو الجزر اليابانية (عام 1281م). وهو ما عزز ثقة اليابانيين بالكامي،

وعزز من قدسية "الكامي كازي" في الثقافة اليابانية، حتى أنّه قد سميت على اسمها فرقة الطيارين الانتحاريين من الجيش الإمبراطوري الياباني في الحرب العالمية الثانية.

مقاتلون من فرقة "الكامي كازي" الخاصة حيث تم تسميتهم على اسم إله الرياح

- ومن أشهر الكامي أيضاً: كامي الشمس، حيث يعتبر أهم كامي، ويسمى بـ"أماتيراسو"، وتعني الإله المقدس الذي لا تنتهك حرمته، وقاد ساد الاعتقاد منذ صعود إمبراطورية ميجي بأنّ العائلة الإمبراطورية ترجع إلى الأماتيراسو؛ حيث تحكي الأساطير قصة انحدار الأباطرة منه.

- تعايش الشنتوية والبوذية:

تعود أصول وبدايات ديانة الشنتو إلى شعوب "الآينو"، التي كانت أول من سكن واستقرّ في جزر اليابان؛ حيث سادت المعتقدات الأرواحية لدى الآينو، من الاعتقاد بأنّ كل الأشياء لها أرواح؛ حيث نشأت ديانة الشنتو من هذا الأساس.

- الآينو سكان اليابان الأصليون الذين انحصر وجودهم اليوم في جزيرة هوكايدو شمالي البلاد

وتعد الشنتو اليوم أكبر ديانة في اليابان؛ إذ يعتنقها قرابة 80% من السكان، ويوجد في عموم اليابان قرابة 81,000 معبد لديانة الشنتو، وقرابة 85,000 راهب، وينتمي اليابانيون للشنتوية كنوع من الطقوس والممارسات الاحتفالية أكثر من كونها التزاماً أو انتماء لمؤسسة وكيان ديني منظم.

- والشنتو هي الديانة الأصل في اليابان، حيث كانت موجودة قبل البوذية، التي لم تدخل الجزر اليابانية إلا مع القرن السادس للميلاد. ومنذ ذلك الحين، تعايشت الشنتو والبوذية مع بعضيهما، ولم تحدث أي صراعات تذكر بين أتباعهما. حيث يجمع معظم اليابانيين اليوم بين مظاهر الشنتو والبوذية في حياتهم اليومية، وفي حين ترتبط ديانة الشنتو بالاحتفالات والمواسم والمهرجانات، يلجأ اليابانيون إلى البوذية في أوقات الأزمات كالمرض أو الموت.

- الصلاة والعبادات:

تعايشت الشنتو والبوذية مع بعضيهما ولم تحدث أي صراعات تذكر بين أتباعهما.

- كلمة الكامي مشتقة من كلمة يابانية قديمة تعني "طريق الآلهة"، حيث تقوم العبادات على فكرة التواصل مع هذه الآلهة، وذلك من خلال تقديم القرابين في المعابد، ومن خلال الصلاة، والتي هي عبارة عن أدعية وأماني يطلبها الشخص من الكامي.

وليس للشنتوية خصائص الديانات السماوية، حيث لا يوجد فيها كتاب مقدس، أو نبي، ولا تحاول أن تقدم تفسيرات كبرى للتاريخ والعالم، ولا يوجد فيها مفاهيم الحق والباطل، والصواب والخطأ، وبالتالي لا محل لفكرة التبشير، والإرساليات، والفتوحات الدينية، حيث تنحصر فكرة الديانة فقط في دخول المرء في اتحاد مع الكامي، الذي هو عبارة عن طاقة روحية، وذلك من خلال طقوس العبادة وطقوس احتفالية، في المعابد والاحتفالات الموسمية.

وبحسب المعتقدات الشنتوية، فإنّ الناس في طبيعتهم غير معصومين من الخطأ، فهي تفترض أنّ الإنسان كائن طيب في الأصل، وأنّ الشرّ يقع نتيجة تدخل الأرواح الشريرة، حيث تنحصر أغلب العبادات الشنتوية في محاولة إبعاد هذه الأرواح الشريرة، عن طريق تنقية النفس والصلوات وتقديم القرابين للكامي.
وترافق الصلاة طقوس كقرع الأجراس، وذلك كنوع من تنبيه الكامي بحضور المصلي وتواصله، وتنشر معابد صغيرة في مختلف الأماكن، وحتى بين المكاتب، وفي المنازل .

- انهيار قدسية الإمبراطور:

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، ومع صعود إمبراطورية ميجي، اقترنت ديانة الشنتو بالإمبراطورية؛ حيث تم استخدامها لإسباغ الشرعية على الأسرة الإمبراطورية الحاكمة، وبذلك اكتسبت ديانة الشنتو بعداً جديداً؛ فارتبطت بالقومية اليابانية الحديثة، وهي الحالة التي امتدت قرابة القرن؛ حيث انتهت مع العام 1945، عقب إعلان الإمبراطور هيروهيتو هزيمة اليابان واستسلامها، وذلك بعد إلقاء الولايات المتحدة قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي.
وقد ساد الاعتقاد بقدسية الإمبراطور، واعتباره إلهاً (كامي) متحدراً من كامي الشمس؛ حيث تحكي الأساطير قصتهم وتربطهم بالأصول الإلهية.

الإمبراطور ميجي مؤسس إمبراطورية ميجي

وقد أدى إعلان الهزيمة إلى تحطيم الإيمان الياباني بالكامي؛ حيث ظهر الإمبراطور في صورة البشري المقهور، الذي كان يفترض أنّه متحدر من آلهة الشمس، وبالتالي تصاعدت الخيبة والشكوك بالعقيدة الشنتوية.

ومنذ ذلك الحين عزف اليابانيون عن الانتساب لها في إطار مؤسس ومنظم، ولكنها بقيت مستمرة وحاضرة في شؤون حياتهم وممارساتهم وثقافتهم اليومية[1].

[1] خالد بشير:كاتب أردني

وفي هذا الخلط والتنوع البشري ظهر ما يسمى بالوفيق بين الأديان للتعايش السلمي بين البشر.

- التوفيق بين الاديان :

التوفيق بين الاديان " Syncretism" هو محاولة للتوفيق بين المعتقدات الدينية المختلفة وأخذ مجموعة من المبادئ من مختلف الديانات والخلط بينها وبين مختلف المدارس الفكرية، ووفقًا للفلسفة الخالدة، فالتجارب الصوفية في جميع الأديان هي نفسها في الأساس. وهي تفترض بأن العديد من الأديان، أو جميع أديان العالم، نشأت من التعاليم الصوفية، بما في ذلك غوتاما بوذا ويسوع ولاوتزه وكريشنا. ترى هذه الفلسفة أيضًا أن معظم التقاليد الدينية تصف التجربة الروحانية الأساسية، على الأقل من الناحية الباطنية. ويعتبر ألدوس هكسلي من أكبر أنصار الفلسفة الخالدة في العصر الحديث.

أراء ووجهات نظر حول توافق الأديان:

-رأي السلفيين:

لا يعترف السلفيون بالتجربة الدينية، ولكن يرون أنها تعتبر بدعة تسمى التوفيق بين الأديان، وأنه قد ظهر هذا الاتجاه في بعض البلدان الإسلامية، وتأثر بعض المنتسبين إلى التصوف بجملة من الأديان، حيث

يرى السلفي الباكستاني إحسان إلهي ظهير تأثر الكثير من المتصوفة بأديان الهند حيث يقول:«كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضاً فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا بذلك حيث لم يسعهم إلا الاعتراف بهذه الحقيقة الظاهرة الجلية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها البتة».

ويقول السلفي عبد الرحمن دمشقية:

«وعلى هذا نرى أن التصوف... قد تأثر بالاتجاه الهندي عموماً والبرهمي خصوصاً... إذن فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء ـ وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد ـ هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم.. وهذا ليس بسرّ، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويتمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر»، والمقصود هنا بالفناء ما يطلق عليه نيرفانا.

ونفس الرأي يصرح به الأستاذ أنور الجندي الذي يقول:«وقد تأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية والمسيحية عليه، وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الأصيلة».

ـ رأي الصوفية:

بينما يرى الصوفية أن هذا غير صحيح، وليس اقتباساً من الديانات الأخرى، لأنه لا دليل عليه، وإنما هو تشابه التجربة الإنسانية الروحية في مختلف الديانات، نتيجة وحدة النفس البشرية، ولو اختلفت اللغات والثقافات. والتصوف هو نتيجة جهود عقلية ومجاهدات روحية تخصص فيها الصوفية، فنتج عنها فهم مختلف عن فهم الفقهاء السطحي. قال العز بن عبد السلام: قعد القوم من الصوفية على قواعد

الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم[1] ورجل عالم فقيه أصولي متكلم متبحر في معرفة عقائد الفرق والمذاهب مثل الإمام الغزالي، يرى أن التصوف هو أرقى ما توصل إليه العقل البشري من الرقي، فيقول: «إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»[2]. فهو يرى أن التصوف مبني على سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفهم روح منهاجه وطريقه.[3]

الأدوار الاجتماعية والسياسية:

قد يُظهر التوفيق الصريح بين الأديان في المعتقد الشعبي حالة من القبول الثقافي لتقليدٍ دخيل أو سابق، لكن قد تبقى العبادة «الأخرى» أو تتغلغل دون توفيق مشروع. مثلًا، استحدث بعض المتحولين (المسيحيين الجدد) نوعًا من العبادة على إثر شهدائهم من ضحايا محاكم التفتيش الإسبانية، وهكذا أدخلوا مقومات من الكاثوليكية رغم معارضتهم لها.

يُمثل ملوك كوش الذين حكموا مصر العليا لما يقارب القرن وكل مصر لما يقارب 57 سنة، من 721 إلى 664 قبل الميلاد، الأسرة النوبية (المصرية) الخامسة والعشرين في عمل مانيتون تاريخ مصر، أنشأوا عبادة توفيقية، مُماهين إلههم ديدان مع أوزيريس المصري. حافظوا

---

[1] نور التحقيق للشيخ حامد صقر ص 96

[2] المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالرحيم محمود ص (145).

[3] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ـ يوسف خطَّار ص 11

على هذه العبادة حتى بعد اقتيادهم إلى خارج مصر. بُني معبد مكرس لهذا الإله التوفيقي، من قِبل حاكم كوش أتلانيرسا، واكتُشف في جبل البركل.

كانت التوفيقية بين الأديان شائعة خلال العصر الهلنستي، من خلال مُماهاة الحكام لمجموعة من الآلهة المحلية في أجزاء مختلفة من مناطق سيطرتهم مع الإله والإلهة المناسبة من مجموعة الآلهة الإغريقية (البانتيون)، كوسيلة لزيادة ترابط المملكة. كانت هذه الممارسة مقبولة في أغلب المناطق، ولكن مرفوضة بشدة من قِبل اليهود الذين اعتبروا مماهاة يهوه مع زيوس الإغريقي أسوا ما في التجديف.

استمرت الإمبراطورية الرومانية بهذه الممارسة، أولًا من خلال مماهاة الآلهة الرومانية التقليدية مع اليونانية، ما أنتج الوثنية اليونانية الرومانية، وبعدها مماهاة أعضاء من تلك الوثنية مع الآلهة المحلية للولايات الرومانية المختلفة. يُقال بأن هناك شكلًا غير معلن من التوفيقية وهو نقل عدة صفات من الإلهة إيزيس –التي كانت عبادتها منتشرة بشكل واسع في فترة نهايات الإمبراطورية الرومانية– إلى مريم العذراء المسيحية. عززت بعض الحركات الدينية التوفيق الصريح، مثل حالة الجمع بين معتقدات الشينتو مع البوذية أو الاندماج المزعوم لأفكار الوثنية مع المسيحية خلال انتشارها في بلاد الغال والجزر البريطانية وألمانيا واسكندنافيا. في أوقات لاحقة، ماهت البعثات التبشيرية المسيحية في أميركا الشمالية مانيتو –طاقة الحياة الروحية والجوهرية في المعتقدات التقليدية عند الجماعات الألغونكية– مع إله المسيحية الواحد. أُجريت حالات مشابهة من قِبل المبشرين في مناطق أخرى من الأمريكيتين وأفريقيا، متى ما صادفوا معتقدًا محليًا لإله أعلى أو روح أعلى من أي نوع.

يمكن رؤية التأثيرات الهندية في الممارسة المتبعة عند الإسلام الشيعة في ترينيداد. رفضها آخرون بشدة باعتبارها تقليلًا لقيمتهم ومساسًا بتفردهم الثمين والأصيل؛ من الأمثلة على ذلك، اليهودية في فترة الهيكل الثاني بعد السبي البابلي والإسلام ومعظم المسيحية البروتستانتية.

يميل التوفيق بين الأديان إلى تيسير التعايش المشترك والوحدة بين الثقافات المختلفة والآراء العالمية (كفاءة التفاعل بين الثقافات)، وهو عامل أُوصي به للحكام في الإمبراطوريات ذات الاثنيات المتعددة. وفي المقابل، يمكن أن يساعد رفض التوافقية بين الأديان، غالبًا باسم «التقوى» أو «الأرثوذكسية (كمُصطلح)»، على خلق أو تعزيز أو توثيق روح ثقافية واحدة غير ممسوسة عند أقلية أو أكثرية واضحة المعالم.

- الموسوعة الصوفية والديانات السريّة هوَ كتابٌ لمؤلّفه جون فيرغسون صدرَ عام 2014 وتكلّف محمد الجورا بترجمتهِ ليصدر في وقتٍ لاحقٍ بنسختهِ العربيّة عن دار الفرقد للنشر. يتحدث الكِتاب عن بعضِ ما يُسمّيها «بالمفاهيم الجديدة» في عالَم الصوفية وعلاقاتها بباقي الديانات.[1]

عرض مبسط:

ينقسمُ الكتاب لجزأين؛يتحدث الجزء الأول عن المفاهيم الدينية في عالَم الصوفية والغنوصية مُحاولًا شرحها فيما يستعرضُ الجزء الثاني أعلام التصوف من كل مكان ومن جميع الفرق والمذاهب والتيارات.

من بينِ ما غاصَ فيه المؤلِّف في كتابه هذا كانَ كلمة سبينتا مانيو (بالإنجليزية: Spenta Mainyue) في الزرادشتية والتي تعني الروح الخيّرة، التي تصبح شبيهة بأهورا مزدا كما يُسمّي الخصوم في المعركة بين النور والظلام بأورموزد وأهريمن Ahriman[2] كما يتحدثُ في

[1] جون؛ فيرغسون (2014). الموسوعة الصوفية والديانات السرية. ظهر الكتاب. دار فرقد
[2] جون فيرغسون. الموسوعة الصوفية والديانات السرية. صفحة 56

موضعٍ آخر مثلًا عن يون-مين (بالإنجليزية: Yun-Men) وهوَ مُعلّم في الزِّنية الصينية، ومؤسس طائفة باسمهِ وعلاقته بالتصوّف.[1]

- التصوف في أندونسيا:

الأولياء التسعة أو الأوصياء التسعة (بالإندونيسية: Wali Songo أو Wali Sanga) شخصيات إسلامية اشتهرت في عالم الملايو خاصة في جزيرة جاوة الإندونيسية بسبب دورها التاريخي في انتشار الإسلام بإندونيسيا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، بحيث يعتقد أن هؤلاء هم المسؤولون عن تغيير الديانة الجاوية المتمثلة بالهندوسية والبوذية إلى الإسلام، وأصبح من بعدهم عدد المسلمين في إندونيسيا اليوم هو الأعلى في العالم.[2] وهم سنيون في العقائد، وعلى المذهب الشافعي في الفقه، وإلى الآن مازال المذهب الشافعي هو السائد بين مسلمي إندونيسيا وماليزيا وما حولهما من البلدان، حتى الفلبين وسيام وجنوب الصين.[3]

- سبب التسمية:

إن تسمية «الأولياء التسعة» عبارة عن اللقب الذي يشير إلى مجلس الأولياء عن طريق اتخاذ رقم تسعة الذي يعد قبل دخول الإسلام إلى

---

[1] **جون فيرغسون. الموسوعة الصوفية والديانات السرية. صفحة 56**

[2] سلام ، سوليشين (1989). تسعة ولاة في منظور التاريخ. جاكرتا: كونينغ ماس.

[3] بسري مصطفى (2018) Sejarah Para Wali. (بالإندونيسية).

أرض جاوة رقمًا مقدسًا، حيث يعتبر الرقم تسعة في الأساطير الكونية الهندوسية الجاوية رقما في غاية الأهمية، ومن الممكن أن هؤلاء الأولياء قد احتلوا المكانة التي كانت تحتلها الآلهة التسعة الحامية التي تشرف على نقاط البوصلة في النظام الكوني القديم حسب المعتقد الجاوي الهندوسي.[1]

من هم:

كان هؤلاء الأولياء من الدعاة الأوائل إلى الإسلام في جزيرة جاوة التي كان شعبها يعتنق الديانة الهندوسية والبوذية. وهم يوصفون بأنهم يتمتعون بالكرامات، وهذه الكرامات تحكى شفويًا وبشكل مستمر من جيل إلى جيل، إلى أن تم كتابتها رسميا باعتبارها جزءا من تاريخ السياسة والدين في جاوة من قبل شعراء مملكة ماتارام الإسلامية في مخطوطات «تاريخ أرض جاوا». وبالتالي فإن مقابرهم أصبحت هدفا للزيارة أكثر من الأماكن المقدسة الأخرى، حيث يقوم بها الزائرون بممارسة الطقوس الدينية لأغراض ودوافع متنوعة. وهذه المقابر منتشرة في جاوة الغربية، وجاوة الوسطى، وجاوة الشرقية. واشتهر من بينهم تسعة دعاة شهرة كبيرة تفوق الباقين ومعظمهم من السادة الأشراف آل عظمة خان، وهم:[2]

- **سونن غريسيك (Sunan Gresik)**
- **سونن قيري (Sunan Giri)**
- **سونن قدوس (Sunan Kudus)**
- **سونن**
- **سونن**
- **سونن**

---

[1] نصوحي ، حامد (2017). "شخيات سنن كاليجاغا في تقاليد مطرام الإسلامية". الدراسات الإسلامية. جمهورية إندونيسيا: جامعة سياريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرتا. ج. 24 رقم 1. ص. 151 - ISSN 2355-184 .

[2] دراسة لمنهج الصوفية في الدعوة إلى الله في عالم الملايو". أنا احتاج إلى العلمي ... أكو بيرلو ألمو ... اسأل لماذا

أمبل (Sunan Ampel)

- سونن بونانغ (Sunan Bonang)

درجات (Sunan Drajat)

- سونن كاليجاغا (Sunan Kalijaga)

موريا (Sunan Muria)

- سونن جونونغ جاتي (Sunan Gunung Jati)

وإلى جانب هؤلاء الأولياء الذين سبق ذكرهم هناك أولياء آخرون انتشروا بأرض إندونيسيا ولكنهم أقل شهرة، منهم:

- سونن بيات (Sunan Tembayat)
- سونن كاديلانغو (Sunan Kadilangu)
- سونن ليمبايونغ (Sunan Lembayung)
- سونن باكوان (Sunan Pakuan)
- سونن جيسينغ (Sunan Geseng)
- سونن موجو أجونغ (Sunan Mojo Agung)
- سونن بانكلان (Sunan Bangkalan)
- سونن برابين (Sunan Prapen)
- سونن دماك (Sunan Demak)
- سونن لامونجان (Sunan Lamongan)
- سونن جيبارا (Sunan Jepara)
- سونن براوتو (Sunan Prawoto)
- سونن نودونج (Sunan Ngudung)
- سونن موليا (Sunan Mulia)
- سونن أطاس أنجين (Sunan Atas Angin)
- سونن بونكول (Sunan Bungkul)
- سونن دالم (Sunan Dalem)
- سونن نيرانغ (Sunan Ngerang)
- سونن بادوسان (Sunan Padusan)
- سونن سندانغ دور (Sunan Sendang Duwur)
- سونن ويليس (Sunan Wilis)

وهذه إنما ألقابهم وهم ينسبون إلى المواضع التي هم فيها. ولفظ "سونن " لقب تشريف يطلقونه على بعض الملوك وكبار دعاة الإسلام في جاوة.[1]

عصرهم:

كان القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادية عصرًا ذهبيًا للدعوة الإسلامية في إندونيسيا، مع كونه عصرًا انحطاطيًا للممالك الهندوسية والبوذية، سياسيا كان أم اجتماعيا. وقد قال المستشرق البريطاني توماس أرنولد في كتابه «The Preaching of Islam» بأن الإسلام جاء إلى إندونيسيا بسلام وليس بسلاح كما قد فعلت الحكومات الإسبانية والبرتغالية، الإسلام جاء إلى شرق آسيا بوئام، من غير سلاح، ولا عن طريق اغتصاب القوة السياسية، إن الإسلام جاء إلى نوسانتارا عن طريق ظهور الأخلاق الإسلامية مع احترام التقاليد المحلية والأديان الوضعية.[2]

ومع كون اشتغال الشعب الإندونيسي في تعلم الإسلام وإقامة الممالك الإسلامية بتمزيج ما هو فكر ديني بما هو فكر وضعي إندونيسي، جاء كثير من التجار المسلمين من بقاع العالم الإسلامي إلى إندونيسيا حيث كانت علاقتهم بالمجتمع الإندونيسي وثيقة جدا. وتاريخيا، كان أكثر المهاجرين العرب إلى إندونيسيا هم الحضرميون باليمن، وحسب كتاب تاريخ حضرموت هذه الهجرة تعتبر أكبر هجرة في التاريخ الحضرمي.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن على يد هؤلاء الأولياء كانت المملكة الإسلامية «دماك بينطارا» في أرض جاوة أقوى مملكة في نوسانتارا سلاحيا وعسكريا، مع كون عاصمتها بدماك في جاوة الوسطى مركزًا للدعوة وانتشار العلوم الإسلامية.[3]

---

[1] هامكا (2020). Dari Pembendaharaan Lama: Menyingkap Sejarah Islam di Nusantara.

[2] لوكينز بول ، رونالد (2005). الجهاد السلمي: التفاوض على الهوية والحداثة في جافا الإسلامية. الولايات المتحدة: بالجريف ماكميلان

[3] بورروادي ؛ إنيس نيكين (2007). داكوة والي سونجو: بينيباران إسلام برباسيس كولتورال دي تاناه جاوا (بالإندونيسية). يوجياكارتا: بانجي بوستاكا

تعاليمهم:

إن الإسلام الذي عرفه هؤلاء الأولياء للمجتمع الجاوي هو الإسلام الذي يميل إلى التصوف.[1]

وأما طرق دعوتهم الإسلامية فمعروفة حتى الآن، وهي بممارسة الغناء والأشعار والنظم والخطب الدينية المسماة بـ«سرات» Serat، وكذلك بإنتاج القصص الإسلامية المجسدة بالدمى. وليس لديهم أي مؤلَّف ككتاب، لأن الدعوة آنذاك لم تكن صالحة بالكتب، مع انشغالهم في تقوية المملكة الإسلامية دستوريا وعسكريا. وقد جاءت دعوتهم الإسلامية على أساس احترام التقاليد المحلية والعقائد الوضعية، وإن كانوا من عظماء المملكة.[2]

وخير دليل على ذلك هو وجود مسجد الأقصى في مدينة قدوس في جاوة الوسطى، الذي بُني على أساس التعاون الوثيق بين المسلمين والهندوسيين، ولذلك شكل هذا المسجد شبه المعبد لدى الهندوسيين. وانطلاقا من قوة الاحترام بين أبناء الأديان المختلفة أفتى الفقيه الشيخ جعفر الصادق (سونن قدوس) على سكان مدينة قدوس بتحريم أكل لحوم البقر، احتراما للهندوسيين الذين يقدّسونها حسب معتقداتهم، وإلى الآن أهل مدينة قدوس لا يأكلون البقر.[3]

وإضافة إلى ذلك، كان رادين سعيد (سونن كاليجاغا) قد أدخل القيم الإسلامية في التقاليد المحلية، مثل: تقاليد «ميتو، وياتوس، وييوو» أي حفلات للموتى مع إحراق البخور الجاوية، التي أدخل فيها رادين سعيد القيم الإسلامية؛ وهي إهداء ثواب قراءة القرآن للميت والذكر جماعة وسماع القصص والنصيحة الدينية من حضرة رادين سعيد. ومن حيث المسائل الدينية كان هؤلاء الفقهاء لا يفتون بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حتى أقوال العلماء المعتبرة، وقد ابتعدوا عن قول «حرام»، و«بدعة»، و«شرك» أو «كفر»، بل عرضوا إجابتهم الفقهية

[1] طبارة ، نايلا (2017). الدراسات الإسلامية أمام التنوع الثقافي في العالم المعاصر. بيروت ، لبنان: دار الفارابي.

[2] رمضان ، محمد رزقي (2006). أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الإندونيسي الإسلامي (PDF).الخرطوم ، السودان: جامعة إفريقيا العالمية.

[3] "نبذة تاريخية عن مجيئ الإسلام إلى إندونيسيا". كاهايا إيلمو

بالمثل الجاوي أو بالمنطق، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسِّرِوا ولا تعسِّرِوا»، وبقوله أيضا: «كلموا الناس على قدر عقولهم».[1]

ومثل: الدعوة إلى فريضة ذبح الحيوان في يوم عيد الأضحى، فقد قال رادين سعيد: «من أراد دخول الجنة راكبا على غنمه أو جاموسه فعليه أن يذبحه في يوم عيد الأضحى لمن استطاع على ذلك»، ثم سُئل: يا شيخي، عندي جاموس واحد فهل يمكن في الآخرة أن يركب عليها ستة أشخاص وطفل صغير من أسرتي جميعًا؟ (في الفقه الشافعي أن الجاموس الواحد يكفي لستة أشخاص فقط)، فأجاب رادين سعيد: «عليك أن تذبح غنما واحدا لأن الطفل الصغير يحتاج إلى سُلّم لكي يستطيع أن يركب مع أسرتك على الجاموس.

وبسبب دعوة هؤلاء الأولياء وُلد كثير من العلماء الإندونيسيين، وبعضهم قد وصل إلى المستوى الدولي؛ كالشيخ النووي البنتني المشهور بمفتي الشافعية في البلد الحرام الذي ألّف عدة كتب منها «التفسير المنير» أو «تفسير مراح لبيد»، و«قامع الطغيان»، و«نصائح العباد» وغيرها، والشيخ ياسين الفاداني المعروف بمسند الدنيا في الحديث وعلومه، والشيخ محفوظ الترمسي الذي أصبح كتابه «منهج ذوي النظر» مقررا لطلاب الماجستير في الحديث في الأزهر الشريف بالقاهرة، وغيرهم كثير.

---

[1] شودجيم ، أحمد (2003). Mistik dan makrifat Sunan Kalijaga (بالإندونيسية). جاكرتا: سيرامبي.

جعفر الصادق (المتوفى 957 هـ) الشهير باسم سونن قدوس (بالإندونيسية: Sunan Kudus) إمام وفقيه وتاجر وواحد من أبرز الأولياء التسعة بجزيرة جاوة الإندونيسية.[1]

ساهم في تقريب وتعريف الإسلام للمجتمع الجاوي الهندوسي من خلال دمج القيم الإسلامية مع العادات والطقوس الدينية الهندوسية. فتأثر بأسلوب دعوته الجاويون واعتنق الكثير منهم الديانة الإسلامية وأخذوا يقصدونه لحل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية.[2]

وهو من قام بتأسيس مسجد منارة قدوس ذو الهندسة المعمارية الهندوسية.[3]

نسبه:

جعفر الصادق بن عثمان حاجي بن علي المرتضى بن إبراهيم أسمورو بن جمال الدين الحسين بن أحمد بن عبد الله عظمة خان بن عبد الملك بن علوي عم الفقيه المقدم بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع

---

[1] **كودوس كوتا والي". بابيدا كابوباتين كودوس.**

[2] **بكتي توفيق آري نوغروهو ، شوروني ، م. مينانور رومان (2020). "تلاوة خلافة السنن القدوس في الدعوة الثقافية". المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية والدين (بالإنجليزية .IJSSR .(المجلد. 1 ، لا. 1. ص 69 – 79**

[3] **مارسونو (2018 Dampak Pariwisata Religi Kawasan Masjid Sunan Kudus .(Terhadap Ekonomi، Lingkungan، (Dan Sosial-Budayaبالإندونيسية). يوجياكارتا: مطبعة جامعة جادجا مادا**

قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، وعلي زوج فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم.

فهو الحفيد 23لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في سلسلة نسبه.[1]

- مظاهر دينية وصوفية منها:

الشيش: كلمة فارسية تعني السيخ المعدني. وضرب الشيش: هي إحدى المظاهر الطقسية لجلسات الذكر التي يقوم بها شيوخ الطريقة من المتصوفين، حيث يتخلل تلك الجلسات استعراضات تتضمن غرس سيخ معدني (شيش) أو أداة حادة في جسد «الُمريد» أو وجهه. وقد يتخلل تلك الجلسات أيضاً القفز على الجمر في بعض الطرق.

ومن المثير في تلك الظاهرة عدم حدوث نزيف دموي على الرغم من اختراق «الشيش» لجسد الشخص من الجانب إلى الجانب الآخر في بعض الأحيان.

يعتبر المتصوفون أن من يقوم بذلك الدور يكون لديه «كرامات» من الله أو قدرة فريدة على الرغم من أن حدوث تلك الظاهرة لا يقتصر على

---

[1] - عفيف ، محمد (2017). "Pendidikan Tasawuf Multikultural dalam Perspektif Sunan Kudus dan Implikasinya pada Pendidikan Islam Nusantara". Esoterik: Jurnal Akhlak dan Tasawuf (بالإندونيسية). كودوس: دراسة البرنامج Tasawuf dan Psikoterapi، Fakultas Ushuluddin، معهد أغاما إسلام نيجري كودوس. المجلد. 3 ، لا. 2. ص 273 -

هؤلاء المتصوفين من المسلمين بل يمكن أن نشاهدها أيضاً في بعض طقوس الهندوس، ولكن يقول المتصوفين بأن مايقوم به الهندوس انما هي خفة يد وخدع.

يدعي من يقيم تلك الجلسات أنهم يتبعون طريقة شيخ معين في الذكر والزهد، مثل الطريقة الرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي والطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهما. على الرغم من اعتبار ضرب الشيش بدعة لم يأت بها أي من الشيخين المذكورين بنظر الكثير من علماء الدين.

تفسيرات :

إن القيام برياضات وطقوس معينة تزيد الحماس عند هؤلاء الأشخاص «المريدين» وتَخْفِض القدرة الحسية التي جُبل عليها الإنسان. فمجالس الذكر للصوفيين وإيقاعاتها تؤدي إلى تصعيد وجداني وصولاً لمرحلة التسامي إلى أن يصل الشخص إلى تنشيط الجهاز العصبي الذاتي (الودي ونظير الودي) ويخرج من عالم الحس والتأثر إلى عالم التجرد من الإحساس. فتسديد طعنة أو وخز لايعني شيئاً للمتسامي ولا ينزف بسبب تقلص العضلات الذي يحدثه تنشيط الجهاز العصبي الذاتي، ولكن في حال استعمال أداة أخرى بالضرب غير السيخ امثال السكاكين وغيرها كذلك لا يتأثرون، ولكن هناك طرق تقوم بذلك بدون الدف أو الطبل لأثبات أن لا فرق ان استعملوا الدف والطبل أو خلال حلقة الذكر أو خارجها.

- رأي العلماء المسلمين:

- يبين شهاب الدين محمود الألوسي سر هذه الخوارق في تفسيره روح المعاني بقوله: «وما يشاهد من وقوعه لبعض المنتسبين إلى حضرة الشيخ أحمد الرفاعي من الفسقة الذين كادوا يكونون لكثرة فسقهم كفاراً فقيل إنه باب من السحر المختلف في كفر فاعله وقتله فإن لهم أسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ولا يبعد أن تكون كفراً وإن كان معها ما لا كفر فيه، وقد ذكر بعضهم أنهم يقولون عند ذلك تلسف تلسف هيف هيف أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما

خلق أقسمت عليك ياأيتها النار أو أيها السلاح بحق حي حلي ونور سبحي ومحمد صلى الله عليه وسلم أن لا تضري أو لا تضر غلام الطريقة، ولم يكن ذلك في زمن الشيخ أحمد الرفاعي فقد كان أكثر الناس اتباعاً للسنة وأشدهم تجنباً عن مظان البدعة وكان أصحابه سالكين مسلكه متشبثين بذيل اتباعه ثم طرأ على بعض المنتسبين إليه ما طرأ»[1].

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه المخاريق التي يفعلها هؤلاء المبتدعون من الدخول في النار وأخذ الحيات هي نوعان أحدهما أن يفعلوا ذلك بحيل طبيعية مثل أدهان معروفة يذهبون ويمشون في النار ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سم الحية مثل أن يمسكها بعنقصتها حتى لا تضره، ومثل أن يمسك الحية المائية ومثل أن يسلخ جلد الحية ويحشوه طعاما وكم قتلت الحيات من أتباع هؤلاء. النوع الثاني: وهم أعظم عندهم أحوال شيطانية تعتريهم، فتتنزل الشياطين عليهم كما تدخل في بدن المصروع، وحينئذ يباشر النار والحيات والعقارب ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك، كما يفعل ذلك من تقترن بهم الشياطين من إخوانهم الذين هم شر الخلق عند الناس ويرى الإنسي واقفا على رأس الرمح الطويل، وإنما الواقف هو الشيطان ويرى الناس نارا تحمى ويضع فيها الفؤوس والمساحي ثم إن الإنسي يلحسها بلسانه، وإنما يفعل ذلك الشيطان الذي دخل فيه، ويرى الناس هؤلاء يباشرون الحيات والأفاعي وغير ذلك، ويفعلون من الأمور ما هو أبلغ مما يفعله هؤلاء المبتدعون الضالون المكذبون الملبسون الذين يدعون أنهم أولياء الله وإنما هم من أعاديه المضيعين لفرائضه المتعدين لحدوده والجهال ـ لأجل هذه الأحوال الشيطانية والطبيعية ـ يظنوهم أولياء الله، وإنما هذه الأحوال من جنس أحوال أعداء الله الكافرين والفاسقين».[2]

ـ سبب القيام بذلك:

---

[1] الألوسي:روح المعاني ص 17/69

[2] ابن تيمية:مجموع الفتاوى ج11 ص610-611

حسب معتقداتهم أن القيام بهذه الأمور هو من أجل أثبات وجود الله بالنسبة للملحدين وأثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأثبات وحدانية الله بالنسبة للمشركين أثبات صحة منهج وطريقة شيخ الطريقة حسب ما يؤمنون وكذلك لتثبيت إيمان المؤمن وأطمئنانه بخصوص دينه ومعتقده ويقولون ان مايميزها عن عن باقي الظواهر مثل الذي يقوم بها الهندوس وغيرها أن المُريد يستطيع القيام بذلك بأي وقت بعد أخذ الرخصة من شيخ الطريقة وأنها لا تستدعي وقتا أو مكانا معينًا.[1]

- بين البوذية والصوفية:

1. البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها.[2]

البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها

البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها

نؤكد أن الديانة البوذية وإن كانت ديانة أرضية غير سماوية منزلة، فإن دراستها لا تقل أهمية عن الديانات السماوية، نظرا لكثرة أتباعها الذين يقدر عددهم (550 ، 867 ، 554) مليون، وهي ثالث أكثر الديانات أتباعا بعد الإسلام والمسيحية.

---

[1] علي خان : فعاليات الدروشة وأهدافها

[2] . عبد الله مصطفى نومسوك :بتصرف

- البيئة التي ظهر فيها بوذا ، وعناصر الديانة الهندية في عصر بوذا، و الحديث عن بوذا ومذهبه، لنستعرض الصوفية وعلاقتها بالبوذية،

- أما البيئة التي ظهر فيها بوذا:

فبعد نبذة عن شبه القارة الهندية وملامحها الجغرافية وسكانها، وبعد بيان حالة الهند السياسية في عصر بوذا، أوضح المؤلف الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر بوذا، وهي نظام الطبقات الهندوسية:

- طبقة البراهما –رجال الدين والكهنة
- وطبقة الكشتريا –المحاربين والحكام ورجال الإدارة
- وطبقة الويشيا –الزراع والتجار
- وطبقة الشودرا –الخدم والعبيد–، وقد كان بوذا من طبقة الكشتريا، وقام بدعوته لإلغاء الطبقات والمساواة، واستجاب له كثير من الناس.

- وأما عناصر الديانات الهندية –الهندوسية- في عصر بوذا فتتلخص في ثلاثة:

1-عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة: فهناك إله السماء وإله البرق وإله النار والريح والسحاب... إلخ، فكل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم إله يعبدونه ويستغيثون به في الشدائد.

2 -عبادة الآلهة من الحيوانات وأرواح الأجداد: حيث لا فرق عندهم بين روح الإنسان والحيوان، كما أن الروح تنتقل من الإنسان إلى الحيوان تبعا لقانون "كارما" والتناسخ.

3-الاعتماد على التأمل الذاتي والرياضة النفسية: حيث لا يمكن الوصول للهدف الأسمى بالحياة – وهو الاتحاد براماتما مصدر الكائنات وجوهر

الوجود باعتقادهم– إلا بالتزهد والتنسك بالغابات والتأمل بأسرار الكون، وذلك من خلال رياضة اليوجيه والجينية.

الباب الأول: تناول المؤلف حياة بوذا ومذهبه، وذلك من خلال خمسة فصول:

1-نسب بوذا وولادته: ولد بوذا من عائلة آرية من طبقة "الكشتريا"، ووالده "سودودانا حاكم مدينة "كابيلافاستو" التابعة لإمارة "ساكا"، وذلك عام 623 ق .م، مع ذكر الكتب البوذية الكثير رمن الأساطير حول الغرائب والعجائب التي حدثت عند ولادته.

نشأ بوذا نشأة أبناء الملوك والأمراء، وتأثر والده بنبوءة الناسك "كال تيوك" الذي زعم أن "سدهارتا" – بوذا – سيصبح بوذا العالم المتنور إذا ترك بيته وخرج من أحضان العالم، ولذلك أرسله والده بعد بلوغه ست سنوات إلى عالم مشهور هو "جورو وسوامترا" فتعلم منه الفروسية والفلسفة.

ترك بوذا حياة الرفاهية والملك وآثر حياة التقشف والزهد حين كان في التاسعة والعشرين من عمره، فترك زوجته وولده وخرج برفقة رفيقه "شانا"، وطاف المدن والبلدات يلتقي بمعلمي البراهمة ويأخذ عنهم الفلسفة والرياضات الهندية، التي تعتقد أن القوة والمعرفة تأخذ بالزهد المفرط وتعذيب النفس...

بدأ بوذا بممارسة رياضات الهند لتطهير نفسه فسمي من ذلك الحين "جوتاما" أي الراهب، وقد اضمحل جسمه وانحلت قوته بسبب هذه الرياضات لمدة ست سنين، ليصل إلى نتيجة مفادها أن التقشف والزهد لا يكفي وحده، ولابد من الثقافة الروحية العميقة، وأن العقل السليم في الجسم السليم.

كانت لمرحلة "الاستنارة" التي ادعاها بوذا أهمية بالغة في تأسيس ديانته؛ حيث زعم أنه حصل على النور والمعرفة تحت ظل شجرة، لينقل

تلامذته الخمسة الكثير من الأساطير حول انتصار بوذا على الشيطان "مارا"، وعن فرار "مارا" وجنوده الأشرار من أمام شجرة المعرفة، وهي تشبه إلى حد كبير ما جاء في الأناجيل المحرفة عند النصارى عن صيام المسيح أربعين يوما وطرده للشيطان وخدمة الملائكة له.

دعا بوذا لمذهبه الجديد وكان يلقي مواعظه بكل مكان في مدن مختلفة، وقد ظل على حياة المبشر والمتسول حتى ناهز الثمانين من عمره، ثم توفي في مدينة "كوسينارا" سنة 543 ق . م، وقد أحرقت جثته حسب التقاليد الهندوسية، ثم جمع ما تبقى من رماده، واقتسمه أتباعه إلى ثمانية أجزاء، ودفنوه في أضرحة في أجزاء مختلفة من الهند، وما زال البوذيون إلى الآن يحجون إليها ويقدسونها.

2-الفلسفة البوذية وأخلاقها: في هذا الفصل أوضح الباحث أن بوذا قد تعلم مذاهب قومه ولم يخرج عنها، وأنه تعلم الفلسفة دون أن يكون له علم بالتاريخ، ولذلك يصنفه الكثير من الباحثين بأنه فيلسوف، وقد تضمنت نصوصه أهم عناصر دعوته التي يسميها البوذيون الحقائق السامية الأربع وهي:

– الألم موجود والحياة عنده عبارة عن سلسلة من موكب الآلام في سبيل البقاء، وهي تشير إلى النظرة المتشائمة للحياة، وتخالف النص القرآني.

– كل شيء له سبب وعامل ولا بد لهذا الألم من سبب أو عامل، فالإنسان له سبب في وجوده، فإذا أفنى سبب وجوده فني المسبب وهو الوجود وهكذا.

– إعدام الألم: فما دامت الرغبات والشهوات الإنسانية عند بوذا هي سبب الآلام، حتى حب الإنسان لأولاده هو سبب للآلام عن د فقدهم حسب معتقد بوذا، وبالتالي فلا بد من التخلص من الحب لتنتهي الآلام.

- الوسيلة لإعدام الألم:

وهي طريقة واحدة عند بوذا وهي اتباع ما يسمى "الشعب الثماني أو الممر الأوسط بين التلذذ والزهد": وهي قواعد الحياة الحقة في البوذية، وهي: سلامة الرأي والنية والقول والفعل والعيش والجهد والتفكير والتأمل.

كما تناول في هذا الفصل فلسفة إنكار الذات في البوذية، والأخلاق العامة التي يتبعها عامة الناس من المدنيين الذين يسكنون المنازل، والخاصة للرهبان الذين ينقطعون للتبتل، متناولا الأخلاق السلبية في البوذية.

3-العقائد في البوذية: اشتملت الديانة البوذية كغيرها من الديانات على مجموعة من العقائد، غير أن معظم هذه العقائد ليست أصلا لها، وإنما مقتبسة من البرهمية، لأنها الديانة الأم في الهند التي تفرعت عنها سائر الديانات.

وقد اتفقت البوذية مع البرهمية في الاعتقاد "بكارما" أي قانون الجزاء، وبالتناسخ أيضا، مع اختلاف في تفسير هذه العقائد.

– بالنسبة لقضية الألوهية عند بوذا وأتباعه فهي قضية ثانوية، لأن مذهب بوذا معتمد على الأخلاق والتجربة الروحية، ولذلك يرى كثير من الباحثين أن البوذية فلسفة أخلاقية أكثر منها دين، وقد ناقش المؤلف في هذا المبحث شبهة نبوة بوذا والرد عليها، وقضية الألوهية عند البوذيين بعد بوذا، وانقسام أتباعه إلى من جعل بوذا ليس إنسانا محضا، بل روح الإله قد تجسد فيه فأصبح كائنا إلهيا، وبين من اعتقد ببشرية بوذا، وأنه مقدس ارتقى لمرتبة أسمى من الإنسان والملائكة والآلهة، فألهوه بهذا الاعتبار.

-كما تناول المؤلف قضية تراجع كثير من المثقفين البوذيين حديثا عن عدم وجود الإله الخالق، متأولين وجوده باسم "دهارما" بمنزلة الإله في المسيحية، بالإضافة لتناوله عقيدة الثالوث في البوذية التي تتألف من: بوذا المؤسس، و"دهارما" بمعنى تعاليم بوذا وشرائعه، و"سانغها" بمعنى أصحاب بوذا والقديسيين.

- كما تناول المؤلف عقيدة "كارما" أو ما يسمى قانون الجزاء عند البوذية، وهي كلمة سنسكريتية تعني "العمل"، أي كل عمل يعمله الإنسان قولا أو فعلا أو فكرا، وقد تناول المؤلف تفاصيل هذا القانون، بدءا من تعريفه، وانتهاء بنقدها.

-ومن ضمن عقائد البوذية عقيدة تناسخ الأرواح "سمسارا"، والتي تعتبر من أهم وأقدم العقائد الهندوسية، وقد تناول المؤلف تفاصيل هذه العقيدة، وفندها تفنيدا يظهر عوارها وتناقضها وبطلانها.

-كما تناول المؤلف في هذا الفصل عقيدة "نرفانا"، وهي كلمة سنسكريتية وتتألف من كلمتين "نر" ومعناها الانتهاء أو الانعدام، و"فانا" أي الشهوة، والمعنى انتهاء الشهوة، وهي متسقة مع النزعة التشاؤمية البوذية، التي تعتبر الحياة مصدر الآلام.

4 - الرهبنة في البوذية:

تناول تعريف الرهبنة البوذية ونشأتها، والتي تعني الامتناع عن جميع الرذائل والاعتزال التام عن الحياة المدنية، كما تناول نشأة الرهبنة البوذية التي تعود إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد.

-عقد موازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة المسيحية، لنصل إلى نتيجة مفادها أن هناك ملامح تشابه بينهما يؤكد اقتباس المسيحية المحرفة الكثير من عقائدها من البوذية، وذلك بالأدلة الموثقة.

-استعرض بعض نماذج من التقاليد والخصائص والنظم والآداب في الرهبنة البوذية، كلبس الأصفر وحلق الرأس والمشي حفاة، والتسول وترك العمل، والصوم والصمت الدائم والتبتل، وسكنى الدير والخضوع لشيخه، ناهيك عن الآداب الكثيرة التي يلتزم بها الرهبان البوذيين في حياتهم.

- عبادة القديسين البوذيين، وبيان الخطوات والعبادات التي لا بد من تخطيها ليصل البوذي لمرتبة القديس.

- ما في الرهبنة البوذية من فساد، وما فيه من مخالفة صريحة للفطرة الإنسانية التي فطر الله الإنسان عليها، مبينا موقف الإسلام من الرهبانية، ورفضه الصريح والواضح لها بكل صورها وأشكالها، بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة.

5-المذاهب البوذية وانتشارها في الأقطار: هما مذهبان كبيران: قديم وجديد، أما القديم فهو شديد الصلة ببوذا وينتشر بجنوب الهند وبورما وتايلاند وكمبوديا، والجديد الذي اختلط بالآراء والنظريات الفلسفية، والذي انتشر شمال الهند والتبت ومنغوليا والصين واليابان وكوريا وفيتنام، وقد استعرض المؤلف أهم نقاط الاختلاف بين هذين المذهبين.

- الصوفية وعلاقتها بالبوذية:

1-التعريف بالصوفية ونشأتها وعلاقة البوذية كمصدر من مصادرها: فبعد أن عرف المؤلف الصوفية بكونها فرقة دينية أخلاقية فلسفية تقوم على الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح، وسبب هذه التسمية والاختلاف المذكور حولها، استعرض المؤلف موجزا عن نشأة التصوف والصوفية وتطورها، ليصل إلى النقطة الأهم في الموضوع ألا وهي علاقة الصوفية بالبوذية.

حيث أكد المؤلف أن البوذية تعتبر مصدرا من مصادر الصوفية، مؤيدا كلامه هذا بالأدلة والبراهين وأهمها:

- انتشار البوذية بفارس وخراسان وما جاورهما قبل الفتح الإسلامي، وهي مواطن نشأة وخروج كثيرا من كبار الصوفية.

- دخول بعض البوذيين في الإسلام ونقلهم بقايا معتقداتهم السابقة وعدم تخليهم نهائيا عنها.

- وجود العلاقات الثقافية بين العرب والهنود.

2-علاقة الصوفية بالبوذية في العقائد والأخلاق: وأوجه هذه العلاقة من خلال:

- الفناء: حيث تتشابه فكرة الفناء الصوفي مع عقيدة "نرفانا"البوذية، والتي هي عبارة عن التشبع الروحي والانصراف عن الدنيا كلها، وهي غاية ما يطمح إليه البوذي، كما أن الفناء الصوفي هو عبارة عن فناء الأوصاف المذمومة، أو الفناء المطلق، وهي غاية ما يطمح إليه الصوفي، مؤكدا أن الفناء الصوفي هو طريق إلى عقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود الباطلة.

- في الطريق إلى الفناء: حيث تتشابه الوسائل والسبل والرياضات الروحية للوصول إلى حالة الفناء المطلوبة بين الصوفية والبوذية، فالتفاصيل الدقيقة المثبتتة في الكتب الصوفية حول وسائل وطرق الرياضة والمجاهدة، تشبه إلى حد كبير وسائل ورياضات البوذيين، كالزي واللباس والخلوة وتقديس الشيخ، والتجرد من المال والجاه وشهوة البطن والفرج، والصوم والصمت الدائم والعزلة....

- في الحلول والاتحاد: حيث ظهرت عقيدة حلول وتجسد الإله في شخص بوذا لينقذ الناس من آلام الحياة، كما اعتقد النصارى في المسيح عليه السلام، إلا أن البوذية زادت بإمكانية ارتقاء أي إنسان لمرتبة بوذا بالمجاهدة.

وقد ظهرت عقيدة الحلول في الصوفية في القرن الثالث الهجري بعد ما مهد لها أبو يزيد البسطامي الفارسي (ت 261ه) بنظرية الفناء، كما صرح بها الحلاج (ت309ه) في إشارة إلى كون البوذية مصدرا من مصادر الوصفية.

3-علاقة الصوفية بالبوذية في العادات والتقاليد: وفي هذا الإطار بعض تلك العادات والتقاليد وهي:

- لبس الخرقة والمرقعة: وهي شعار المتصوفة وعلامة على دخول أتباعهم في الطريق، والتي لا تلبس إلا من يد الشيخ، ولها شروط تشبه إلى حد كبير لبس الخرقة البوذية التي كانت علامة على الزهد.

- في اتخاذ الشيخ: فلا بد للمريد من شيخ وإلا فإن شيخه الشيطان، ولا بد أن يرتبط قلبه معه ويتوجه إليه ليأتي الفيض بواسطته.

- في ملازمة الرباط "الخلوة": وهو عبارة عن حبس النفس في مكان ما، وملازمة الأوراد وترك التكسب، وهو يشبه ملازمة الرهبان البوذيين للأديرة.

- السياحة: وهي عادة رهبان بوذا، وهي تجريد النفس من الشهوات واستخراج الأثرة والأنانية منها، وهي معروفة أيضا عند الصوفية، فكثير منهم يؤثر السياحة والسفر على الإقامة، ويخرجون إلى البوادي والصحارى والجبال.

- التسول وترك الكسب: فالرهبان البوذيون لا يتكسبون ولا يحترفون، بل يعيشون على عطاء الناس لهم، وهو حق شرعي لكل راهب بوذي، وهي عادة معروفة عند الصوفية، حيث يزعمون أنها حقيقة التوكل على الله.

وفي بحث آخر حول العلاقة بين البوذية والصوفية:
دكتور ألكسندر بيرزين

الحضارة والمسئولية العالميتَين كلاهما يعتمد على إقامة حوار بنَّاء بين الأديان الموجودة بالعالم، مثل البوذية والإسلام. مثل ذلك الحوار بإمكانه الحدوث على مستوى القيادات الدينية، كما بإمكانه الحدوث على مستوى العامة. علاوة على ذلك، يمكنه الحدوث على مستوى

الموضوعات الأكثر عمومية، وكذلك على مستوى التفاصيل المحددة جيدة التوثيق.

مع ذلك، قيادات ومُتبعي البوذية والإسلام، سابقًا، كانوا غير واعين بشكل كبير بمعتقدات بعضهما البعض. في الوقت الحاضر، هذا الوضع يتغير ببطء، ولكن هناك احتياج إلى بذل المزيد من الجهد. في هذا السياق، أصبح الإنترنت أداة وسيطة لها قيمتها في نشر المعلومات والحوار، خاصة بين العامة، وأكثر تحديدًا بين الشباب. إلا إن مُستخدمي الإنترنت، يواجهون مهمة هائلة الحجم، وهي غربلة المعلومات المتضاربة المتاحة، من أجل تحديد المصادر الموثوق بها وغير المتحيزة. في مواجهة ذلك التحدي، أوجه الشبه بين الصوفية والبوذية تسير في الاتجاه الصحيح فيما له علاقة بالعموميات، ولكن هناك حاجة إلى استكمال ذلك من خلال التحليل التفصيلي لبعض القضايا، تجنبًا لسوء الفهم.

على سبيل المثال، الحضارة البوذية والصوفية في وسط آسيا [1]على اتصال منذ أكثر من ألف عام، وخلال تلك الفترة، نمت الصوفية وانتشرت داخل العالم الإسلامي. في الحقيقة، الصوفية والبوذية يتعاملان مع القضايا نفسها المتعلقة بمحدودية الوجود البشري. مع ذلك، ليس بالضرورة أن يقود هذا إلى وجوب تأثر كل منهما بالآخر في صياغة حلولهم لتلك المسألة. لكن، هذا لا يلغي أيضًا إمكانية تبني بعض الأفكار من بعضهما البعض. لكن، التأكد من تبني تلك الأفكار يتطلب وصفًا تفصيليًا دقيقًا من أجل الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية فيما يخص تبني تلك الأفكار. فبعد كل شيء، كل من الصوفية والبوذية لديهما سجلات طويلة، ومساحات جغرافية كبيرة، وتنوع ضخم في المدارس والمعلمين العِظام، وكل مدرسة منهم تركِّز على أشياء مختلفة عن الأخرى.

[1] دكتور ألكسندر بيرزين

على سبيل المثال، أبو يزيد البسطامي (٨٠٤-٨٧٤ م) أدخل في الصوفية مبدأ الفناء والخداع بسبب تأثره بمُعلمه أبي علي السندي. مبدأ الفناء يعني:

انتهاء الوجود – الهدم الكامل للذات الفردية والاتحاد مع الإله في كيان واحد. مبدأ الخداع يعني: الحيلة والمكر، كوصف للعالم المادي. في التصوف الهندوسي والإسلامي، جادل روبرت تشارلز زاينر بشكل مقنع، بأن السيندي عُرِف عنه أنه قد تحوَّل من ديانة إلى أخرى، وغالبًا أخذ المبدأ الأول "الفناء" من التشاندوغيا ابانيشاد والمبدأ الثاني "الخداع" من السفيتاشيتارا أبانيشاد، كما شرحها شانكارا (٧٨٨-٨٢٠م) مؤسس الأدفايتا فيدانتا. جميع التقاليد البوذية تتعامل مع نفس موضوع النِرفانا – التحرر من إعادة الميلاد المتكررة – والعديد من مدارس الماهايانا تؤكد على أن مظهر العالم مشابه للوهم، مايا، لكن في الوقت ذاته ليس مرادفًا له. برغم ذلك، من غير المُرجَّح أن تكون أي من تلك الصيغ لعبت أي دور في تنمية الأفكار الصوفية.

على الجانب الآخر، باستطاعتنا العثور على أدبيات تم تبنيها من البوذية داخل الصوفية. مثلًا، صورة بوذا وهو مُحاط بمجموعة من الرجال العِميان وكل منهم يصف حيوان الفيل بشكل مختلف، اعتمادًا على قيام كل واحد منهم بلمس جزء مختلف من جسد الفيل، نجد هذا المثال في الصوفية في الكتابات الفارسية للباحث أبو حامد الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)، حيث استخدم الصورة في دفاعه ضد الشكوك الفلسفية ليوضح أن العلوم الدينية الإسلامية تمتلك فقط حقيقة جزئية، بينما استخدمها بوذا في سوتراته للطوائف غير البوذية لإثبات عُقم مجادلات الفلاسفة في وجهات نظرهم المختلفة مع بعضهم البعض.

تأثير بوذي آخر على الصوفية حدث في مجال التدريبات الطقسية، خاصة خلال فترة حكم الدولة الإيلخانية المنغولية لإيران (١٢٥٦-١٣٣٦م). أول خمس من ستة إيلخانات حكموا كانوا يتبعون البوذية التبتية، الاستثناء كان الخان أحمد تاكودار الذي تولى الحكم خلال الفترة

(من ١٢٨٢ إلى ١٢٨٤م). الخان السادس، الخان غازان تولى الحكم خلال الفترة (من ١٢٩٥ إلى ١٣٠٤م)، الذي تحول إلى الإسلام على يد المعلم الشيعي الصوفي صدر الدين إبراهيم. الزيادة التي تم التركيز عليها، من هذا الوقت فصاعد، في تبجيل أضرحة معلمي الصوفية والتي قد تكون تأثرت بالتبجيل البوذي للستوبات، النُصْب التذكارية التي تضم رفات المعلمين.

مع ذلك، لم يقتصر الأمر على تبني الصوفيين لأشياء من البوذية بشكل مباشر. فغالبًا ما عملت، في هذا النطاق، الديانة المانوية – وهي ديانة أساسية أخرى في منتصف آسيا – كجسر بينهما .

أحد الأمثلة، قصص الحيوات السابقة لبوذا عندما كان بوديساتفا والتي عُرفت في المصادر المسيحية في القرون الوسطى على إنها قصة بارلام ويهوشافاط. فمن المعروف جيدًا أن النسخة المانوية السوقدانية لتلك القصص كُتبت للمرة الأولى قبل ظهورها في النسخ العربية في كتاب بارلام ويهوشافاط، الذي كتبه أبان اللاحقي (٧٥٠-٨١٥م) في بغداد.

التفسير الإسلامي اندمج به أجزاء من القصة العربية لحيوات بوذا السابقة، كتاب البوذا، والذي تم إعداده في هذا الوقت اعتمادًا على الترجمة العربية لنصين سنسكريتيين، قصص سبحة الحيوات السابقة ومآثر أشفاغوشا عن البوذا. بما أن نص اللاحقي لم يعد موجودًا، فليس واضحًا حجم المواد التي أدمجها من المصادر المانوية. إذا كان هناك بعض التأثيرات الأخرى، فغالبًا ما تم تقديمها من خلال الحوار بين الباحثين البوذيين والباحثين المسلمين المانويين، في ذلك الوقت، في البلاط العباسي.

علاوة على ذلك، تبني الحضارة الإسلامية من البوذية لم يكن مقصورًا

على المجال الديني أو الأدبيات، وإنما امتد الأمر إلى مجال الطب، فعائلة البارماكيد لعبت دورًا مهمًا في تطورهم أثناء حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي تولى الحكم خلال الفترة (من ٧٨٦ إلى٨٠٩م) كان رئيس وزراءه هو يحيى البرمكي، حفيد مسلم لأحد مسئولي دير نافا فيهارا في إقليم البلخ في أفغانستان. على الرغم من وجود الباحثين البوذيين في بيت الحكمة في بغداد آنذاك، إلا أن يحى دعا المزيد من الباحثين البوذيين، خاصة من كشمير. مع ذلك، لم تتم ترجمة أي من النصوص الفلسفية البوذية للعربية تحت رعاية يحى البرمكي. بدلًا من ذلك، التركيز كان على ترجمة النصوص البوذية الطبية، من السنسكريتية إلى العربية، خاصة تحقُّقات محيط الرافيغوبتا.

مع ذلك، فهناك قضايا أكثر حساسية من الأديان، والأدبيات، والعلوم التي تم تبنيها. إنها قضية الأخلاق المشتركة على أساس من الحضارة والمسئولية العالميتين. على سبيل المثال، السودان، باكستان، إيران، والسعودية قد انتقدوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي تم توقيعه في الأمم المتحد في عام ١٩٤٨، لأنه لم يضع في اعتباره الديانات والثقافات غير الغربية. اعتراضهم قاد إلى إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام، والذي تم تبنيه من قِبَل ٤٨ دولة إسلامية في مؤتمر مجلس وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي. هذه الوثيقة تعترف فقط بحقوق الإنسان المنصوص عليها في الشريعة.

كطريقة للنظر إلى روح الشريعة، أكدت الصوفية على ما تدعوه "الطريقة"، مسار للتدرُّب الروحاني الذي يقود إلى الحق، الحقيقة. لكن لابد من الحذر الشديد لعدم الوصول إلى استنتاجات بإمكانية لعب الصوفية دور الجسر بين الإسلام والبوذية في مجال الأخلاقيات لمجرد كونها تتجنب التطرف الأصولي. العديد من المدارس الصوفية قد تكون موجودة اليوم في البلدان الإسلامية، لكن حقيقة أن جميع الدول الإسلامية وَقَّعَت على إعلان القاهرة، فهذا يعني بالضرورة أن أي أساس أخلاقي سواء للحضارة أو المسئولية العالَميين يجب أن يضع في اعتباره أصول الشريعة الإسلامية. لهذا، كأساس لأي حوار آخر لصياغة

مثل تلك القواعد الأخلاقية العالمية، لابد من تبني تحليلات أكثر عُمقًا وتعاريف للنقاط الأخلاقية المشتركة بين الديانات المختلفة في العالم، بالإضافة إلى النظام العلماني.

قد يكون الوضع بالفعل أن الصوفية بإمكانها تسهيل عملية التعلُّم بين البوذية والإسلام النابع من الرغبة في معرفة المزيد عن بعضهما البعض. إلا إنه، العثور على نقاط مشتركة بين الديانتين، لن يكون من المفيد حصره فقط على مفهوم التصوُّف. "التصوُّف" مصطلح تقني يُستخدم بشكل أساسي في النظم الإيمانية كأداة لبلوغ نوع ما من نشوة التوحُّد مع الإله. مثل ذلك المصطلح ليس له علاقة بالبوذية. ما قد يكون أكثر صلة بالبوذية هو أهمية وجود معلم روحاني وأدوات التأمل، مثل التأمل على الحب، تدريبات التنفُّس، تكرار ترديدات المانترا أو الأذكار، والتخيل. مع ذلك، مثل تلك الموضوعات، غالبًا ما سيهتم بها عدد قليل من جماهير البوذية والإسلام، وليس بين عموم التابعين التقليدين للديانتين.

لذلك، بالإضافة إلى التوثيق الجيد المُتاح على الإنترنت والمعلومات المطبوعة والدراسات المقارنة المتخصصة في البوذية والإسلام، فإن التغطية الإعلامية الواسعة للخدمات المتبادلة بين الأديان المُعدَّة من قِبَل القادة الدينيين ليس فقط للديانتين، ولكن لأكبر عدد ممكن من المشاركات من الأديان الأخرى، سيكون لها تأثيرًا إيجابيًا أكبر لتأسيس انسجام ديني، حضارة عالمية، ومسئولية عالمية.

التصوف المسيحي:

وقد تحدثنا في عن نشأة التيار الصوفيّ داخل المسيحيّة في مقابل الروحانيّة الكتابيّة أو الحياة الروحيّة التي يقدمها لنا الكتاب المُقدّس. ولكن قبل تناول أهم أوجه الاختلاف بين التصوّف المسيحيّ والروحانيّة الكتابيّة، لننظر إلى أوجه التشابه بينهما. فما أيسر الإشارة

إلى نقاط ضعف الصوفيّة الآن، ولكن قد يُساعدنا النظر إلى التشابه بينهما، على الأقل، على فَهم لماذا ينجرف البعض بعيدًا عن الروحانية الكتابيّة نحو التصوّف. فقد نجد الإجابة في التشابه بينهما والذي قد يظن معه البسطاء أنه الشيء ذاته.

- **ما هي بعض أوجه التشابه بين التصوّف المسيحيّ والروحانيَّة الكتابيّة؟**

أولًا: يشترك المتصوّفة المسيحيون مع سائر المؤمنين بعقيدة الثالوث. فبخلاف سعي بعض التيارات الأخرى التي تدّعي المسيحيّة (مثل المورمون وشهود يهوه) إلى أنها تَتَبنى إما الآريوسية أو تعدد الآلهة، علينا أن نُقَدر التزام التيارات الصوفيّة المسيحيّة بعقيدة الثالوث. فهم يؤمنون بالآب صاحب المبادرة والسُلطان، والابن مُتمم الخلاص، والروح القُدُس مُطبق الفداء.

ـ ثانيًا: يدرك المسيحيّ الصوفيّ أن الله مُتسامٍ جدًا وقريب في آن واحد. بالرغم مِن انتقادنا لعدم اتزان بعض معتقداتهم اللاهوتيّة، إلا أنهم يؤمنون بأن الله المتسامي له مُطلق السلطان على كل شيء، وأنه كذلك دائم الحضور وسط شعب عهده.

ـ ثالثًا: يدرك المسيحيّ الصوفيّ أن رؤية الله هي الخير الأعظم. فجميعنا نشتاق إلى يومٍ سنرى فيه الله كما هو. [1]، وجهًا لوجه بدلًا مِن أن نراه كما في مرآة، وسنعرفه معرفة كاملة، تمامًا كما عُرِفنا[2]. لا يكتفي المسيحيّ الصوفيّ بانتظار حدوث ذلك في المستقبل، لكنهُ يرغب بشدة

[1] (يوحنا الأولى 3: 2)
[2] .(كورنثوس الأولى 13: 12)

في اختبار كل ملء الله .[1] والعمق الأبدي لبهجة الوجود في محضره الآن.[2].

كما يشتاف المسيحيّ الصوفيّ بحق أن يكون في اتحاد مع الله وأن يصير مع إخوته "شُرَكاءَ الطَّبيعَةِ الإلهيَّةِ" [3]ولا يُمكن لأحد أن يلومه على سعيُه باجتهاد لنوال الخير الأعظم في كل الأرض.

- رابعًا:

يدرك المسيحيّ الصوفيّ ضرورة المقابلات الشخصية والخاصة مع الله باعتبارها عنصُرًا أساسيًا مِن عناصر الحياة المسيحية. وعلى الرغم مِن نقد الذي سنقدمه لاحقًا لمعتقداتهم، يجب أن نمتدح جديتهم تجاه وصية يسوع: "وأمّا أنتَ فمَتَى صَلَّيتَ فادخُلْ إلَى مِخدَعِكَ وأغلِقْ بابَكَ، وصَلِّ إلَى أبيكَ الّذي في الخَفاءِ"، ويؤمنون بوعده: "فأبوكَ الّذي يَرَى في الخَفاءِ يُجازيكَ عَلانيَةً" [4]

خامسًا:

يشترك معنا المسيحيّ الصوفيّ في إدراك أهمية التشديد على القلب. فقد نمتلك المعرفة والتصديق، دون الثقة. قد نمتلك معتقدات عظيمة ونؤمن بأشياء عظيمة عن الله، ولكن سنظل في حالة نقص روحيّ ما لم نتقدم إليه بثقة كاملة، ساعيين إلى أن نُحبه مِن كل كياننا، وعقلنا، وروحنا، وقوتنا، وقلبنا.

سادسًا:

---

[1] **(أفسس 3: 19)**
[2] **(مزمور 16: 11)**
[3] **(بطرس الثانية 1: 4).**
[4] **(متى 6: 6).**

يؤمن المسيحيّ الصوفيّ أنه يوجد عناصر سرائرية في اللقاء مع الله قد تتحدى التفسير العقليّ. وهو يبتهج بما لا يمكن استيعابه بالكامل، ويقف في اندهاش أمام "غِنَى المَسيحِ الّذي لا يُستَقصَى" [1] ومحبة الله "الفائقَةَ المَعرِفَةِ" [2] وطُرقه التي لا يُمكن استقصائها.[3]. كما يفرح بحقيقة أنه لا يقدر أحد أن يعرف فكر الرب بالكامل. [4]

وأخيرًا:

يؤمن المسيحيّ الصوفيّ أن مقابلته مع الله لا يُمكن أن تنبع مِن ذاته. فالأمر لا يقع تلقائيًا، بل أن هناك جهد عليه القيام به. فالمسيحيّ الصوفيّ، حتى وإن كان تطبيقه ناقصًا، يؤمن أنه يجب أن تحدث له استنارة أو يقظة حتى يتسنى له إدراك الحقيقة الإلهيّة. كما أنه يسعى نحو بهجة الاستنارة، ويفعل كل هذا ليعرف الله ويكون معه – حتى ولو ضحى بالكثير من وقته، وموهبته، وأثمن ما لديه.

في ضوء ذلك، يوجد العديد مِن الجوانب الجديرة بالثناء في التصوّف المسيحيّ، خاصة فيما يتعلق بالاشتياق والجوع نحو الله. ولكن لسوء الحظ، يوجد الكثير مِن القصور في الممارسات والمعتقدات اللاهوتية مما يُظهر أن المسيحية الصوفية لا ترتقي إلى الصورة الكتابية للروحانية. وهذا ما
إن الهدف من ايجاد وتأسيس هيئة ائتلاف الإنجيل هو إعداد وتجهيز الجيل القادم من المؤمنين والرعاة وقادة الكنيسة لصياغة حياة وخدمة عملية مركزها الإنجيل.

التصوف المسيحي يشير إلى تطور الممارسات والنظريات الصوفية داخل المسيحية.[5] كثيرًا ما كان متصلًا مع اللاهوت التصوفي،

---

[1] **(أفسس 3: 8)**
[2] **(أفسس 3: 19)**
[3] **(رومية 11: 33)**
[4] **.(رومية 11: 34).**
[5] **جيلمان ، جيروم ، "التصوف" ، موسوعة ستانفورد للفلسفة (إصدار صيف 2011)**

وخاصةً في التقاليد الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية. السمات والوسائل التي يتم دراسة التصوف المسيحي فيه تمارس عن طريق مجموعة متنوعة من الرؤى ومنتشي اتحاد الروح الصوفية مع الله مع التأمل من الكتاب المقدس (أي القراءة الإلهية).

سنتتناولها من خلال ممارسة الحياة الداخلية والروحية داخل التقاليد المسيحية.

يعود التصوف المسيحي إلى القرون الميلادية الخمسة الأولى، عندما ظهرت مجموعة من الروحانيين المسيحيين ذكرهم التاريخ المسيحي بعد ذلك على أنهم معلمو اللاهوت الروحي وهم أوريغانوس، وأنطونيوس، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس أسقف نيصص، وغريغوريوس الثيؤلوغوس، وأمبروز وأوغسطينوس. هؤلاء السبعة هم أصحاب أغلب نصوص العبادة اللاهوتية والشروحات الروحية، وهم أول من بدأ التصوف المسيحي من خلال القراءة الروحية والتأويل الرمزي والمجازي للنص المقدس.[1]

شهدت العصور الوسطى ازدهارًا للتصوف المسيحي والتنظير الموافق له رافقه ازدهار الرهبانيات الجديدة في العالم المسيحي، مع شخصيات بارزة مثل هايدغارد بنجين وبرنارد من كليرفو، تطوّر في العصور الوسطى التصوف الألماني بشكل خاص على يد الدومينيكان تتوج مع اللاهوت التصوفي ومن أبرز منظريه ميستر إكهرت. في عصر النهضة خلال الإصلاح الكاثوليكي أو الإحياء الكاثوليكي ازدهر التصوف الإسباني رافقه كتابات حول التصوف المسيحي، وتعتبر هذه الفترة عصر النهضة الأدبية للتصوف في التقاليد والثقافة الكاثوليكية. أبرز أعلام هذه الفترة القديسة تريزا الأفيلية، القديس يوحنا الصليب وفرنسيس بورجيا وإغناطيوس دي لويولا. كما وتعد أديرة جبل آثوس من مراكز التصوف المسيحي الشرقي.

المعالم والطقوس:

---

[1] التصوّف المسيحي ... العشق الإلهي على طريقة المسيح ؛ موقع رصيف 2

للتصوف المسيحي أربعة معالم رئيسية أولها التركيز على جوهر العبادة لا على شكلها، مع توجيه القلب لله وحده؛ وثانياً مركزية شخص المسيح كطريق يأتي من الله ليحمل الإنسان إليه ولا ينطلق من الإنسان ليتحرك ناحية الله؛ ثالثاً، محورية لاهوت الخلاص إذ تبدأ منه الروحانية، ورابعاً وأخيراً، ممارسة العبادة بفرح بسبب حضور المسيح بنفسه وسط العابدين كقائد وموجه لهم. ولا تختلف ممارسات الصوفية المسيحية كثيراً عن ممارسات الصوفية الإسلامية إذ إنها عبارة عن إبداع حبي لله وتعبير عن هذا الحب بكل الطرق والوسائل بداية من التعبير بالشعر، أو بحركات الجسد أو من خلال استخدام الموسيقى، على أن يكون هذا التعبير تحت إشراف شيخ متقدم وهو، في المسيحية، شخص له خبرات واسعة في التصوّف ويقود الصوفيين ويعلمهم الزهد في العالم، والاتكال على الله والصبر له. وتكون الخلوات التعبدية بالصوم والمجاهدة الطوعية تقرباً لله، وجميعها ممارسات ذكرت في كتب الصوفية وتناقلتها الأجيال المسيحية عبر العصور.

تنقسم الصوفية المسيحية إلى مدرستين غربية وشرقية، ويضيف أن الثانية منهما تتميّز عن الأولى بابتعادها عن أية بهجة دنيوية أكانت بهجة الحب أو بهجة الجنس أو المال وغيرها، كما تدعو إلى الزهد في الدنيا والتفرغ فقط لحب الله، ويأتي على رأس رواد هذه المدرسة متى المسكين.

في التصوف المسيحي يتم التواصل المباشر لله مع الإنسان، حسبما أعلن الوحي في المسيحية عن تجسد الله وظهوره كإنسان أو اتحاده بالإنسان، وفي التصوف المسيحي، يتم التواصل بين الإنسان والله عبر «الكلمة المتجسد» كعنصر التجلي الظاهر للباطن الإلهي المنزّه عن التواصل بذاته حسب علم اللاهوت المسيحي. ومن أشكال التصوف المسيحي «العبادة الحبية» والذي يتمثل بإبداعات الشعر والموسيقى في التصوف المسيحي، يشكّل في المسيحية بشكل عام «فقه العبادة الأكبر»، وهو متجذّر في طريقة العبادة عند المسيحيين الذين نرى في طقوسهم التسبيح والترنيم بالشعر واللحن بمصاحبة الحركات الطقسية، وعند الحركات الروحية الحرة يضاف الرقص، كما

عند الأرثوذكس في إثيوبيا. ويلتقي التصوف المسيحي من نواحٍ أخرى بنظيره الإسلامي في الإبداع الإنساني الأدبي والفني والفكري.

مدارس التصوف:

التصوف الإسباني:

إزدهر التصوف الإسباني مع حركة الإصلاح الكاثوليكي في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر في إسبانيا؛ وتعتبر هذه الفترة عصر النهضة الأدبية للتصوف في التقاليد والثقافة الكاثوليكية. وكان الهدف من هذه الحركة إصلاح الكنيسة هيكليًا وتجديد الكنيسة روحيًا. حاول الصوفيون الإسبان للتعبير عن أفكارهم عن طريق مجموعة متنوعة من الرؤى والكتابات والتأمل الروحي من الكتاب المقدس (أي القراءة الإلهية).[1]

كان لهؤلاء الكتّاب تأثير قوي على تطور اللغة الإسبانية خصوصًا في «العصر الذهبي للأدب الإسبانية». في بداية الفترة الأولى للعصر الذهبي الإسباني، كان ينظر إلى هذه المؤلفات باعتبارها خشنة اللغة. لكن بحلول نهاية العصر الذهبي الإسباني، حققت لغة التصوف الإسباني إلى ما يسمى «بأسلوب الباروك العالي الإسباني»، ولا يزال تأثير التصوف الإسباني في بعض أشكال الأدب الإسباني حتى الوقت الحاضر. تعد مؤلفات التصوف الإسباني أبرز أمثلة من للأدب الإسباني الديني، إذ كان كتاب التصوف الإسباني من الشخصيات المسيحية الأدبية الرئيسية، كما لعب الصوفيون الإسبان أيضًا أدورًا مهمة حركة الإصلاح الكاثوليكي. ألهمت كتاباتهم السعي في سبيل الله بدلاً من الالتزام بقانون القرون الوسطى، أدى إلى تأسيس أو إصلاح الجماعات الدينية.

المدرسة كالفرنسية للروحانية:

المدرسة الفرنسية للروحانيّة (بالفرنسيّة: École française de spiritualité) هي تيار تصوفي ذات تأثير عبادي روحاني رئيسي داخل الكنيسة الكاثوليكية من منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن العشرين ليس فقط في فرنسا بل في جميع أنحاء الكنيسة

[1] كتابات الأدب الأسباني الصوفية ، Encyclopædia B

الكاثوليكية في معظم أنحاء العالم. تطورت ثمار هذه المدرسة نتيجة الإصلاح الكاثوليكية مثل التصوف الإسباني واليسوعيون، وتركز مدرسة الروحانية الفرنسية على الحياة التعبدية وعلى تجربة شخصية مع يسوع والسعي من أجل القداسة الشخصية.[1] وكان لهذه الحركة في الروحانية الكاثوليكية العديد من الشخصيات الهامة على مر القرون، أبرزهم مؤسسها، الكاردينال بيير دي بيروللي (1629-1575).

التراث الثقافي:

في المسيحية تراث كبير من التصوف. ومن الكتب التي توضحه وتشرحه :

- «خلاصة التصوف المسيحي» للكاتب أدولف تنكره الصادر عام 1956،
- و«بحث في اللاهوت الصوفي لكنيسة الشرق» لفلاديمير لوسكي، ---
- و«الرؤية الأرثوذكسية للإنسان/ الأنثروبولوجيا الصوفية» لعدنان الطرابلسي،
- و«مقاربات في التصوف» لتيريزا الأفيلية،
- و«الرياضات الروحية» للأب فاضل سيداروس اليسوعي،
- و«النشيد الروحي» للقديس يوحنا الصليب الملقب بـ«أمير التصوف المسيحي» نظراً لدوره الكبير في إثراء التصوف المسيحي بكلماته ومؤلفاته.
- «المعرفة الباطنية في الأرثوذكسية الشرقية» لبوريس مورافييف، --
- و«إنجيل يوحنا/ قراءة صوفية» لمظهر الملوحي،

---

[1] Spirituality Deville, R. "The French School of Jesus Living in," Mary: Handbool of the Spirituality of St. Louis de Montfort, pp. 437-457, (Montfort Publications, Litchfield, Connecticut, 1994)

- «حياة الصلاة الأرثوذكسية» للأب متى المسكين وهو كتاب يجمع بين اللاهوت النسكي الرهباني والتصوف الروحاني العام،

- و«موسوعة التصوف» لجون فرغسون، وتذكر هذه الموسوعة كل أعلام التصوف المسيحي، وتؤرخ لأهم الحركات والكتابات فيه.

- التصوف اليهودي:

و"القبالاه" هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وهي تتسم بطابع حلولي متطرف بحيث يمتزج الإله تماماً بمخلوقاته إلى أن يختفي تماماً. وكان "القباليون" يؤمنون بأن المعرفة، كل المعرفة، توجد في أسفار موسى الخمسة، ويذهبون إلى أنهم يعرفون أسرار الكون والمعنى الباطني للتوراة باعتبارها مخطَّط الإله للخلق كله، وكل كلمة فيها تمثل رمزاً، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سراً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها، خاصة أنهم يذهبون إلى أن التوراة كتبت قبل الخلق بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء، وهو ما يعني أن التوراة الحقيقية مختفية على الصفحات البيضاء، لا تدركها عيون البشر العاديين، ولا يدركها سوى العارفين بـ"القبالاه". ويقول "القباليون" إن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم يهود (تتراجرماتون)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية. وقد أصبحت "القبالاه" في نهاية الأمر ضرباً من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات العارف بـ"القبالاه"، وبالتالي يصبح بوسعه السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا، فإن "القبالاه" تتبدى دائماً في شكل ما يسمى بـ"القبالاه العملية"، وهي أقرب إلى السحر الذي يستخدم اسم الإله والمعادل الرقمي للحروف والأرقام الأولية والاختصارات

للسيطرة على العالم. ويمكن القول إن "القبالاه" وتراثها وطريقتها في تفسير النصوص اليهودية المقدَّسة، وإيمانها بالحل السحري وبالخلاص القومي، أخذت تسيطر بالتدريج على الوجدان الديني اليهودي ابتداءً من القرن الرابع عشر، وهيمنت عليه تماماً مع نهاية القرن الثامن عشر. والصهيونية هي وريثة التراث "القبالي" في بنيتها، فهي ترى العالم من خلال رؤية حلولية تبشر بالخلاص القومي والترابط العضوي بين عناصر الثالوث الحلولي (الإله والشعب "الشعب اليهودي" والأرض "أرض الميعاد، أي فلسطين"). ولكن مع القضاء على السلطة المركزية اليهودية ومع سقوط الهيكل تشتت اليهود، فعبرت الرؤية الحلولية عن نفسها بشكل فردي من خلال "القبالاه" (التأملية والعملية)، ولكنها عادت إلى سابق عهدها في العصر الحديث مع ظهور الصهيونية، حيث يصبح الخلاص مرة أخرى خلاصاً قومياً، فالصهيونية تؤكد ارتباط الشعب بالأرض نتيجة الحلول الإلهي أو سريان روحه المقدَّسة في كل من الشعب والأرض. و"القبالاة" العملية الحديثة (أي الصهيونية) هي الاستيلاء على الأرض ونقل اليهود إلى فلسطين (ونقل العرب منها) وتصبح الدولة هي الهيكل الذي يتعبد فيه يهود العالم ويقدمون له القرابين. هذا أحد أهم جوانب "القبالاه"، ولكن ثمة جانباً آخر له علاقة وطيدة بموضوع مادونا. إذ يرى "القباليون" أن الإله قد فاض التجليات العشر النورانية. وكان يُنظَر أحياناً إلى التجلِّيات باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من جوهر الإله، وأن مراحل التجلي تمت داخل الذات الإلهية. ويتم التعبير عن العلاقة الأساسية بين التجلِّيات المختلفة من خلال صورة مجازية أو مقولة إدراكية جنسية واضحة. فالعلاقة بين الأب والأم (التجليان النورانيان الثاني والثالث) علاقة جنسية واضحة. ويجب ألا ننسى أن الأب والأم هما النموذجان الأمثلان المتحققان. وقد حملت الأم من الأب، وأنجبت الابن والابنة، وكانا في الأصل كائناً واحداً أحادياً مخنثاً (ذكر/أنثى) يعبِّر عن الواحدية الكونية، ويظهر هذا الابن -التجلي السادس:- وهو رمز ذكري واضح، فهو يفيض بالرحمة الإلهية التي تنزل على التجلي العاشر الذي هو الملكة أو الشخيناه، أي التجلي الأنثوي للإله، وهي أيضاً "كنيست" أو جماعة يسرائيل التي يُشار إليها

بتعبير "بنت صهيون" (بات تسيون). ومن خلال التفاعل بين عناصر الذكورة وعناصر الأنوثة، تفيض الرحمة على الشخيناه، وتتحد الذات الإلهية، وبذلك تصبح وحدة الإله والكون هي نفسها الوحدة الكونية. وتُستخدَم صورة الزواج المجازية للحديث عن علاقة الإله بالشعب (ونشيد الأنشاد هو نشيد زفاف الشعب إلى الإله!). وحالة "الزواج" الكوني هذه كانت مصدراً للتناسق، ولكن حدث خلل ما أدى إلى فراقهما. حينئذ يبدأ الملك في البحث عن الملكة أو الشخيناه. وتصف القبَّالاه العلاقة بينهما. وقد خلق الإله الشعب اليهودي ليُصلح الخلل ويُقرِّب الابن والابنة. ولكن، بسبب ذنوب جماعة "يسرائيل"، هدم مخدع الشخيناه، أي الهيكل، فنُفيت الشخيناه معهم خارج فلسطين. وبذلك تصبح الصورة المجازية الجنسية المقولة الإدراكية التفسيرية الكبرى في القبالاه، فهي تبيِّن سر وحدة الكون، ومصدر الوحدة بين الإله ومخلوقاته، ومكانة الشعب المختار المتميِّزة، وهي أيضاً الطريقة التي تتوحد بها الذات الإلهية وتتحقق، إذ إن توحُّد التجلِّيات هو توحُّد الإله واكتمال وجوده. وقبل أن تهيمن القبالاه على الوجدان والخطاب الديني اليهودي، وصفها الحاخامات الأرثوذكس بأنها تخلت عن التوحيد اليهودي، وأحلت محل الإله الواحد عشر آلهة (التجليات النورانية العشر). وهم محقون تماماً في هذا، فالخلق عن طريق الفيض يفترض عشرةتجليات يحمل كل منها قداسة إلهية، كما أن كلاًّ منها منفصل عن الآخر، فهي تكاد تكون عدة آلِهَاتٍ أو إلهاً واحداً قابلاً للانقسام إلى أجزاء. كما قال حاخام آخر إن "القبالاه" جنست الإله وألهت الجنس، أي أضفت مركزية كونية على الجنس (وهذا يوضح أثر القبالاه على فرويد). هذا هو الإطار الإدراكي والمعرفي الذي يتحرك داخله أتباع "القبالاه".[1]

[1] من مقال ل :نورة الطنيجي

ـ شجرة القبالة.

القَبَالة أو القبلانية (بالعبرية كابالا קַבָּלָה) هي معتقدات وشروحات روحانية فلسفية تفسر الحياة والكون والربانيات. بدأت عند اليهود وبقيت حكراً عليهم لقرون طويلة حتى أتى فلاسفة غربيون وطبقوا مبادئها على الثقافة الغربية في ما يسمى العصر الجديد (new age). بشكل عام، هي فلسفة تفسر العلاقة بين الله اللامتغير والأبدي والسرمدي، ويرمز له بـإين سوف (بالعبرية אין סוף)، وبين الكون المتهالك والمحدود، أي مخلوقات الله. لا تعتبر القبالة كدين إذ أنها فلسفة تفسر الباطنية في الدين كما أن طقوسها لا تنفي القيام بالطقوس الدينية لكن معتنقيها يعتقدون أن الإرشادات والطقوس الواردة في القبالة تساعد الشخص على تطوير نفسه ليفهم بواطن الدين، وبخاصة بواطن التوراة والتقاليد اليهودية.[1]

يعتقد أتباعها أن تعاليم القبالة أقدم من التاريخ الذي نعلمه وهي سابقة لكل الأديان والطرق الروحية التي نعرفها وهي تشكل المخطط الأساسي لكل الإبداعات الإنسانية من الفلسفة والدين والعلوم والفنون والأنظمة السياسية.[2]

---

[1] مشبع بالقداسة "ـ علاقة الباطني بالظاهر في تفسير Pardes الرباعي للتوراة والوجود

[2] ـ الحرية". مكتبة القبالة. تفسير يهودا ليب هاليفي اشلاق | مكتبة الكابالا ـ معهد بني باروخ الكابالا للتعليم والبحوث معهد بني باروخ لاب دراسات ودراسات القبالة.Kabbalah.info ."

انبثقت القبالة كشكل بدائي للباطنية اليهودية في القرن الثاني عشر في إسبانيا وجنوب فرنسا ثم أعيد تشكيلها بعهد النهضة اليهودية في القرن السادس عشر في فلسطين العثمانية. ثم تطورت في القرن العشرين فيما يسمى بالتجديد اليهودي وانتشرت في أوساط روحانية غير يهودية كما تلقت الاهتمام من الدوائر الأكاديمية.

- تسمية القبالا:

استعملت كلمة «قبالة» العبرية بمعان مختلفة خلال فترة التاريخ اليهودي. تعود كلمة قبالة، أو كبالا، إلى الكلمة العبرية «قِبِلْ» والتي تعني «استلام»، أو «استقبال» أو «تلقي». [1]بشكل عام، تدل على القوانين الدينية والروحانية التي استلمها الانبياء والكهنة اليهود على مر التاريخ. وللمفارقة، «قبالة» في اللغة العربية تعني «وثيقة يلتزم بها الإنسان لأداء عمل أو دين أو غير ذلك. أو عمل يلتزمه الإنسان.»[2]

وقد يبدوا ان الكلمتين العربية والعبرية لهما نفس المعنى لمشاركتهما نفس الجذور (قبل) في ما يسمى اللغات السامية. لهذا، من المستحسن تعريب المصطلح بالـ«قبالة» بدلا من الـ«كبالا». كما هناك من عرب الكلمة إلى «الكوبالة» أو «الكبّالة» أو «القوبالة».

- تاريخ استعمال المصطلح:

أول استعمال لجذر «قبل» كان في التوراة اذ وردت خمس عشر مرة. وردت مرتين في سفر الخروج للدلالة على البساط الذي كان يغطي «تابوت العهد».[3]

الا انها اخذت دلالات أخرى في اجزاء مختلفة من التوراة مثل «مراسلة» في التوراة و«معارضة» في الانبياء و«استقبال أو استلام» في الكتابات.[4]

---

[1] أ ب غال ايناي. "موضوعات في الفكر الصوفي اليهودي: معنى كلمة الكابالا - الجزء الأول -" التقليد المتلقى "(مواضيع حول الفكر التصوفي في التوراة: معنى كلمة - الجزء الاول - علماد المُستلم).

[2] - قاموس المعاني. معنى قبالة في معجم المعاني الجامع.

[3] غال ايناي. معنى كلمة الكابالا: الجزء 2 - الكابالا كـ "مراسلات" (معنى كلمة: الجزء الثاني).

[4] السابق

وخارج التوراة، كانت في البدء تستعمل للدلالة على القانون الشفهي، أي التلمود، الذي «استلمه» اليهود بعد تدمير الثاني للمعبد في القرن الأول الميلادي. وانتشرت بين اعوام 150م وحتى 600م. منذ القرن الثاني عشر الميلادي، اخذت الكلمة معناها المتداول اليوم والذي تدل على التعاليم الروحية والباطنية التي استلمها الملهمون اليهود بعد ذلك ليؤلفوا «القبالة» (بالعبرية קַבָּלָה) لتعني الباطنية الروحانية اليهودية.[1]

نظرة عامة:

بحسب كتاب الزوهار، الكتاب الاساسي عند القباليين، يجب دراسة التوراة بحسب اربع مستويات في التعليل[2]:

- مستوي "البسيط" الـ«بشاط» (بالعبرية פשט أي البسيط) وهو التأويل للمعنى المباشر للكلمة.

- مستوى "الترميز" الـ«رمِز» (بالعبرية רמז أي الترميز) أي فهم رمزية النص بفهم التلميحات والاشارات.

-مستوى "البحث" ال«دراش» (بالعبرية דרש أي البحث أو الدراسة) أي فهم المعنى المدراشي للكلمات عن طريق المقارنة والمقابلة مع الكلمات الموازية الواردة في التوراة.

- مستوى "السر واللغز"" الـ«صود» (بالعبرية סוד أي الاسرار والالغاز) اى استباط المعاني الباطنية والماورائية بحسب القبالة.

قبل القبالة، اعتمد اليهود المذهب المركبي في تفسير بواطن التوراة والعلاقة مع السماء بحسب قصة مركبة حزقيال لمدة تسعة قرون بعد تدمير الهيكل. يفرق باحثوا الباطنية اليهودية الاكاديميون المعاصرون بين مذهبي «القبالة» ومذهب المركبة الاقدم.[3]

---

[1] ليف لاي. تاريخ الكابالا. تاريخ القبالة. دورية منظور مشيح يهودي. العدد 12.2. 1998.

[2] R. Isaiah Horowitz، Toldot Adam، Beit hachokhma، 14كتاب الزوهار

[3] الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد ، فصول عن "ظهور الكابالا في القرون الوسطى" و "مذاهب الكابالا في العصور الوسطى"

كما يعتبروا وجود مذهبين مترابطين في القبالة نفسها. الأول هو القبالة النظرية، فيما يسمونه الثيوسوفية (حكمة اللاهوت) والذي يستند إلى مجموع النصوص التي وجدت في العصور الوسطى والتي تشمل النظرية القبالية وكتابات الزوهار من القرون الوسطى واللوريانية. بينما الثاني هو القبالة التطبيقية التي تعتمد التأمل من اجل تحقيق السعادة المطلقة. وهناك من يشمل مذهب تطبيقي ثالث، مع انه مرفوض من قبل الكثير من الاكاديميين، وهو يركز على التطبيقات السحرية للمذهب الثاني.[1] ويمكن التفريق بين هذه المذاهب الثلاثة بملاحظة تعريفهم وفهمهم لالله:

- فالقبالة النظرية تتجه للتعريف بالله وشرح ماهيته.[2]

- بينما تتجه القبالة التطبيقية للوصول إلى الله والاتحاد به.

-اما القبالة السحرواتية فتتجه لاحداث تغييرات في ملكوت الله الروحانية والمادية.

بحسب المفاهيم التقليدية للقبالة، فإن المعرفة القبالية يتلقاها شفهيا اباء الدين (أي البطاركة) والانبياء والحكماء وهم من يقومون «بحياكتها» في نسيج كتب الدين وفي المجتمع. وعليه، تشمل فكرة القبالة كل ما مورس في الدين اليهودي منذ القرن العاشر ما قبل الميلاد ومارسها أكثر من مليون شخص في زمن إسرائيل القديمة.[3] وتم طمس هذه المعرفة من قبل قادة اليهود ذلك الزمان (السنهدرين) وجعلوها سرية خوفا من اساءة استعمالها بسبب الغزوات الكثيرة التي واجهها بني إسرائيل.[4]

---

[1] موشيه إيديل ، الحسيدية: بين النشوة والسحر ، ص. 31

[2] أ ب يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12 ، قسم 30 ، ص 105 ، الجزء السفلي من العمود الأيسر كمقدمة لـ "تلمود إيسر هاسفيروت"

[3] ميجلا 14 أ ، شير هاشريم رباح 4:22 ، روث رباح 1: 2 ، آريه كابلان التأمل اليهودي: دليل عملي ص 44-48

[4] يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12

الفرق بين القبالة اليهودية وغير اليهودية:

مع بدء عصر النهضة في أوروبا، اهتم الفلاسفة الأوروبيون بالقبالة اليهودية وترجموا كتبها وقاموا بدراستها.[1] وقام التوفيقيون بين الاديان مثل :

القباليون المسيحيون والقباليون الهرامسة، كل على حدى، بتطوير مفهومهم عن القبالة باعتبار التوراة هي مصدر شامل وقديم للحكمة. كما دمجوا الافكار القبالية مع مفاهيم الديانات والشعائر الأخرى الغير يهودية. ومع انهيار القبالية المسيحية في عصر التنوير، تحولت القبالية الهرمسية إلى حركة سرية واصبحت نواة حركة التعاليم الباطنية الغربية. واستقطبت هذه القبالة اهتماما كبيرا عند الجماعات التنجيمية الغربية لتناولها مواضيع الخيمياء والسحر والاهيات التي كانت مواضيع محظورة عند اليهود. وبسبب هذا، نجد ان معظم الكتابات حول القبالة كتبها غربيون من خارج الدائرة اليهودية.[2]

- الرمزية في التوراة:

يجد القباليون الكثير من الرمزية في التوراة، فطريقة وصف الخلق في سفر التكوين يعطي معان رمزية وعميقة تشرح اسرار الله نفسه وحقيقة ادم وحواء وجنة عدن وشجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة كما تشرح طريقة تفاعل هذه القوة الفوق طبيعية مع الثعبان الذي يقود إلى التهلكة.[3] كما ان هناك العديد من كتابات التوراة التي تقدم مادة دسمة للاساطير والالغاز مثل رؤية النبي حزقيال لمركبة الله ورؤية

---

[1] الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد 2007. الفصول: 5 العصور الحديثة I The Christian Kabbalah -، 9بعض جوانب الكابالا المعاصرة

[2] - الدين اليهودي: رفيق ، لويس جاكوبس ، مطبعة جامعة أكسفورد 1995

[3] آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005 ، المجلد. 57 رقم

اشعيا في المعبد ورؤية يعقوب للسلم إلى السماء ومقابلة النبي موسى لله ومركبته على جبل سيناء.

تاريخ الباطنية اليهودية:

-المنشأ والبداية:

يعتقد بعض الأكاديميين المعاصرين أن الباطنية اليهودية تطورت عبر فترات مختلفة من تاريخ اليهودية. وكل طريقة باطنية هي نتاج مزج بين الطرق الباطنية السابقة والمعرفة الادراكية للمجتمع المعاصر لكل فترة. وهناك صعوبة كبيرة في حصر تسلسل انتقال المعرفة والمؤثرات التاريخية في كل مرحلة من مراحل تطور الباطنية. فبحسب المفهوم التقليدي، نشاءت القبالة مع ادم من أيام جنة عدن بحسب ما كتب في كتاب ممارسات القبالة فما يسمى بسفر رازئيل الذي أُلف في العصور الوسطى. وهناك من يعتقد بان القبالة كان جزء من التوراة الشفهية التي اخذها النبي موسى من الله على جبل سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. كما اعتقد البعض ان القبالة انتقلت على فترات من أيام العصور القديمة إلى الخاصة من الصدوقيين، أي حكماء اليهودية، عن طريق الوحي والتي حافظ عليها نخبة مختارة. كما ويرى التلموديون ان سفر «حاجيجاه» (Hagigah)، سفر قرابين الاعياد) من التلمود[1] يذكر طريق محددة لتدريس هذه الحكمة. كما ذكر الحبر شنور شتيرن ان ظهور بعض الممارسات الباطنية اليهودية، بخاصة التأمل، بداء مع وصول بني إسرائيل إلى ارض كنعان.[2] وهناك من يقول ان الباطنية بداءت في سفر الخروج وفي اخبار مركبة الله المذكورة في سفر حزقيال. فالطريقة البرشيتية اشارت إلى رسالة مرمزة وردت في سفر الخروج تدل على اسرار الخلق والكون. وهي نفسها التي ذكرت في سفر حاجيجا. اما باطنية المركبة اشارت إلى رسائل مرمزة في سفر حزقيال

---

[1] أحمد ايبش. ترجمة الدكتور سهيل زكار. (2006). التلمود كتاب اليهود المقدس التلمود كتاب اليهود المقدس.

[2] شتيرن ، شنور. النشط مقابل التأمل السلبي. موقع كابالا اونلاين.

تدل على رؤية مركبة الله.[1] من ناحية أخرى، رفضت العديد من طوائف اليهود الارثوذكس (اليهود التقليديون) فكرة تطور القبالة عبر التاريخ.

- عناصر الباطنية في التوراة:

- يقرأ القباليون اشارات في الفصل الثالث من سفر التكوين عن أسرار حول لله نفسه وطبيعة ادم وحواء وجنات عدن وشجرة معرفة الخير من الشر وعلاقة كل هذه الكيانات الفوق طبيعية مع الثعبان والتي ادت إلى كوارث بسبب تناول الفاكهة المحرمة.[2]

وهناك أسرار باطنية أخرى وردت في رؤية المركبة في سفر حزقيال ورؤية السلم إلى الجنة في سفر اشعيا وملاقات موسى على جبل سيناء. كما ان لاسم الله المؤلف من 72 حرفا، والذي يستعمل في الخلوات والتأمل، هو ما تلقاه موسى من الملاك والذي استعمله لشق البحر عند خروجه من مصر مع بني إسرائيل.

-عصر التلمودية:

- ويعتبرالحبر اكيفا الذي قبره في طبريا. هو واحد من اربع حاخمات زاروا الجنة.

- وشيمون بن يوشع. هو معلم الباطنية في الزوهار الذي هو اساس القبالة.

[1] صنع القبالة. من موقع سبارك نوت

[2] آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005 ، المجلد.

في عهد الاحبار اليهود التي بدآت في القرن الأول الميلادي، كان الاعتقاد بوجود رسائل مرمزة في التوراة من اسس المدراشية ومنها ظهر مصطلحات الـ«سيتري توراه» (التوراة المستورة) والـ«رازي توراه» (اسرار التوراة) والـ«شوشماه نيستارا» (الحكمة المخفية). حرم المنهج التلمودي تدريس الباطنية للعامة كما حذرت من مخاطره كما فرض تدريس عملية الخلق إلى مريد واحد كل على حدى.[1]

- العقائد السابقة للقبال:

وفي القرن العاشر الميلادي، بدء ظهور المخطوطات القبالية. كان يسمى مبتدئي تعلم القبالة بهابطي الركبة كدلالة على الرحلة الروحانية التي يقومون بها إلى عالم الروحانيات والتي تهدف إلى الوصول إلى الحضرة الاهية. بين القرنين الثامن والحادي عشر الميلادي، وصلت نصوص باطنية المركبة (هيخالوت) وباطنية الخلق (سفير يتزسيرا) إلى يهود أوروبا. وقبل شيوع القبالة، بين 1150م و1250م، كانت حركة «انصار الاشكنازي» (تشاسيدي اشكنازي، تقاة ألمانيا العصور الوسطى) منتشرة بين عائلة كالونيموس المثقفة والتي استوطنت اراضي نهر الراين بين المانيا وفرنسا.

- قبالة العصور الوسطى:

موشه بن نحمان، الحبر من القرن الثالث عشر الذي اعطى زخما لدراسة القبالة من خلال تدويناته حولة التوراة.

ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي العديد من الاخوة الباطنية اليهودية في أوروبا التي ابقت على سريتها ولم تخرج للعلن مثل «وسط لين» (Lynn Circle) و«وسط الملاك الفريد» (Unique Cherub Circle). كما كان هناك الحكماء الكبار (ريشونيم، الرؤساء) الذين اشتهروا بعلمهم بالقبالة. منهم موشه بن نحمان (1194م - 1270م) الذي فسر التوراة بناء على المعرفة القبالية؛ وبهيا بن اشر (توفي 1340م) الذي دمج التوراة بالقبالة؛ واسحق الاعمى (1160م - 1235م) وهو يعتبر من أول من كتب كتاب «البهار» (الاشراق) أول نصوص القبالة وكان معلم موشه بن نحمان.

[1] اورباخ. الحكمة ، من صفحة 184.

في القرن الثالث عشر، ظهر كتاب «الزوهار» للعامة وعندها، اخذت القبالة ترتبط بتعاليم الزوهار تحديدا بعيدا عن ما كان يعرف به من قبل كشرح لاسرار التوراة. في وقت لاحق، قام الحبر اسحق لوريا اريزال بتفسير القبالة على اسس زوهارية محضة، وهذا ما يعتبره الباحثون كنقطة بداية للقبالة المعروفة اليوم. والجدير ذكره ان بعض مذاهب طائفة الحريديون يعتبروا ان الزوهار يمثل تعاليم التوراة الباطنية وبحسب ما ورد يالتلمود.[1]

بدايات الحقبة الحديثة: القبالة اللوريانية:

تعرض اليهود خلال العصور الوسطى إلى الاضهاد والتشرد من جراء الأعمال المناهضه لليهود وبخاصة طردهم من اسبانيا عام 1492. تدفع هذا الاضطهاد اليهود للبحث عن اشارات لمجيء المشيخ وهو المخلص الذي ذكره التوراة. وفي القرن السادس عشر، أصبح جماعة صفد اليهودية، في الجليل، هي مركز الفكر اليهودي الذي قام بتطوير تفاسير الباطنية والقوانين والطقوس اليهودية. وقامت الجماعة الصفدية، اثر الطرد من اسبانيا، بالتركيز على تفسير القبالة على اسس عودة المخلص (المقابل للمهدوية الاسلامية). وقام الحبر موسى القرطبي بانشاء مدرسة لتدريس الزوهار للعامة بعد ان كان دراسته مقتصرة على النخبة. وكان نتاج عمل الصفدي تأسيس للانظمة المهيأة للقبالة. وفي هذه الفترة، احتفظ مدرس القبالة يوسف كارو (1488م - 1575م، وهو مؤلف كتاب معيار القانون اليهودي) بمذكراته الشخصية حول الباطنية. كما قام موشي الشيش (أي موسى الشيخ) بكتابة ملاحظاته حول التوراة وكذلك كتب الحبر شلومو الكابيتز (سليمان القابص) الكثير من التعليقات والاشعار حول القبالة.

- يعتبر الحبر اسحاق لوريا (1534م - 1572م)، وهو من الاحبار الصفديين، من قدم النظرة المخلصية (المهدوية) للقبالة عبر تقديم تفاسير جديدة والتي قدمها مريديه حاييم فيتال وإسرائيل ساروغ الذين قاما بكتابة تعاليم لوريا ونشرها بين العامة. نشر ساروغ القبالة في اروبا بينما كتب فيتال الشريعة القبالية. وضاهت أعمال لوريا على الزوهار ويعتبر هو وموسى الليوني، اعظم المؤثرين على الباطنية اليهودية.

رفع تحريم دراسة القبالة:

"لقد ترآى لي ان الحظر على دراسة حكمة الحقيقة فرض لفترة محددة تنتهي بعام 1490. لكن بعد ذلك، تم رفع الحظر وسمح بتدريس الزوهار على الملاء. ومنذ عام 1540، اصبت دراستها فرضا على كافة العوام، الشيوخ والصغار، وذلك لان ظهور المخلص المشيخ (المسيح اليهودي) يعتمد على معرفة العامة بها ولن يأتي من دونها."

مقدمة كتاب نور الشمس (اوهر هاشاما) للحبر ابراهام اولاي،

رفع الحبر أبرهام أزولاي (1570م - 1643م) الحظر على تعليم القبالة، والتي سماه «حكمة الحقيقة» وسمح بتدريسها للعامة. وذلك لانه اعتبر ان جيله هو الجيل الاخير قبل مجيء المخلص وعلى اليهود تهيئة انفسهم بطلب الحكمة.

السفرديم والمزراحي:

مفاهيم القبالة:

الله المستتر والظاهر:

اعتبر القباليون ان لله مظهرين: الأول هو المتعالي المستتر السرمدي والذي هو البساطة الالاهية ويسمونه «عين صوف»؛ والثاني هو الظاهر الذي يتصل بالإنسانية وهو خالق الكون ومديره. ويعتبر القباليون استحالة فهم أو استيعاب جزء «عين صوف» (بالعبرية: אין סוף، ويعني ذاك الذي لا نهاية له) لأنه خارج الإدراك الحسي والعقلي للانسان. اما المظهر الثاني فهو فيض عن الله ويأخذ اشكال يمكن للانسان ان يستوعبه وهو يتفاعل مع الإنسانية عبر الروحانيات

والمادية. وهذه الازدواجيه لا تتناقض مع وحدانية الله اذ ان الفيض هو طريقة لاظهار الاسرار المستورة الالهية.[1]

فمثلا، يفسر الزوهار أول كلمات سفر التكوين التي تقول «في البدء خلق الوهيم»[2]

(ترجمة حرفية للعبرية التي تقول «بيريشيت بارا الوهيم») بأن «عين صوف» خلق الوهيم وهو فيض من الله والدال على الخلق. وبالتفصيل، يقول الزوهار ما ترجمته حول البدء:[3]

« في البدء، نقش الملك في النقاء السماوي. فانبثقت شرارة من السواد في ختم داخل الاختام، من سر من اسرار عين صوف، ضبابة من داخل المادة، مزروعه في حلقة، ليست بيضاء، ليست سوداء، ليست حمراء، ليست صفراء، ليست من اي لون. وعندما قاس بمعيار قياسي، صنع الالوان ليصبح هناك نور. ومن داخل الشرارة، وفي اعمق داخلها، انبثق مصدرا الذي منه رسمت الالوان وختمت داخل ختم داخل اختام سر عين صوف. تغلغلت، لكنها لم تتغلغل في هوائها. لم تكن معروفة ابدا حتى اشرقت نقطة واحدة مختومة وسمائية بسبب ضغط تغلغلها. ولا يمكن ادراك اي شيء فيما وراء هذه النقطة. لهذا تسمى البدء (بالعبرية ويشيت) وهي الكلمة الاولى.»

وصفت بنية الفيوض بطرق مختلفة منها الـ«سفيروت» (Sephirot أي الفيوض، أو الصفات الربانية) والـ«بارتزوفيم» (Patzufim، أي الاوجه الربانية) والـ«أوهر» (Ohr، النور الروحاني)، وأسماء الله والتوراة السماوية والـ«أولاموت» (Olamot، عوالم الارواح)، والشجرة الالهية والانسان الرباني الأول، والشجرة الربانية، والعرش والقصور الربانية، والذكر والانثى، وطبقات الحقيقة الملتبَسة، والحيوية المقدسة الداخلة والقشور الخارجية (بالعبرية: كيليبوت)، والقنوات 613، والنفس الربانية في الإنسان.

[1] الزوهار الاول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - مقتطفات من الباطنية اليهودية ، دان كوهن شربوك ، حانة ون وورلد ، ص 120 – 121

[2] سفر التكوين:1-1

[3] زوهار الأول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - مختارات ، دان كوهن شيربوك ، حانة ون وورلد ، ص 120-121

الفيوض (السفيروت) والتأنيث الرباني:

السفيروت هي الفيوض والصفات العشرة التي لله التي يستخدمها للحفاظ والتحكم على الكون. يوضح الزوهار ونصوص التكوين الأخرى بتفصيل عملية بزوغها من خفائها ومكمنها من الاتحاد الالمتناهي مع عين صوف. قام القرطبي بمنهجتها كضؤ واحد صب في 10 اوعية مخلوقة. واستعملت مجازتين لتوضيح السفيروت: المجازة الاولي هي شجرة المعرفة التي تستعمل لشرح الفكرة من ناحية دينية. اما المجازة الثانية فهي استعمال ادم الاصلي لشرح الفكرة من ناحية انسانية. وهذا المنظور ثنائي الاتجاهات يجسد طبيعة التدفق الرباني الدوراني التي يصبح ظهور منظوري التجسيد الرباني والتجسيد الإنساني ممكنان. وباستعمال المجاز الإنساني، يمكن توضيح السفيروت لسهولة ربطها بالملكات النفسية للنفس الإنساني وبالتالي ربط الجنس الذكوري والجنس الانثوي في اية التكوين 1:27 التي تقول «فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم». فالسفيرة الاخيرة في التكوين هي سفيرة الوجود الرباني الانثوي (بالعبرية: شيخينة). وتدفق النور الرباني في التكوين يؤلف العوالم الاربعة: عالم الفيض (بالعبرية: עולם אצילות آولم اتزيلرت)، وعالم الخلق (بالعبرية עולם בריאה، اولم برياه)، وعالم التشكيل (بالعبرية: עולם יצירה، اولم يتسيراه) وعالم النشاط (أو الأعمال، بالعبرية: עולם עשיה، اولم اسيياه). والعوالم الاربعة يظهروا هيمنة السفيروت المتتابعة باتجاه الأعمال النشطة في الكون، وتجسيمهما هما التناغم المطلوب لاتمام الكون. أعمال الإنسان هي التي تجمع أو تفصل بين الصفات الانثوية أو الذكرية الربانية للسفروت. بما ان السفروت هي الاسس الروحانية للخليقة، فهي تطابق اسماء الله في اليهودية وطبيعة أي كيان.

السفروت العشرة كآلية تكوين:

بحسب الكونيات اللوريانكية، توافق كل سفروت مرحلة من مراحل الخليقة. وتداخل السفيروات في العوالم والسفيروات يجعل عدد الامكانيات لا متناهية (فهناك عشرة سفورات في كل من العوالم الاربعة،

واربع عوالم في داخل كل عالم أكبر، وفي داخل كل من العوالم سفورات عشرة وهكذا لعدد لا نهائي من التداخلات بين الوالم والسيفورات).[1] وكل هذه السفورات تشكل مستوى معين للخليقة التي تفيض من الخالق لتكوين الكون. تعتبر السفيروت هي وحي أو الهام دال على مشيئة الخالق.[2] وعليه، لا يجب اعتبارهم عشرة الهة، بل يجب النظر اليهم كعشر طرق مختلفة يعتمدها الله الواحد في اظهار ارادته عن طريق الفيض. ولهذا، ان الله لا يتغير لكن طريقة ادركه هي التي تتغير.

رسم يوضح السفروت بتسلسل تنازلي بشكل شجرة مؤلفة من ثلاث اعمدة جذورها في الاعلى وفروعها في الاسفل

أسماء السفروت بالتسلسل التنازلي:

- كتير (Keter): أي التاج السماوي وهو يمثل ارادة المافوق-وعي.

- خوشما (Chochma): اعلى امكانية فكرية.

- بيناه (Bina): ادراك الإمكانية.

- دات (Daat): عقل المعرفة.

- خسيد (Chesed): المحبة والعطف. وتسمى أيضا «كيدولا» وتعنى العظمة.

- دن (Din) : العدالة وتسمى كيفورا أي القسوة/القوة أو باشات أي الخوف).

---

[1] **لشرح قصير. الغالبية العظمى من نظام Lurianic يتعامل فقط مع التعقيدات الموجودة في عالم Atzilutكما هو موضح في مقدمات كل من Otzrot Haim و.Eitz Haim**

[2] **أغنية الروح ، يحيئيل بارليف ، ص 73**

- تفيريت (Tif'ert) أو رخميم معناهما الرحمة.

- نيتزاخ (Necah): النصر والابدية.

- هود (Hod): المجد والعظمة.

- يسود (Jesod): الاساس.

- ملخوث (Malchut): الملكوت أو المملكة الربانية.

مع ان هناك إحدى عشر اسما، الا ان القباليون يعتبروا «كتير» و«دات» هما حالتين لسفورة واحد اذ ان الأول هو حالة الوعي والثانية هي حالة اللاوعي. وهليه يك، ن العدد الكلي للسفورات هو 10.

السفيرات العشرة كعملية اخلاقية.

- اشتهرت القبالة بين العامة في القرنين السادس عشر والسابع عشر بسبب ادب الاخلاقيات المتعلق يممارسات التأمل القبالية.

ان الخلق الإلهي عن طريق السفيروت العشرة هي عملية اخلاقية. وكل سفيروت يمثل ناحية مختلفة للفضيلة. فنجد في الخسيد فكرة الحب والعطف. والدن هي تفسير وتبرير للعدالة. وتقوم الرخميم بالتوسط بين الاثنين. وتصبح ركائز الفضيلة هذه من الموبقات في حدودها القصوى. فمثلا، عند وصول الحب-العطف إلى المرحلة القصوى يؤدي لشبق جنسي فاسد يؤدي إلى فقدان العدالة عند الفاسقين. وكذلك، عند وصول العدالة إلى اقصاها قد تؤدي للتعذيب وقتل الابرياء والقصاص الغير عادل.

ترتفع اخلاقيات الصالحين (بالعبرية: تزاديكيم) بممارستهم للأعمال الصالحة. وإذا فُقد الصالحين، تختفي بركات الله وتنتهي عندها الخليقة. فأعمالنا هي اساس (بالعبرية: يسود) هذا الكون (بالعبرية: ملكوت)، ولهذا، يجب ان يصاحب الإنسان أعماله بدوافع واعية من الرحمة. وغالبا ما تكون أعمال الرحمة مستحيلة من دون الايمان (بالعبرية: ايمانوه) بان الله يسند الرحمة حتى عندما يبدوا انه غائب. ويجب على

الإنسان ان يمارس الرحمة على ذاته ليستطيع ممارسة الرحمة على الاخرين. وهذه الانانية في الاستمتاع ببركات الله من اجل مساعدة الاخرين هي جانب مهم في «التقييد» فيما يماثل الوسطية الذهبية في القبالة وهي تماثل سيفرة التيفيريت في الركيزة الوسطى من شجرة الحياة.

وكتب القرطبي كتاب حول الاخلاقيات اليهودية وعلاقتها بسيفورات القبالة العشر في كتاب سماه «تومير ديفوره» (أي بلحة ديفورا).[1]

عوالم روحية تنازلية:

اعتقد قباليوا العصور الوسطى بأن الكائنات كلها، الحية والجامدة، تتصل بالله عبرهذه الطيوف أو السيفيروت. وهكذا، فكل مستويات الخليقة تتدرج في سلسلة كينونية تنازلية (chain of being) بحيث ان أي كائن مخلوق ادنى هو انعكاس لخاصية محددة للرب السماوي. توسع الحاسيديون في مفهوم المحايثة الالهية (أي وجودية الله في الكون) بإن الله هو كل ما هو موجود وكل شيء آخر لا يمكن فصله عن الله. ويمكن اعتبار هذا الموقف نوع من الوحدانية الكلية (بالانكليزية: monistic panentheism) بمعنى ان الكون موجود في الله، لكن وجود الله يتجاوز الموجود. وهناك شرح وافي لهذه المعضلة في نصوص الشبات.[2]

اصل الشر:

تعويذة من القرن الخامس عشر.[3]

بالنسبة للقباليين اليهود، الشر هي من صفات الله لانهم يعتبروا ان كل شيء موجود، حتي السلبية، داخلة في جوهر «المطلق»، أي عين سوف أو الله. وان المطلق بحاجة للشر «ليكون ما هو»، أي لينوجد.[1]

---

[1] **جيه إتش لينين ، الباطنية اليهودية ، ص 164**

[2] **واينبرغ ، الفصل الثاني. 20-21**

[3] **-مستوى المبتدئين الكابالا: ما هو الكابالا العملي؟**

اعتبر قباليوا العصور الوسطى ان الشر، واسمه «سيترا اشرا» (الجهة الأخرى)، هو الموازي الابليسي للمقدس والكيبوت (القشرة) (بالعبرية: כִּיפּוֹת) التي تغطي وتخفي المقدس. فالشر يتغذى من القدوس، وبنفس الوقت يحميه بتحديد اظهاره. سمى شوليم من اعتقدوا مباديء ثنائية القدرات الالهية بالغنوصيين اليهود.

ومن منظور راديكالي، اعتبر ان اساس الشر ينوجد عند فقدان الملائمة في سيفورة الدن (كيفورة) أي قدرة القوة والقرار وهي ضرورية لوجود الكون وحي لكونها المناكفة لسفورة الخسيد (الحب والعطف)، وبالتالي فانها تحدد العطاء اللامتناهي الذي يولد الخليقة. من ناحية أخرى، إذا ارتكب الإنسان معصية (أي استعمال حكم غير عادل في النفس) تقوم الحكمة السماوية بالتفوق على العطف وبالتالي تخلق عدم توازن بين كل السيفورات الالهية وتخرجه من الله وخليقته. ويبدوا العالم الشيطاني، الذي هو في الاساس وهم في الاصل المقدس، كمن شوائب الخلق الاسفل.

دور الإنسان:

للانسان، في القبالة، دورا رئيسي محوري اذ اتها تعتبر ان نفسه وجسده تُوافقا التعبير الإلهي السماوي. عمم هذا المبداء في القبالة المسيحية بتناغم الخليقة بداخل الإنسان.[2]

- وفي القبالة اليهودية أصبح للمبداء معنى روحاني يهودي عميق. اعطى التعريف القبالي للانسان بعدا جديا ابداعي مقارنة بالمفهوم التقليدي مع انه اعاد تأكيد الممارسات التقليدية.

فصلت قبالة العصور الوسطى تعليل كل وصية من وصايا الله (بالعبرية: ميتزفا) وربطتها بدورها في خلق تجانس في عملية الدفق الإلهي السماوي وكيف ان الاتحاد بين القدرات الذكرية والانثوية. فالوجود الانثوي للربانية السماوية مسلول من الخروج إلى الواح القوس

---

[1] بييرو كانتوني ، "علم الشياطين والتطبيق العملي لطرد الأرواح الشريرة وصلوات التحرير" ، في فيدس كاثوليكا 1 (2006.] 3]

[2] جوزيف دان ، الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، اكسفورد ، فصل حول "القبالة المسيحية

الاعلى. والوصاية الـ613 التوراتية هي مبطنة في أعضاء ونفس كل انسان.

طبقات النفس:

تطرح القبالة فكرة تقسيم النفس إلى ثلاث طبقات:

- النفيش (بالعبرية נפש أي وهي النفس الحيوانية) وهي النفس الدنيا ولها علاقة بالغريزة والشهوات الجسدية.

- راوخ (רוח، الروح) وهي النفس الوسطى التي تمتلك الفضائل الاخلاقية والقدرة على التمييز بين الخير والشر

- النشامة (נשמה، النسمة) وهي النفس العليا وهي ميزة انسانية لا توجد في أي من المخلوقات ولها علاقة بالعقل والإدراك والتي تستفيد من الحياة بعد الموت. وهي ما تساعد الإنسان على ادراك بعض وجود الله.

النفيش موجودة في الإنسان وتأتي مع ولادته وهي مصدر خصائصه الجسدية والنفسية. اما الطبقتين الاخرتين فلا تأتي عند الولادة بل تنمو وتطور بحسب عادات ومعتقدات الشخص وهما يظهران بشكلهما الكاملين عند المتنورين روحيا.

اما الزوهار، فيضيف مستويين اخرين للنفس هما:

- خياه (חיה، الحياه) وهي الجزء من النفس التي تسمح للانسان ادراك الله.

- يهيدا (יחידה، الوحدة) وهي اعلى مسطحات النفس والتي يمكنها الاتحاد مع الله.

وهذان المستويان لا يدخلان الجسد مثل الثلاثة الباقية ولهذا لم يعرهما الزوهار الكثير من العناية.

يضيف القباليون والحاخاميون حالات أخرى غير دائمة للروح ولا دور لها بعد الممات. وهذه المستويات هي:

- راوه هاكوديش (بالعبرية: רוח הקודש، روح القدس) الحالة النفسية التي تفتح باب التنبؤ. ومع انتهاء عصر النبوءات، لم يعد أحد من خارج اليهودية يتلقى التنبؤ.

- ناشامة يسيرا (النفس المعززة) وهو ما يدركه اليهود في يوم الشبات (يوم الراحة، أي السبت). ولا يمكن ادراكها الا لمن يمارس طقوس السبت.

- نيشاما كودوشا (النسمة المقدسة) وهي تحل في في الإنسان عند سن البلوغ (13 سنة عند الصبيان و12 سنة عند الفتيات) وهي مرتبطة بدراسة وصايا التوراة وممارستها.

التناسخ:

دخلت فكرة التناسخ، أي هجرة النفس بعد الممات، إلى اليهودية في فترة العصور الوسطى، كفكرة تداولها النخبة.وسميت بدورة النفس (بالعبرية: غيلغول نشيمات). لا تظهر هذه الفكرة بوضوح في التوراة ولا في الادبيات الحاخامية اليهودية كما رفضها العديد من الفلاسفة اليهود. الا ان القباليون ردوا العديد من آيات التوراة إلى التناسخ. واصبحت الفكرة محورية مع اسحق لوريا عندما جعلها محورية وموازية انسانية لعملية التصحيح الكونية. واصبح التناسخ ثقافة شعبية يهودية من خلال القبالة اللورية وادبيات الحسيديم.

- الباطنية اللغوية عند اليهود:

ايمان القباليون والمدراشيون بأن الله اعتمد العبرانية كلغة لخلق الكون جعلهم يوسعون دراسة التوراة إلى لغة باطنية بحيث أصبح لكل حرف وكلمة ورقم وحتى لهجة الكلمات معاني باطنية تشرح الابعاد الروحانية الموجودة في الافكار الباطنية. وبالتالي، اسست لمنهاج تأويلي لتفسير الايات. وبما ان العبرية لا تعتمد الاعداد في لغتها، استعملو الاحرف

للدلالة على الارقام (حساب الجمل) وبالتالي استعملوا علوم الترقيم والجاميترا لإيجاد معاني باطنية لكلمات التوراة.

- النصوص الاساسية للقبالا:

بدأت القبالة، مثل كل التراث الادبي الحاخامي، كادب شفي يحفظه ويتناقله الخاصون. ومع مرور الزمن، دونت هذه الشفهيات في نصوص مكتوبة. في البداية، اعتبرت التفسيات الباطنية غير مفيدة بحسب ما اشار اليه الحبر بن سيرا (عاش حوالي عام 170 ق.م).[1] بالرغم من هذا، درست الباطنية بشكل كبير ووا ادت لكتابة ادب باطني كان باكورته ادب الوحي (apocalyptic literature) في القرنين الاخيرين من عصر قبل الميلادي. ومع مرور الزمن، نشر العديد من الكتب حول الباطنية والقبالة من اشهرها: الباهير (الباهر)، سيفير رازيل هاملخ (كتاب رازئيل الملك)، والزوهار وهو الكتاب الاساسي في تفاسير القبالة.

- نقد القبالة:

يعتبر المسلمون ان القبالة هو نوع من الشرك والالحاد وهي طقوس وحشية وتعاليم جهنمية شيطانية.[2] وهي بوابة للعالم السفلي واداة للسحر المحرم في الإسلام والطريق إلى الشيطان ولها علاقة بالماسونية[3] وتعتمد على الاساطير والجهالة القديمة. وهي تحريف للتوراة. كما انها دين ابليس الذي يستعمله لتضليل الناس.[4]

هناك العديد من الباحثين يرون في القبالة دعوة لدين ثنائي مع ان اليهود يدعون للتوحيد اذ انها تقول بوجود قوة لالهية متضادة مع الله.

---

[1] سيراش الثالث. 22 ؛ قارن التلمود والحجيقة 13 أ ؛ مدراش سفر التكوين رباح ، ثامنا.

[2] الحسيني ، معدي. القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم - خفايا كتاب اليهود المقدس اليهودي - وثيقة الرعب والارهاب اليهودي. نشر دار الكتاب العربي ، دمشق. 2007.

[3] الكابالا - السحر - وعام 2011. موقع الماسونية

[4] جمال عمر. الكابالا .. ومؤامرات إبليس (3). بوابة روز اليوسف.

وعندما قام الباحثون والمؤرخون بالتنقيب عن اصل «كابالا» فوجئوا بان هذه التعاليم تستند إلى فلسفة وثنية كانت موجودة قبل التوراة ثم تسللت إلى الدين اليهودي.

وإلى هذا يشير الماسوني التركي "مراد اوزكن آيفر في كتابه "ما الماسونية؟" فيقول "لا أحد يدري على التحقيق كيف ومتى ولدت «كابالا» ولكن المعلوم انها مرتبطة بالدين اليهودي ويحمل صيغة ميتافيزيقية وتعاليم باطنية. ومع انه يذكر وكأنه باطنية يهودية، إلا أن معظم تعاليمه قديمة وكانت موجودة قبل ظهور التوراة".

اما المؤرخ اليهودي ثيودور رينخ فيصف كابالا بانه السم السري الذي دخل إلى عروق الدين اليهودي.

اما المؤرخ اليهودي الآخر شلمون رينخ فيصف كابالا بانه اسوأ انحراف للعقل الإنساني.[1]

- الصوفيـة اليهودية (القـبَّالاه):

(Jewish Mysticism (Kabbalah

يُعرف التراث الصوفي اليهودي باسم «القبَّالاه» التي مرت بمراحل عديدة أهمها «قبَّالاة الزوهار» وتُسمَّى أيضاً «القبَّالاه النبوية»، و«القبَّالاه اللوريانية» التي يمكن أن تُسمَّى «القبَّالاه المشيحانية».أما كلمة «الصوفية»،فلها (داخل النسق الديني اليهودي) دلالات خاصة،فهذا النسق يتَّسم بوجود طبقة جيولوجية ذات طابع حلولي قوي تراكمت داخله،ابتداءً من العهد القديم، مروراً بالشريعة الشفوية،وقد انعكست هذه الحلولية من خلال شيوع أفكار، مثل:الشعب المختار، وأمة الروح، والأرض المقدَّسة.

وتراث القبَّالاه الصوفي تراث ضخم وضع أسس التفسيرات الصوفية الحلولية في الزوهار والباهير وغيرهما من الكتب، وحل محل التوراة والتلمود. ومن الملاحَظ أيضاً انتشار الحركات المشيحانية الصوفية

---

[1] الكابالا:شيليمون رينخ

الحلولية بين الجماعات اليهودية في العالم عبر التاريخ. فكان التفكير الفلسفي بين اليهود نادراً، ولم يظهر إلا تحت تأثير الحضارات الأخرى، كما أنه كان ينحو منحى حلولياً في أغلب الأحيان. ففيلون السكندري، مثلاً، كان واقعاً تحت تأثير الحضارة الهيلينية، ولم يكن يعرف العبرية مطلقاً، ومع هذا فإن ثمة نزعة حلولية قوية في فلسفته، ولم يترك فكره الفلسفي أي أثر في تطور اليهودية اللاحق. وكذلك موسى بن ميمون، بطل كل المفكرين العقلانيين اليهود، فقد كان متأثراً تأثراً عميقاً بحضارته العربية الإسلامية. أما في العصر الحديث، مع ظهور فكر فلسفي يهودي حديث، فإننا نجد إسبينوزا بفلسفته الحلولية على رأس المفكرين. كما أن أهم مفكر ديني يهودي، مارتن بوبر، كان مهتماً بالتصوف أشد الاهتمام، بل نجده أحد عُمُد التصوف في تاريخ الفكر الحديث في الغرب. والواقع أن الفكر الديني اليهودي الحديث ينحو، في جوهره، هذا المنحى الصوفي الحلولي، والصهيونية هي النقطة التي تظهر عندها الحلولية بدون إله.

ويمكن التمييز بين نمطين من التصوف: واحد يدور في نطاق إطار توحيدي، ويَصدُر عن الإيمان بإله يتجاوز الإنسان والطبيعة والتاريخ، ومن ثم يؤمن بالثنائيات الدينية الفضفاضة (سماء/أرض ـ إنسان/طبيعة ـ إله/إنسان). وتتبدَّى هذه الرؤية في تدريبات صوفية يقوم بها المتصوف ليكبح جماح جسده تعبيراً عن حبه للإله وعن محاولته التقرب منه وهو يعرف مسبقاً استحالة الوصول والتوحد مع الإله، فالحلول الإلهي يتنافى مع الرؤية التوحيدية، ووحدة الوجود قمة الكفر. والمتصوف الذي يدور في إطار توحيدي يعبِّر عن حبه الإلهي عن طريق فعل في التاريخ والدنيا يلتزم فيه بقيم الخير ويُعلي به من شأن القيم المطلقة المُرسَلة للإنسان من الإله ويصلح به حال الدنيا.

ـ أما النمط الثاني من التصوف فيدور في إطار حلولي يصدر عن الإيمان بالواحدية الكونية حيث يحل الإله في الطبيعة والإنسان والتاريخ ويتوحد معها ويصبح لا وجود له خارجها، فيُختزَل الواقع بأسره إلى مستوى واحد يخضع لقانون واحد. ومن ثم، يستطيع من يعرف هذا القانون

(الغنوصي) أن يتحكم في العالم بأسره. وهذا هو هدف المتصوف في هذا الإطار. فبدلاً من التدريبات الصوفية التي يكبح بها الإنسان جسده ويطوع لها ذاته، يأخذ التصوف شكل التفسيرات الباطنية وصنع التمائم والتعاويذ والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير في الإرادة الإلهية، ومن ثم التحكم الإمبريالي في الكون. وحتى لو أخذ هذا التصوف شكل الزهد، فالهدف من الزهد ليس تطويع الذات وإنما الوصول إلى الإله والالتصاق به والتوحد معه والفناء فيه ليصبح المتصوف عارفاً بالأسرار الإلهية، ومن ثم يصبح هو نفسه إلهاً أو شبيهاً بالإله.
والمتصوف في إطار حلولي لا يكترث إلا بذاته، ولذا فهو لا يتحرك في الزمان والمكان الإنسانيين ولا يأتي بأفعال في التاريخ ولا يهتم بإصلاح الدنيا بل يضع نفسه فوق الخير والشر وفوق كل القيم المعرفية والأخلاقية. فالتجربة الصوفية التوحيدية تطويع للذات وطاعة للخالق وإصلاح للدنيا، أما الثانية فهي تحقيق للذات وتطويع للخالق وبحث عن التحكم في الدنيا. ورغم استخدام لفظ واحد («تصوف») للإشارة إلى التجربتين، إلا أنهما مختلفتان تمام الاختلاف. والتصوف الحلولي، وخصوصاً في أشكاله المتطرفة، هو شكل من أشكال العلمنة. فإذا كان الإله أو الخالق هو مخلوقاته، فإن مخلوقاته هي هو. وإذا حل الإله في المادة، فإن الطبيعة تصبح هي الإله (كما يؤكد إسبينوزا)، كما أن صاحب العرفان يصبح قادراً على التحكم في الإله والطبيعة والكون.
ويمكننا هنا أن نرى ملامح سوبرمان نيتشه، الذي لا يؤمن إلا بإرادة القوة ويتجاوز أخلاق الضعفاء.

ويمكننا القول بأن التصوف اليهودي (على وجه العموم) من النمط الحلولي وأنه ذو اتجاه غنوصي قوي. فالمتصوف اليهودي لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية وخدمة الإله، وإنما يحاول الوصول إلى فَهْم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان) بهدف التأثير في الإله والتحكم الإمبريالي في الواقع. ومن هنا، كان ارتباط التصوف اليهودي أو القبَّالاه بالسحر، ومن هنا أيضاً كانت علاقة السحر بالعلم والغنوصية. وقد وصف العالم جيرشوم شوليم الصوفية اليهودية بأنها «ثيو صوفية»، أي أنها معرفة الإله من خلال

التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص) أو العرفان. ومن ثم، فهي تبتعد عن التمرينات الصوفية وعمليات الزهد ومحاولة الذوبان أو إفناء الذات الإنسانية في الذات الإلهية. ولكن هذا الوصف ليست له مقدرة تفسيرية عالية، فالتصوف اليهودي الحلولي يتجه نحو الاتحاد مع الإله والالتصاق به (ديفيقوت)، وهو اتحاد يؤدي إلى وحدة الوجود (ووحدة الوجود يُفترض أنها تؤدي إلى الكشف الصوفي لطبيعة الإله وإمكانية التواصل معه ثم التحكم فيه!). ولعل سمة التصوف اليهودي الأساسية أنه يدور في معظمه في إطار حلولي، الأمر الذي يجعله يختلف عن التصوف الذي يدور في إطار توحيدي. ولذا، فنحن نؤثر أن نشير إلى التصوف اليهودي بكلمة «قبَّالاه»، فهي أكثر دقة وتفسيرية.[1]

- **يعتبر التصوف اليهودي، قبل أن يكون موقفا فكريا، منتوجا تاريخيا عكَس، إلى هذا الحد أو ذاك، حالة نفسية عامة، استدعاها بالضرورة، خلال القرن الثاني الهجري، ذلك التلاقح الحضاري الذي تنوعت مكوناته الثقافية ومهد له الازدهار المادي في العصر العباسي؛ واستنادا إلى كتابات سَعْدِيا گـاوُون فإن النّزَعات الأولى للتصوف اليهودي ربما واكبت انطلاقة حركة التصوف الإسلامي؛ لأن التصوف عامة، وهو ما يبدو، لم يخرج، في جوانبه التنظيمية، عن الإطار الزمني لهذا القرن.**

إن ما يهمنا الآن، ليس التأصيل للتصوف اليهودي المغربي وكيفية بدايته بقدر ما يهمنا طريقة تعبيره عن التطور التاريخي، الذي عرفته الطائفة اليهودية المغربية ضمن مجتمع الغرب الإسلامي، وكذلك مساهمة بعض الأحداث بعينها في إعطاء تأويلات قَبّالية لبعض الممارسات الدينية والثقافية التي ميزت المجتمع اليهودي في المغرب الإسلامي[2].

---

[1] محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ..

[2] محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ

ولما كان المتصوفة من اليهود المغاربة، كغيرهم من يهود المشرق الإسلامي، لا يملكون من الأدوات التعبيرية إلا ما أنتجه الأدب الصوفي الإسلامي، وهو بالفعل ما اقتبسوه من إخوانهم المسلمين، فإن الضرورة تدعو، وإن باختصار، إلى الإشارة إلى هذه الأدوات من جهة وتبيان حدود مساهمتهم في هذه الممارسة الروحية، وبعض ما تركوه من كتابات كإرث فكري من جهة أخرى.

اقتضت العوامل الطبيعية والاقتصادية، في الغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب خاصة، وجود بنيات اجتماعية وسياسية وفكرية متطابقة، وهو ما أسميناه في دراسات سابقة[1]، بسبب كل هذه العوامل المتميزة بالقلة وعدم الانتظام، بنمط إنتاج الندرة؛ وقد طبع هذا النمط كل مناحي الحياة في بلاد المغرب بطابعه، وانعكس بشكل واضح في كتابات المتصوفة والقبّالين، وهذا ما سنقف على بعض الجوانب فيها.

يعتقد بعض الدارسين أن "الوعي الصوفي اليهودي والتقليد القبالي يَمْتَحان من مصادر اليهودية الأكثر عمقا، ويتعلق الأمر بالتوراة وما وضع حولها من حواش، والتلمود وتفسيره والهَالاَخا والثيولوجيا والمُوسَار والمِدْراش والهاگدا"[2].

إلا أننا نرى أن مساهمة هذه العناصر جميعا لم يكن إلا عاملا واحدا ضمن عوامل ثقافية أخرى[3] وَجدت، في تربة الإسلام الخصبة والمتميزة، كل الأسباب لإبراز خصوصيتها، لكنها ظلت، كما ظل التصوف اليهودي، رافدا من روافد الثقافة الإسلامية وإحدى صورها، لذلك لم يبتعد تعريف الباحثين اليهود للتصوف اليهودي عن تعريف المسلمين للتصوف الإسلامي. بل إن التصوف اليهودي، كما سنرى الآن، أطر الجهاز المفاهيمي الصوفي الإسلامي داخل مجاله، لأن

---

[1] محمد الغرايب ، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ، 2002

[2] حاييم الزعفراني. Kabbale vie mystique et magie. Maisonneuve et Larose ، باريس 1986 ، ص.

[3] ـ تعود أصول التصوف ، عند بعض الدارسين ، تارة إلى العرش إلى العرش وتارة إلى الزهد ، تارة إلى الزهد ، السياحة إلى الزهد ، الجذر إلى الاحتراس والقناعة التي اتسم بها علماء التلمود. ظهور الإسلام.

اليهودية كانت قد تهيأت، بفضل متانة البنية التحتية لمجتمع الندرة الإسلامي، لتستقبل كل المؤثرات القوية من داخل هذا المجتمع، ولاسيما التصوف الذي اعتُبر، من قبل البعض، "أهم مساهمة إسلامية في الثقافة عامة[1]" .

إن التصوف في التعريف اليهودي، كما في التعريف الإسلامي، هو في التحليل الأخير سعي إلى الارتقاء بالنفس والاقتراب بها من ملكوت السماوات، والدخول في رحاب الألوهية، أو ما أطلق عليه في العبرية دِيبِيقُوت، وهو مصطلح "يتماشى وفكرة تجديد الوحدة الإلهية التي تضررت من الخطيئة الأولى وتحقيق التناغم الكوني الذي هو ذاته مرتبط بشفاعة المسيح."[2]
والمتصوف هو من دفعته حاله إلى نوع من الوجد يزهد به في الدنيا وفي النفس، ويجعل وجوده مقتصرا على تطهير روحه بواجب العبادة والتقشف والتعفف والزهد، ومجموع عناصر هذه الحالة هي أولى درجات الارتقاء في سلم التصوف اليهودي، وهو نفسه أول عتبة أمام المتصوف المسلم للدخول إلى عالم الزهد، وتشترط هذه العتبة أمورا ثلاثة يُكرِه الإنسان نفسه عليها، وهي:
- المعرفة،
- والمحاسبة،
- والمحبة.

لكن عنصر المعرفة الصالحة يتجلى جوهره، حسب المتصوف، في الإكثار من ذكر الله وترديد اسمه.[3]

ولما كانت اليهودية مكونا من مكونات الثقافة الإسلامية، فإن المتصوفة من اليهود اقتبسوا المصطلح الصوفي الإسلامي.[4]

---

[1] - ج. شولم ؛ قبالي. éd. القدس ، 1974 ، ص. 35

[2] حسن الزعفراني ؛ مرجع سابق سي تي ، ص. 18.

[3] ج. س. أناواتي و ل. جارديت ؛ سحر مسلمان. باريس 1976 ، ص 187 – 205

[4] - رغم أن اللغة العبرية تمتلك كثيرا من المصطلحات الصوفية التي تحمل المعنى نفسه في اللغة العربية، إلا أن العلماء من اليهود فضلوا استعمال المصطلح العربي، من ذلك مثلا: مصطلح الظاهر

واستعملوه بشكل واسع، وإن كنا نعتقد أن العدد سبعة[1]، الوارد ذكره في التوراة والقرآن الكريم، والذي يعني في ما يعنيه دوما الأوج أو النهاية، قد تم وفْقَه ترتيب المستوى الثاني من سلم التصوف، ويتكون هذا المستوى من فروض ومراق تنتهي باليقين، ويمكن تقسيمها صوفيا إلى قسمين، وهما: المقامات والأحوال.

والمقامات، كما بيننا، مراتب سبع، وهي على التوالي: 1- التوبة، 2- الورع، 3- الزهد، 4- الفقر، 5- الصبر، 6- التوكل، 7- الرضى.

أما الأحوال، والتي تقتضي مرور الزاهد إلى مرحلة التصوف، فثمانية[2]، تأتي مباشرة بعد استكمال المقامات بشكل يكون قد طهر

والباطن. فقد استعمل الفلاسفة هذين المصطلحين نفسيهما بدل حيصوني (الخارج) وبينيمي (الداخل) العبريين كما استعملها القباليون بدل: نيــگـلا (الظاهر) ونيستار (الباطن)، والتوراة نفسها تقوم على ثنائية متناقضة: ظاهر وباطن، وخفي سري وواضح جلي (عوراينا ستيم وثجاليا)"

[1] - يبين القباليون اليهود أن الله عندما خلق الكون، خلقه من سبع سماوات وسبع أراض وسبعة أيام وسبعة أنهار وسبعة أسابيع وسبع سنين وسبع مرات سبعة أعوام وسبعة آلاف سنة كعمر للوجود، واتخذ الله لعرشه السماء السابعة مكانا، وجعل في كل سماء من السماوات العلا نجوما وكواكب وملائكة يأتمرون بأمر الله. وفي هذه السماوات جميعا حَفَظَة (ملائكة) تتراكب متحملة نيره تعالى، منهم خداما لا يشبه بعضهم بعضا، فمنهم من خصه بستة أجنحة ومنهم من خصه بأربعة، ومنهم من جعل له أربعة وجوه، ومنهم من وهبه وجهين ومنهم من خصه بوجه واحد. ومنهم المخلوق من نار، ومنهم المخلوق من ماء، ومنهم من هو نفخة من نفس مصداقا لما جاء في التوراة: "يخلق رسله نفسا وخدامه نارا حارقة". تحيط كل هذه السماوات ببعضها وتلتحم كما تلتحم قشور البصل ببعضها، ولا تفتر كل سماء من رعدتها خشية من الله، فبأمره مجراها ومرساها، وبقوّته وحوْله جرى حكمه على العالمين. ويمكن الرجوع إلى "سفر يصيرا" للتوسع أكثر في علاقات الحروف الأبجدية بخلق السماوات وغيرها.

[2] - للرقم ثمانية تأويل صوفي وقبالي في الثقافة اليهودية، في اليوم الثامن يفترض وجوبا ختان كل طفل ذكر ولد قبل أسبوع، وكل طفل تجاوز يومه الثامن بعد الولادة ولم يُختن حُرِم من الوقوف في الحضرة الإلهية. وقد جاء في التكوين: "في اليوم الثامن يختن كل ذكر منكم في كل الأجيال." وفي بيراخوت ذكر الربي شمعون: "إن كل رجل يرزق بذكر، أي بابن، ينضم إلى الشِّخِينة، وهي بداية كل الأبواب العلوية، البوابة المرتبطة بالاسم المقدس. ويبقى الدم الذي يسيل من جرح الطفل المختون حاضرا إلى جواره سبحانه، وعندما يُدعى العالم للحساب والعقاب بنظر الله إلى هذا الدم فيصفح عن العالم. وإذا حدث، لأسباب قاهرة، عدم ختان الطفل في يومه الثامن، فعدة من ثمانين حولا"، فالمختون في ثمانية أيام كالمختون في الثمانين من العمر، فكلاهما سواسية في نظر العادل، ففضل هذا الدم عظيم على الناس فهذا الدم عهد بين الله وخلقه، ومن قدر هذا العهد حق قدره استحق من الله الدنيا والآخرة.

النفس، وهي كما يلي تباعا: 1- القرب، 2- المحبة، 3- المخافة، 4- الرجاء، 5- الشوق، 6- الأنس، 7- المشاهدة، 8- اليقين[1].
وعندما تكتمل هذه الأحوال يكون المتصوف، أي الإنسان الكامل، قد بلغ أقصى درجات السمو.

ولما كان التصوف الإسلامي أنموذجا يُحتذى في أوساط القباليين من الطائفة اليهودية فإن نقط التشابه لا تعدم في الأدبين لدى المجموعتين، أو لنقل إن خطوط التبعية في الأدب الصوفي اليهودي للتصوف الإسلامي تبدو واضحة في طقوس العبادة اليومية، إلا أننا سنقتصر، في ضرب المثل لذلك، على قيام الليل عند اليهود واللجوء إلى الخلوة تجنبا للقاء الخلق.

يزخر الزهّار والأدب الرباني للفترة التلمودية وما بعدها بالحديث عن مواكبة الذكر والتفكر والتعبد في الخلوة. وقد ورد في أحد نصوص التلمود أن "أتقياء الأزمنة القديمة للمَشْنا كانت عادتهم انتظار ساعة من الزمن قبل الشروع في الصلاة حتى تنْصبّ أذهانهم على أبيهم الذي في السماوات، وإذا ما انغمسوا في الصلاة وجاء مِلك مُحَيِّيا إياهم ما ردوا تحيّته حتى لا ينقطع حبل صلاتهم أو إذا ما حدث وجاءت أفعى والْتَوت على عرقوبهم ما انتبهوا إليها."[2]

ويبدو أن حالات التصوف، في الوسط اليهودي، غالبا ما ظهرت في أوقات معينة، ربما تميزت بالشدة، أو في أماكن لا تختلف في شدتها عن هذه الأوقات إلا قليلا، وهو ما سنحاول التطرق إليه إجمالا دون تدقيق، ونعتقد، كما أشرنا إلى ذلك، أن التصوف عموما لم يكن ممارسة

---

[1] يحتل اليقين المرتبة الثامنة في سلم التصوف، ورقم ثمانية في الديانة اليهودية يعني عدة أشياء ذات علاقة حميمية في عمق ثقافة اليهود، فالأيام الثمانية مرجع للسِّفِرَاه الثامنة بداية من مِلْخُوت وانتهاء بكِتِر وهي التي يطلق عليها بناه، ويلطف الختان من شدة ووقع الميناَه

[2] - نجد هذا الأمر بداية عند الغزالي في كتابه ميزان العمل (طبعة القاهرة 1923)، وقد عمد هنري لاووست إلى الإشارة إليها ثانية في تحليله لمذاهب المتصوفة في كتابه:

La Politique d'Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970, pp. 72-73.

روحانية فوق التاريخ ولكنها كانت وستظل منتوجا تاريخيا وتعبيرا روحيا عن حاجة اجتماعية أو حتى سياسية، وهو ما جعل التصوف بدوره ينقسم، رغم غموض بعض التعبيرات لدى المتصوفة، إلى روحانية إيجابية وأخرى غير إيجابية، وهو ما سنراه في ما يلي من الفقرات.

لا يجب الاعتقاد بحياد المتصوفة وانصرافهم عن هموم الحياة الدنيا وانقطاعهم إلى العبادة لأن كل هذه الأمور نسبية في حياة الناس وهو ما لم يجعل المتصوفة عموما في مأمن من عنف الحكام، كما لم يجعل الحكام في مأمن من تحريض المتصوفة ضدهم، كما أن المتصوفة من مختلف الملل، بما فيها الإسلام، لم يحطموا بينهم الحواجز الدينية ليكوّنوا طبقة اجتماعية ذات أهداف واحدة، بل اتخذوا، أحيانا، من الآليات الدينية، وسيلة لتمتين التنافر ضمن الحضارة والمجتمع الواحد، ومحاربة كل ما يقرّب لاحقا بين مكوناته الدينية، وإن توسلوا بالسبل وبالإشارات نفسها، لأن تأويلهم للأسس الكبرى لكل ديانة يتم بشكل عقائدي، وقد يبدو الأمر جليا مع هذين المثالين التاليين ويتعلق الأمر بقراءة في الزهّار للعلاقة المتوترة بين المسلمين والمسيحيين، وما يسميه اليهود بالختان غير التام عند المسلمين.

وقد أورد الزعفراني باختصار هذين المثالين كما يلي: قال ابراهيم لربه: "رَبّ ابْقِ لي اسماعيل حيا"، فتنهد ربي حيا وبكى، وقال: "كانت ساراي عاقرا ولم يكن لها ولد". وتحسّر مرتين ونادى بالويل ولعن الساعة التي وضعت فيها هاجر إسماعيل، فسأله ربِّي يُوسِي: "لِمَ كل هذا؟ ألم تحبل ساره بعدها؟ ألم يكن لها ولد مقدَّس ميلاده وجنسه؟" فأجاب ربي حيا: "لك نظرتك ولي أخرى. إن هذا ما سمعته من ربي شمعون، وبسببه أبكي. دعوت بالويل على الساعة تلك، لأنه مر على ساراي حين من الدهر لم يكن لها فيه حمل ولا ولد، فقالت لابراهيم: دونك وخادمتي..." ناسبت تلك الساعة هاجر، وبفضلها ورثت (مزية) سارة، مولاتها.

رُزقت هاجر من إبراهيم طفلا فتوجه إلى ربه متوسلا: "ربّ ابق لي إسماعيل حيا." ورغم تبشيره سبحانه إبراهيم بمولد إسحاق، تعلق إبراهيم بإسماعيل فاستجاب الله لدعائه، وألقى إليه بالكلمات التالية: "أما إسماعيل ففيه أحببتك وباركته ... وأنا جاعل منه أمة عظيمة". اخْتُتِن إسماعيل ودخل الميثاق الحرام وقبل أن يولد إسحاق. تعال وانظر! فخلال أربعمائة عام، وقف كبير الملائكة، أميرُ يوم الدين، المكلف بقدَر أبناء إسماعيل، في وجهه سبحانه مرافعا أمامه: "أكلما اختتن أحدهم كان له حق معلوم في اسمك"؟ "نعم." "وهذا إسماعيل قد تم إعذاره فلِم لم يكن له، كما لإسحاق، حق معلوم في اسمك؟" فأجاب سبحانه: "اختتن إسحاق على الطريقة المثلى وذاك [أي إسماعيل] لم يكن ختانه كذلك". إذ يسكن هؤلاء [أبناء إسرائيل] إلي في يومهم الثامن من مولدهم وأولئك [أبناء إسماعيل] يبقون بمنأى عني". فأردف كبير الملائكة: "ولما كان [أي إسماعيل] قد تم ختانه أليس لك أن تثوب عليه. يا ويلتاه! كانت ويلا ولادة إسماعيل وكان ويلا ختانه. وما الله سبحانه بفاعل؟". أُبعد أبناء إسماعيل من الميثاق الحرام، وأعطاهم بدله في الأرض المقدسة مكانا دَنِيا جزاء ما فيهم من علامة ختان، وكان وعده لهم بحكمها مادامت خلاء، كما هو خال ختانهم وغير كامل، يُحادّون بني إسرائيل في العودة إلى أرضهم ويستمر الأمر على ما هو عليه إلى أن ينتهي الوعد. وكُتب على بني إسماعيل من الحروب أكبرها وأشدها، يتحد أبناء إيدوم (من الروم والبيزنطيين وبعدهم المسيحيين) ويتوحدون ضدهم ويُعلنون الحرب عليهم مرات عديدة، إحدى هذه الحروب ستكون في البحر والثانية في البر والثالثة قريبا من أورشليم، ينتصر بعضهم على بعض، ويؤول الأمر من بعضهم لبعض، لكن الأرض المقدسة لن ينالها أبناء إيدوم. وفي هذا الوقت ستنهض أمة وستقوم لقتال روما الكُفر والضلال. ويكون قتالها ثلاثة أشهر. وستتجمع الأمم هناك وستسقط هذه الأمم بين يديها؛ ومن كل أركان الأرض سيكون أبناء إيدوم يدا واحدة عليها، وعندها سيعلنها سبحانه حربا عليهم مصداقا لما ورد في يوشع: "مذبحة دموية تكون قربانا لله في بُصرى وقتل عظيم في أرض إيدوم"، ومصداقا لما ورد في يُوب: "ستسقط أركان الأرض لترتعد فرائص أهل الشر" ويطرد الله أبناء إسماعيل، ويكسر شوكة

الأقوياء من السماء، فلا قوة سماوية تبقى وكيلة بمصير الأمم، إلا مَن خول الله لها قدَر إسرائيل ... وبصدد هذا الزمن جاء في الكتب:
"وعندها سأبدل لغة الأمم بلغة واضحة ليذكروا اسم الله ويجعلوه شِخِيما واحدا وظهْرا واحدا، وكلاّ حركة واحدة"، "وأثناءها يُوحَّد اللهُ ويُوحَّد اسمه."

إن هذا التفسير الصوفي للتوراة، كما يبدو من محتواه، غُنوصي وسياسي بدرجة أولى أكثر مما هو ديني. وعلى هدْيه سارت باقي التفسيرات الصوفية الأخرى للحالات الاجتماعية التي عانت منها الطوائف اليهودية، سواء في الأندلس أو بلاد المغرب. فإذا كان الزهّار "خطابا حيا. فهو من جهة مُوجِّه لإبداع أدبي قبّالي باطني ومتنوع، ومن جهة أخرى تعبير عن الراهنية وديمومة الحياة الصوفية"، وانعكاس ديني لصراع اجتماعي، لذلك عكَست ملحقاته، كما رأينا في المثال الآنف الذكر، ذلك الصراع بين طوائف اليهود في عهدي ألفونس العاشر (1284-1252) وسانشو الرابع (1295-1284) ودور الأغنياء منهم في زيادة مأساة عموم الطائفة بابتعادهم عن تعاليم التوراة. وقد "صُوِّرت الخصومة بين إسرائيل وإيدوم كصراع بين عالم النور ومملكة الشيطان. إن الابتعاد عن الدين وتغييره، والعمل ضد مصلحة الشعب وقبول وعد أو الأخذ بأفكار ومعتقدات العالم غير اليهودي أو بعقلانية الفلسفة والدخول في خدمة الأمراء، والأسوأ أيضا البحث عن مرافقة نساء المشركين وموادتهن كل ذلك استسلام لإغواء الشيطان".

كان للجانب الاجتماعي قوّته في فرض نوعية الكتابة عند موسى دي ليون، فقد كان هذا المتصوف اليهودي منشغلا أشد الانشغال بالأمراض الاجتماعية التي كانت تضرب بقوة الطائفة اليهودية، وكان يحاول معالجتها جاهدا: "طوبى لشعب إسرائيل لأن الله اختاره من بين الشعوب ليخصه بعلامة العهد ... وكل أولئك الذين لا يحترمون هذا الميثاق المقدس يتسببون في القطيعة ويحفرون أخدودا عميقا بين إسرائيل وأبيهم الذي في السماء، مصداقا لما جاء في التوراة: "احذروا أن تنغوي قلوبكم، فتعبدوا من دونه آلهة أخرى ... فيستعير غضب الله

عليكم". وكل من خان هذا العهد المقدس هو قرين من يعبد إلاها غريبا".

وينتقل الزهّار من هذا المستوى الفكري إلى المستوى الاجتماعي ليهاجم الثراء وأهله من اليهود، ويُشِيد بالفقر الذي يُعتبر مدحا لطريق التصوف، فالفقراء إلى الله بهم تزكو الطائفة، وتملأهم حقيقة الألوهية، وهم أقرب للأنبياء، ومنهم يستمدون ما أُوحِي إليهم: "يقوم الناس وينظرون إلى جهة سودوم". وفي الزهّار يقول ربي أَلِعَازار: "لقد تعلمنا أن الله إذا ما أحب أحدهم بعث له هدية فما هي هذه الهدية يا ترى؟ هي فقير به ينال مستحقه وإذا ما نيل المستحق فإن الله يسدل عليه قبَسا من عفوه (حسيد) عفوا وطيبوبة تفيض عن يمين العرش؛ فتنتشر على رأسه وتَسِمُه بعلامة ما، فإذا جاء يوم الدين فإن ملَك الموت يكون قد أخذ علْما، فعندما يرفع رأسه ويرى هذه العلامة يبتعد مخافة وبحذر شديد.

وقد كان للفقر، في التصوف اليهودي كما في التصوف الإسلامي، مكانة خاصة، وتُعتبر منطقة درعة، بعد الأندلس، أهم المناطق التي عرفت انتشار تصوف الفقر بشكل كبير، نظرا لتأصل اليهودية بها من جهة، ولطبيعتها الصحراوية التي تتسم بالندرة وما يمكن أن يصاحب الندرة من خوف على الأنفس من جهة أخرى. لذلك اعتُبرت درعة مشتلة متصوفي اليهودية المغربية، وهو ما عجز البعض عن إعطاء تفسير له، وإن كان من الواضح أن كتابات متوصّفة درعة لا تخرج في محتواها عن واقع الفترة التي أنتجت فيها.

وخلاصة القول إن التصوف في يهودية المغرب ظل محكوما بالأسس الفكرية، المكونة للديانة الموسوية، ومطبوعا بتطورات الثقافة المحلية، سواء في بلاد المغرب أم في بلاد الأندلس[1].

---

[1] محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ..

أورد صاحبا كتاب التصوف الإسلامي الميزة التي طبعت روحيا ترديد النّامْبُوتْسو (البوذية اليابانية) وهبوط المركابا والذكر والصلاة على المسيح وأضافا أيضا أن: "التأويلات اليهودية "لهبوط المركابا" التي ازدهرت بعد ذلك بكثير في القبّالة الكلاسيكية غدت بالضرورة في حاجة إلى مقارنة، يأتي هذا التأثير في إبانه ليعطي إطارا جذابا إلى كل ما نعتقد أنه أحد المضاعفات التقنية للذكر،وهي تقنية ترتبط بشكل وثيق بترديد اسم الله وتنظيم التنفس في شكل مصاحب لحركة الرأس."

وفي ملحق هذا الكتاب المذكور أعلاه ميز المؤلفان "تجربة موسى" بمكانة خاصة في التحليل، فرغم أن الله سبحانه توجه بالخطاب إلى أنبياء عديدين، إلا أنه جعل من موسى كليمه وخصه بهذا الفضل دون غيره، وقصة موسى كما هي واردة في "قصص الأنبياء" لابن كثير تبدو وكأنها "قصة نورانية" حقيقية حسب تعبير برنار سوهيلر في مقال له بمادة موسى بدائرة المعارف الإسلامية، وهكذا تم إبداع "نوع من القداسة" سيأمل موسى إلى تمثيله أكثر فأكثر في التقاليد الصوفية.

- الخاتمة:

الحمد لله الهادي إليه بالرسل الكرام والكتب المنزلة والمناهج المعتدلة ، وصدق جل جلاله إذ قال:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[1]

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وجميع الرسل والأنبياء ،وسلم تسليما.

- عالج الإسلام قضايا الإنسان معالجة متوازنة (فكرية ونفسية واجتماعية ودينية) دونما طغيان لقيمة على قيمة، أو تراجع لقيمة أمام أخرى، ولقد جاء الإسلام كنصر ساحق للإنسان على آلامه، وكثورة نفسيه عظمى، حققت له توحده الذاتي، وشيدت أمامه أروع أمل في الخلود المطلق في النعيم.

وقد تناولنا هذه الأفكار:

- **بناء السلام**
- **ثيوصوفيا**
- **هيلينا بلافاتسكي ، و موسوعتها العقيدة السرية**
- **الأنثروبوصوفيا أو العرفان البشري .**
- **بين البوذية والثيوصوفيا.**
- **في الفلسفة والديانة البوذية**
- **النرفانا بين الأديان والمعتقدات.**
- **اليوجا**
- **شنتو أو شنتوية أو كامينوميشي**
- **التوفيق بين الأديان**
- **التصوف في أندونسيا**
- **مظاهر صوفية**

---

[1] **الحجرات : 13**

- **التصوف المسيحي**
- **التصوف اليهودي**

والله ولي التوفيق.

د\سالم عبدالعزيز سالم عوده

المصادر:

- **القرآن الكريم**

- الكتاب المقدس (العهد القديم –العهد الجديد)
- يوفال نوح هراري : شبكة المعلومات الدولية
- "ما هو بناء السلام الاستراتيجي؟". معهد كروك لدراسات السلام الدولي، جامعة نوتر دام.. 2018 ،"فهم بناء السلام باعتباره محليًا بشكل أساسي". الاستقرار: المجلة الدولية للأمن والتنمية
- جينيفر م. (2007). "هل يمكن لحفظة السلام أن يكونوا بناة سلام؟". حفظ السلام الدولي. 14
- كرافت ، كينيث (1992). السلام الداخلي ، السلام العالمي: مقالات عن البوذية واللاعنف. 1992. ص.2

- روبرت ماكديرموت ، The Essential Steiner، ، الصفحات 11-3

- جيفري أهيرن ، صن في منتصف الليل: حركة رودولف شتاينر والغنوص في ويست ، الطبعة الثانية ، 2009 ،
- جيمس كلارك وشركاه

New York: Tarcher ،Rudolf Steiner ،Lachman

- آهيرن ، جيفري. (1984): الشمس عند منتصف الليل:
- حركة رودولف شتاينر والتقليد الباطني الغربي
- التعليم غير المألوف: نظرة تاريخية على تعليم رودولف شتاينر والأنثروبولوجيا والتعليم والدورف". استعلام عن المناهج.

— Inge Hansen-Schaberg and Bruno Schonig . (eds.)، Waldorf-Pädogogik (ردمك 3-8340-0042-6)

- فلين ، توم ؛ دوجان ، دان (2007): موسوعة الكفر الجديدة
_ قاموس أكسفورد الإنجليزي

- توماس فوغان (Eugenius Philalethes): Anthropososophia Theomagica، أو خطاب عن طبيعة الإنسان وحالته بعد الموت. أكسفورد 1648

- Die Philosophie des Grafen von Shaftesbury، 1872 .

- الأنثروبوسوفي إم أومريس Entwurf eines Systems . المثالي Weltsicht auf realistischer Grundlage ، 1882

- بيتر شنايدر ، أينفهرونغ في والدورف بادوجيك

- : أ ب Peter Schneider ، Einführung in die Waldorfpädogik، pp. 20-1؛ يقتبس شنايدر هنا من أطروحة شتاينر ، الحقيقة والمعرفة

- روبرت أ. ماكديرموت ، "رودولف شتاينر والأنثروبولوجيا" ، في Faivre and Needleman، الروحانية الباطنية الحديثة ، - *رِغْ فيدا* 1-89-أ

- **William Q. Judge, *The Ocean of Theosophy*, The Theosophy Company, Los Angeles, 1987, p. 1.**

- ندره اليازجي: (*المادة والروح: تأليف جديد*، دار الغربال، دمشق ،1978

- كتاب: تداعياتنا في "الهند: موطن الروح" في جزأين (*معابر*، الإصداران السابع والتاسع، باب "منقولات روحية") للوقوف على بعض ملامح تعاليم كلٍ من شنكرا (*الأدفيتافيدنتا*) وبتنجلي (*الراجايوغا*) والبوذا غوتاما (مؤسِّس البوذية التاريخي).

- حسين عمر حمادة، *مخطوطات البحر الميت*، منارات، عمَّان 1982

- و. ك. دجدج : *محيط الثيوصوفيا*

- ***مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2،**
"الفهم السليم" و"العمل السليم" من شُعَب الطريق المثمَّن المؤدي إلى الخلاص من الألم في البوذية.
- ل بلافاتسكي: "الهند: موطن الروح"،
- ديمتري أفييرينوس: *مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2.
- جهاد الياس الشيخ: "دراسات ثيوصوفية 2"، *معابر*، الإصدار العاشر،

- حسام الدين جابر سالم: شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- دستور مملكة البحرين: شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

– التعاليم البوذية: شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- "معلومات عن شنتو على موقع gameo.org" شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- خالد بشير:كاتب أردني :حول الشنتو
- حامد صقر :نور التحقيق

- أبوحامد الغزالي: المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود

- يوسف خطار:الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية -
-جون؛ فيرغسون (2014). الموسوعة الصوفية والديانات السرية. دار فرقد

- سلام ، سوليشين (1989). تسعة ولاة في منظور التاريخ. جاكرتا: كونينغ ماس.
-بسري مصطفى (2018) Sejarah Para Wali .(بالإندونيسية).
- نصوحي ، حامد (2017). "شخيات سنن كاليجاغا في تقاليد مطرام الإسلامية". الدراسات الإسلامية. جمهورية إندونيسيا: جامعة سياريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرتا. ج. 24 رقم 1. ص. 151 - ISSN 2355-184 .
- أكو بيرلو ألمو دراسة لمنهج الصوفية في الدعوة إلى الله في عالم الملايو". أنا احتاج إلى العلمي ...... اسأل لماذا
- هامكا (2020 :Dari Pembendaharaan Lama).
Menyingkap Sejarah Islam di Nusantara
- لوكينز بول ، رونالد (2005). :الجهاد السلمي
-: التفاوض على الهوية والحداثة في جافا الإسلامية. الولايات المتحدة: بالجريف ماكميلان
- بورودي ؛ إنيس نيكين (2007). داكوة والي سونجو: بينيباران إسلام برباسيس كولتورال دي تاناه جاوا (بالإندونيسية). يوجياكارتا: بانجي بوستاكا
-طبارة ، نايلا (2017).: الدراسات الإسلامية أمام التنوع الثقافي في العالم المعاصر. بيروت ، لبنان: دار الفارابي.
- رمضان ، محمد رزقي (2006).: أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الإندونيسي الإسلامي .(PDF) الخرطوم ، السودان: جامعة إفريقيا العالمية
- كاهايا إيلمو- "نبذة تاريخية عن مجيئ الإسلام إلى إندونيسيا".
-شودجيم ، أحمد (2003 Mistik dan makrifat Sunan).
Kalijaga (بالإندونيسية). جاكرتا: سيرامبي.
-"نيرفانا". قاموس راندوم هاوس ويبستر غير مختصر.
- ريتشارد جومبريتش :، ثيرافادا البوذية: تاريخ اجتماعي من بيناريس القديمة إلى كولومبو الحديثة. روتليدج

- كودوس كوتا والي:. بابيدا كابوباتين كودوس.

- بكتي توفيق آري نوغروهو ، شوروني ، م. مينانور رومان (2020). "تلاوة خلافة السنن القدوس في الدعوة الثقافية". المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية
- مارسونو (2018). Dampak Pariwisata Religi Kawasan Masjid Sunan Kudus Terhadap Ekonomi، Lingkungan، Dan Sosial-Budaya (بالإندونيسية). يوجياكارتا: مطبعة جامعة جادجا مادا
- عفيف ، محمد (2017). "Pendidikan Tasawuf Multikultural dalam Perspektif Sunan Kudus dan Implikasinya pada Pendidikan Islam Nusantara". Esoterik: Jurnal Akhlak dan Tasawuf (بالإندونيسية). كودوس: دراسة البرنامج Tasawuf dan Psikoterapi ، Fakultas Ushuluddin، معهد أغاما إسلام نيجري كودوس. المجلد. 3 ، لا. 2. ص 273 -
- الألوسي:روح المعاني 1
- ابن تيمية:مجموع الفتاوى
-علي خان : فعاليات الدروشة وأهدافها
-يسري حسن، يوجا للجميع
-ـ لاروس :موسوعة القرن(2006). تونس: الدار المتوسطة للنشر
ـ أمين حمزاوي :مقال عن البوذية شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- فراس السواح: دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني،
- عبد الله مصطفى نومسوك : البوذية والصوفية

- دكتور ألكسندر بيرزين- البوذية

- جيلمان ، جيروم ،: "التصوف" ، موسوعة ستانفورد للفلسفة (إصدار صيف 2011)
-التصوّف المسيحي ... العشق الإلهي على طريقة المسيح ؛ موقع رصيف شبكة المعلومات ومواقع التواصل.2
-كتابات الأدب الأسباني الصوفية ،
- نورة الطنيجي :حول القبالا شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- "- علاقة الباطني بالظاهر في تفسير Pardes الرباعي للتوراة والوجود
- يهودا ليب هاليفي اشلاق :الحرية". مكتبة القبالة. تفسير يهودا ليب هاليفي اشلاق | مكتبة الكابالا - معهد بني باروخ الكابالا للتعليم والبحوث معهد بني باروخ لاب دراسات ودراسات القبالة ." Kabbalah.info.
- أ ب غال ايناي. "موضوعات في الفكر الصوفي اليهودي: معنى كلمة الكابالا - الجزء الأول -" التقليد المتلقى "(مواضيع حول الفكر التصوفي في التوراة: معنى كلمة - الجزء الاول - علماد المُستلم).
- قاموس المعاني. معنى قبالة في معجم المعاني الجامع.
-غال ايناي. معنى كلمة الكابالا: الجزء 2 - الكابالا كـ "مراسلات" (معنى كلمة: الجزء الثاني).

- ليف لاي. تاريخ الكابالا. تاريخ القبالة. دورية منظور مشيح يهودي. - Beit hachokhma ،Toldot Adam ،R. Isaiah Horowitz ، 14كتاب الزوهار
- الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد ، فصول عن "ظهور الكابالا في القرون الوسطى" و "مذاهب الكابالا في العصور الوسطى"

- موشيه إيديل ، الحسيدية: بين النشوة والسحر

- أ ب يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة

- شير هاشريم رباح 4:22 ، روث رباح 1: 2 ، آريه كابلان التأمل اليهودي: دليل عملي ص 44-48
-يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12

- جوزيف دان الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، ، مطبعة جامعة أكسفورد 2007. الفصول: 5 العصور الحديثة I The Christian - Kabbalah، 9بعض جوانب الكابالا المعاصرة

- رفيق ، لويس جاكوبس الدين اليهودي: ، مطبعة جامعة أكسفورد 1995
- آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005 ، المجلد. 57 رقم

- أحمد ايبش. ترجمة الدكتور سهيل زكار. (2006).

- التلمود كتاب اليهود المقدس التلمود كتاب اليهود المقدس

- شتيرن ، شنور. :النشط مقابل التأمل السلبي. موقع كابالا اونلاين.

- صنع القبالة. من موقع سبارك نوت
- آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005

-اورباخ. الحكمة ،

- الزوهار الاول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - دان - كوهن شربوك ، حانة ون وورلد ، مقتطفات من الباطنية اليهودية ،

- كتاب زوهار الأول : أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - مختارات ، دان كوهن شيربوك ، حانة ون وورلد ،

- لشرح قصير. الغالبية العظمى من نظام **Lurianic** يتعامل فقط مع التعقيدات الموجودة في عالم **Atzilut** كما هو موضح في مقدمات كل من **Otzrot Haim** و**.Eitz Haim**

- يحيئيل بارليف :أغنية الروح73

- جيه إتش لينين ، الباطنية اليهودية

- بييرو كانتوني : "علم الشياطين والتطبيق العملي لطرد الأرواح الشريرة وصلوات التحرير" ، في فيدس كاثوليكا 1 (2006. [3]
-جوزيف دان ، الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، اكسفورد ، فصل حول "القبالة المسيحية
- سيراش الثالث. 22 ؛ قارن التلمود والحجيقة 13 أ ؛ مدراش سفر التكوين رباح ، ثامنا.
-الحسيني ، معدي. :القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم
- خفايا كتاب اليهود المقدس اليهودي - وثيقة الرعب والارهاب اليهودي. نشر دار الكتاب العربي ، دمشق. 2007.
- الكابالا - السحر - وعام 2011. موقع الماسونية
- جمال عمر. الكابالا .. ومؤامرات إبليس (3). بوابة روز اليوسف.
- شيليمون رينخ الكابالا:

- محمد الغرايب - التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ
- محمد الغرايب ، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ، 2002
- حاييم الزعفراني.: **Kabbale vie mystique et magie. Maisonneuve et Larose**

- ج. شولم ؛ قبالي. éd. القدس ، 1974
-ج. س. أناواتي و ل. جارديت ؛ سحر مسلمان. باريس 1976 ، 1 – 205
-
La Politique d’Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970, 72-73. :هنري لاووست

- يوفال نوح هراري : شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

-المراجع:

أنور الجندي:

- المدخل إلى القرآن الكريم.
-مصابيح العصر والتراث.
- قراءة إسلامية لتاريخنا.
- اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب.
- الضربات التي وجهت للأمة الإسلامية.
- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار.
- كسر طوق الحصار.
- الشبهات والأخطاء الشائعة.
- الصحافة والأقلام المسمومة.

- عالمية الإسلام.

- سلسلة الأصالة (50 جزء حلقة).

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية

- محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين

- الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية

-آفاق جديدة في الأدب والتاريخ والتراجم ،ط. مكتبة الأنجلو، مصر، إيداع 1978 م،

- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ،ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، إيداع 1984 م

- تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسية / ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، إيداع 1993 م

-العودة إلى المنابع دائرة معارف إسلامية

-العودة إلى الهوية الإسلامية

- تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920 - 1940 م /ط. دار الاعتصام ، القاهرة

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية.

- أسلمة المناهج والعلوم والقضايا المعاصرة

- مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام / ط. مجمع البحوث الإسلامية، مصر، 1417 هـ / 1996 م، سلسلة البحوث الإسلامية

- من اليقظة إلى الصحوة خلال المرحلة من 1933 م - 1988 م، -----
تطور الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية / ط. دار الاعتصام ، القاهرة،
إيداع 1989 م

- في مواجهة الحملة على الإسلام /

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية.

- الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة في مواجهة التحديات ----
--الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي /

- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية

- سقوط نظرية دارون

- أنور الجندي : محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة
من الفكر الغربي

- بماذا انتصر المسلمون ؟ |

- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني : الكامل في التاريخ - دار الفكر العربي بيروت سنه 1987م.

- ابن عطاء الله السكندري : لطائف المنن في مناقب أبي العباس وشيخه أبي الحسن د ت.

- ابن العربي القاضي ، أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي : أحكام القرآن ،بيروت لبنان دت .

- ابن عربي ، أبو بكر محيي الدين بن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية . تحقيق وتقديم عثمان يحيى تصوير ومراجعة إبراهيم مدكور- القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1972م.

- ديوان ابن عربي ، نسخة مصورة عن مطبعة بولاق جامعة القاهرة دت.

- فصوص الحكمة ط البابي الحلبي سنة 1946م.

البابي الحلبي د.ت

- أبوحامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار نهر النيل دت.

- أحمد عز الدين عبد الله خلف الله :من قادة الفكر الصوفى الإسلامى سيدى إبراهيم الدسوقى،: المجلس الاعلى للشئون الإسلامية

- أبوالعلا عفيفي : التصوف الصورة الروحية في الإسلام .ط دار المعارف سنة 1967م.

- أبو الوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي . دار الثقافة، القاهرة سنة 1983.

- آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه . ترجمة عبدالرحمن بدوي سنة 19655م.

- د. جوده محمد أبو اليزيد : بحار الولاية المحمدية فى مناقب أعلام الصوفية،

- رجب الطيب الجعفرى :شيخ الإسلام الدسوقى قطب الشريعة والحقيقة

- رينولد نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ،ترجمة دكتور أبو العلا عفيفي 1959م.

- سيد الشبلنجى: نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار، مكتبة ومطبعة الفجر الجديد.

سعاد ماهر:مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج 2 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

سعد القاضى : العارف بالله سيدى إبراهيم الدسوقى، دار غريب للطباعة

- سيد عبدالتواب عبدالهادي : الرمزية الصوفية في القرآن الكريم دار المعارف 1979م.
- شوقي ضيف عصر الدول والإمارات دار المعارف سنة 1988.
- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : الجامع الصحيح - صحيح مسلم- دار المعرفة بيروت لبنان مكتبة جامعة القاهرة سنة 1983م.
- أبو داود : مسند أبي داود ،مطبعة أنصار السنة القاهرة سنة1948م
- البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح أبي عبدالله البخاري تقديم أحمد محمد شاكر بيروت لبنان دارالجيل سنة 1980م مكتبة جامعة القاهرة .
- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ت 458هـ : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وفّق أصوله وأخرج حديثه وعلق عليه عبدالمعطي قلعجي - بيروت لبنان دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1985م .

- أحمد الرفاعي : البرهان المؤيد دت
- أحمد عربي الشرنوبى : تائية السلوك الى ملك الملوك، مكتبة القاهرة

- حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركى، مطبعة الفكرة، القاهرة، 1951 م.

- زكي مبارك: في التصوف
- زكي نجيب محمود: الفلسفةالباطني
- شمس فريدلاندر: كتاب «دوامة الدراويش»

- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن أبو بكر السيوطي : الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، تحقيق محمد خليل هراس - القاهرة دار الكتب الحديثة سنة 1976م.
- تنوير السالك على شرح موطأ مالك - بيروت لبنان دار الندوة الجديدة سنة1969م.
- الحاوي في الفتاوي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1952م.
- مسالك الحنفا في والدي المصطفى د.ت
- مصطفى كمال وصفي : الإمام الكبير أحمد الرفاعي وطريقته - المطبعة الأحمدية الرفاعية بالوراق د ت .
- الإمام عبد الرؤف المناوى :الكواكب الدرية فى السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى، المجلد الثانى: المكتبه الأزهرية للتراث.

- جلال الدين الكركى: لسان التعريف بحال الولى الشريف سيدى إبراهيم الدسوقى، مكتبة الرحمة المهداه
- الشعراني : الطبقات الكبرى، مكتبة الأزهر 1289هـ.
- الطبري ، محمد بن جرير الطبري:جامع البيان في تفسير القرآن جمع أبي يحيى محمد بن طمادح التجيبي ، مجمع البحوث الإسلامية - دار الفكر العربي سنة 1993م.
- العز بن عبدالسلام :حل الرموز ومفاتيح الكنوز، جريدة الإسلام بمصر
- مكتبة جامعة القاهرة .
- العزيزي ، علي نور الدين بن إبراهيم الشهير بالعزيزي : السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير مصر سنة 1304هـ مكتبة جامعة القاهرة.
- القرطبي ، أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1957م .
- سيدى محمد أبى المحاسن القاوقجى : مجمع الأسرار ومنبع الأنوار، ، الطريقة الشاذلية القاوقجية.
- سيدي محمد بن عيسى: ديوان شعر سيدي محمد بن عيسى
- عبدالله أحمد إبراهيم :المولوية بعد جلال الدين الرومي/ ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم.- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003

- الشيخ عبدالغني النابلسي: العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الثانية، 1932 م.

- عناية الله إبلاغ الأفغاني ، جلال الدين الرومى بين الصوفية وعلماء الكلام، الدار المصرية اللبنانية، 1987 م.

-عاطف جودة نصر : الخصائص الفنية والخصائص الصوفية في شعر عمر بن الفارض ، رسالة ماجستير1971م.
- الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس 1988م.
- عبدالحفيظ بن محمد مدني : أخبار الحلاج ، مطبعة الجندي سنة 1970م.
- عبدالحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، ط الأنجلو سنة 1954م.
- عبدالحليم محمود : المنقذ من الضلال ، دار المعارف1988 " عرض وتقديم"
- أبو مدين الغوث ، مطبوعات الشعب سنة 1972م.
- د. عبد المنعم الحفنى: الموسوعة الصوفية، دار الرشاد.
المهدى: دار غريب للطباعه والنشر.

- محمد إبراهيم محمد سالم: شرعية التصوف فى مناقب سيدى ابراهيم الدسوقى وأحزابة وأوراده، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
- محمد العبْده طارق عبد الحليم:الصوفيةنشأتها وتطورهاالطبعةالرابعة 2001 م
- محمد تقي الدين الهلالي : الحسام الماحق
- محمد ماضي أبوالعزائم :نيل الخيرات في ملازمة الصلوات
- محمد عبده الحجاجي : أبو الحجاج الأقصري قطب زمانه ومدده سنة1987م
- محمد عثمان عبده البرهاني : تبرئة الذمة في نصح الأمة - الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية د.ت.

- انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، الخرطوم 1999م
- أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية - سوريا د ت.
- أوراد الطريقة الرفاعية – مظبعة بولاق دت
- مولانا السيد محمد علاء الدين أبو العزائم.:(خاتم الوراث المحمديين)

- محمد فؤاد شاكر : الأحاديث الموضوعة عند الصوفية في القرن السابع الهجري .كلية التربية جامعة عين شمس 2002م/
- محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1949 مكتبة جامعة القاهرة .
- مصطفى حبش المدني: (النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية)
- مجموع الأوراد الكبير وحزب الدسوقى الكبير والصغير، مكتبة الفجر

- ممدوح الجربي : الصوفية وطرقها
- المناوي:التوقيف على مهمات التعاريف - المناوي

- مصطفى كمال وصفي : الإمام الكبير أحمد الرفاعي وطريقته - المطبعة الأحمدية الرفاعية بالوراق د ت .
- الإمام عبد الرؤف المناوى :الكواكب الدرية فى السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى، المجلد الثانى: المكتبه الأزهرية للتراث.

-من المعاجم :
- لسان العرب لابن منظور
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- تاج العروس للزبيدي.

- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)
- المكتبة الشاملة